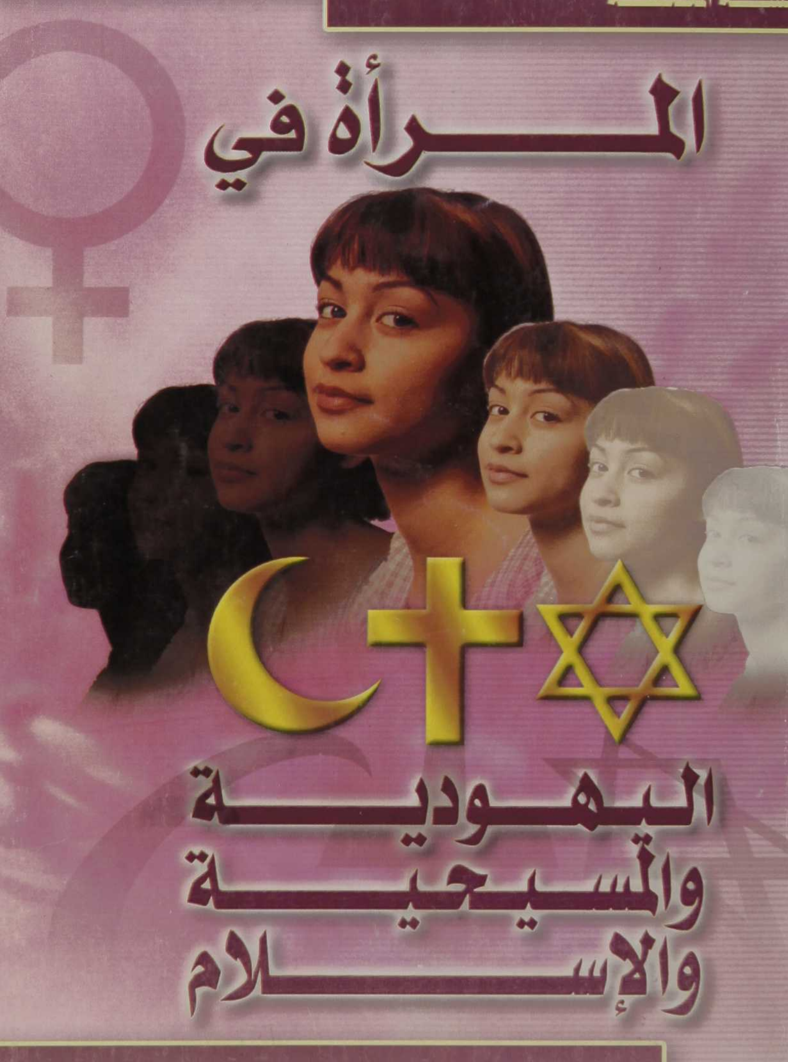
الطبعة الثالثة
2008

كنيسة القديسة مريم العذراء
والشهيدة دميانة
الكنيسة المعلقة



المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام

القمص
مرقس عزيز خليل
كاهن الكنيسة المعلقة

كنيسة القديسة مريم العذراء
والشهيدة العفيفة دميانة
(الكنيسة المعلقة)

المــــرأة في

اليهوديــة و المسيحية و الإسلام

القمص

مرقس عزيز خليل

يُطلب من الكنيسة المعلقة بمصر القديمة ت: ٢٣٦٣٦٣٠٥



إسم الكتاب: المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام

المؤلف: القمص مرقس عزيز خليل

الناشر: كنيسة القديسة مريم العذراء والشهيدة دميانة - المعلقة

الغلاف: م / أمير بولس ١٤٥٥٠٧٥ / ٠١٢

جمع تصويرى: ريمونتيكو - ٠١٠/١١٧٩٧٤٤

رقم الإيداع: ١٤٦١٧ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-5267-61-7

الطبعة: الثالثة - ٢٠٠٨م



حضرة صاحب الغبطة والقداسة

البابا شنـــودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



صاحب النيافة الحبر الجليل جزيل الإحترام

الأنبا سـلـوانس

الأسقف العام لكنائس مصر القديمة والمنيل وفم الخليج

الباب الأول

المـــرأة بدون الســـيد المســـيح

الفصل الأول

المرأة قبل تجسد السيد المسيح

المرأة كانت ضرورة بالنسبة للعالم . هناك كلمة عجيبة نراها فى قضية الخليقـــة : "الله خلق العالم وكان كل ما عمله الله هو حسن " . ولكن وسط هذه الصورة الجميلـــة للخليقة العجيبة نرى شيئاً لم يكن حسناً . كل ما عمله الله كان حسناً ما عدا شئ واحد. إنه أمر يدعو للتعجب أن هناك شئ غير حسن موجود وهو " رأى الله أنه ليس حســـناً أن يكون آدم وحده " . وكانت هذه هى نقطة النقص الوحيدة فى الخليقة وكمل الله هذا النقص وخلق حواء . ولما خلق الله حواء لم يتحول العالم من غير حسن إلـــى حســـن فقط بل يقول الكتاب : " رأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً " . وهذا يعنى بعـــد خلقة حواء تحول هذا الشئ غير الحسن إلى حسن جداً .

حواء كانت مكملة للخليقة كلها

كانت حواء مكملة للخليقة كلها ، أي أن الخليقة بلغت آخر كمالها . خلق الله الماء من أجل النبات . وخلق النبات من أجل الإنسان والحيوان . وأعد كل شئ من أجـــل الإنسان . وأخيراً خلق حواء كآخر ما خلقه أى اللمسة الأخيرة التى وضعها الله فـــى الكون . وخلقها فى طبيعة معدلة وألطف مما خلق منه آدم . آدم خُلق مـــن تـــراب . وحواء خُلقت من لحم ودم فهى طبيعة معدلة يعنى أقصد أنها خلقت على مـــرحلتين ، وليس صحيحاً ما يقوله البعض عن طريق المداعبة أن حواء فُرضت على آدم ، وأنه وجد إلى جنبه إمرأة . ففى الحقيقة أن آدم كان محتاجاً إلى حواء . ويقول الكتاب أنه لم يجد له معيناً . كل المخلوقات كانت تتآلف فى الحياة الإجتماعية مـــا عـــدا آدم شـــعر بالوحدة ولم يجد له معيناً . وهذا الإحتياج الداخلى فى قلب آدم صـــعد إلـــى الله والله استجاب وخلق له هذا المعين . وخلق له حواء منه دون أن يشعر بأى ألم . أوقع عليه سباتاً . وهكذا قام الله بأول عملية تخدير ! كان أول طبيب تخدير فى العـــالم ، طبعـــاً بدون ألم ، لأن الألم أتى بعد الخطية لأنه لم يكن من ألم قبل الخطية ، ووُجدتْ حواء وفرح بها آدم وقال أنها " لحم من لحمى وعظم من عظامى " .

آدم وحواء كانا جسداً واحداً قبل أن يتزوجا

وهكذا نرى أن حواء وآدم كانا جسداً واحداً قبل أن يتزوجا لأنهما من جسد واحد . نلاحِظ فى خطة الخليقة أن حواء وإن كانت فى الجنس ، من الناحية الجنسية تختلف عن آدم ، إلا أنها كانت مساوية له فى الطبيعة والسلطة وفى البركة وفى المواهب .

حواء لها نفس الطبيعة الإنسانية والصورة الإلهية التي لآدم

كانت حواء من نفس الطبيعة الإنسانية وأكثر من هذا ، إنها فى نفس الصورة الإلهية ، على صورة الله ، خلقهما ذكر وأنثى . فكانت حواء صورة الله تماماً كما آدم صورة الله . وباركهما فأخذت نفس البركة التى أُعطيت لآدم . وأعطاها مع آدم السلطان على جميع الحيوانات البرية وطيور السماء وسمك البحر ، نفس السلطة قال : " أثمروا وأكثروا وإملأوا الأرض وتسلطوا عليها " . أخذت نفس السلطة ونفس البركة ونفس الصورة الإلهية .

المرأة قبل تجسد المسيح

عند الرومان:

احتقرت المرأة إلى درجة أن وضع علي فمها الأقفال ، أقفال حقيقة سموها **MUSELLERE** وهي أشبة بالكمامة التي توضع الآن علي أفواه الجمال والكلاب المسعورة ، وأغلقت دونها الجامعات وحرم عليها الضحك والكلام

عند اليونان:

في أثينا حسبوا المرأة سلعة تباع وسموها نجاسة شيطانية

في تركيا:

ما كان يسمع لها رأي في أمر زواجها أو في أي أمر آخر

في الهند:

جاء عن النساء في الفيدا (لا مراء في كونهن نجسات كاذبات وغرض أغراض المرأة إغراء الرجل علي الفعلة الشنعاء ، فالمرأة لا تصلح للاستقلال) . ومما يقوله الدين البرهمي عنهن (أنهن شريرات دنيئات وعقبة كأداء في سبيل السماء) وفي شريعة الهنود جاء عنهن (لا يجوز للخنازير والكلاب والنساء دخول الهيكل) . وإذا أرادت المرأة عندهم أن تتطهر فلتغسل قدمي زوجها وتشرب الماء لأن نسبة الرجل

للمرأة عندهم كالإله للإنسان فهو إلهها وكاهنها وديانتها . والبوذي كان يشكر الله علي ثلاثة أشياء لأنه لم يولد في جهنم ، ولم يولد حشرة ، ولم يولد إمرإة

في الصين:

كانت المرأة عند أهل الصين ذليلة، فهي في عرفهم من الجنس الأدني

في مصر القديمة:

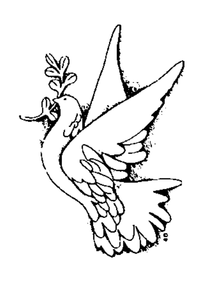
عثرنا علي مرسوم من السلطان سليمان إلى قاضي العسكر في مصر ينادي فيه بالا تخرج إمرأة في السوق الا العجائز ، ومحظور علي المرأة أن تركب حماراً مطلقاً ، وكل من خالفت تضرب وتربط من شعرها في ذيل حمار ، ويطاف بها في القاهرة ، أما صاحب الحمار فيشنق في ساعته لأنه أركب إمرأة علي حماره

المرأة منذ القديم تعانى من عدم الإنصاف

تري المرأة أنها منذ القديم مهضومة الحقوق تعانى من عدم الإنصاف ، وعلى سبيل المثال فهى تتحمل أتعاباً وأوجاعاً مبرحة فى الحمل والولادة ثم يقول الناس بل ويقول التاريخ أن الرجل هو الذى انجب وينسى الناس والتاريخ إن المرأة هى التى تعبت وحملت وولدت ! وإذا أرادوا أن يصفوها فى الكتب المدرسية ، يقومون بتصويرها وهى تمسك بالمقشة فى البيت أو تطهو الطعام فى المطبخ أو تحمل طفلها على كتفها ، وكأن هذا هو عملها وإختصاصها الوحيد ! .

آدم من تراب وطين ليِّن اما حواء فمن عظم صُلب عَصَى

زعم الزاعمون فيما قالوا أو كتبوا عنها ، أنها خُلقت من رقة وصُوِّرت من لين أو أنها مثل دُمى (عرائس) لطيفة هى بالزينة أشبه ، مع أننا نعلم من الكتاب المقدس أنه إذا كان آدم قد خُلق من تراب وطين ليِّن ، فإن حواء قد خُلقت من عظم صُلب عَصَى عن الثنى هو ضلع آدم !!



الفصل الثاني

غـــرائب فى عـــالم المـــرأة

أربع نساء يتزوجن طفلاً

كان الأمير "سليم" (١٥٦٩ - ١٦٢٧ م) ولى عهد (الهند) عنده أربع زوجـــات عندما كان فى الثامنة من عمره.

زواج كليوباترا بأخويها

تزوج رجل من أخته ورزق منها ولداً وبنتاً. فتزوج الولد بالبنت ورزقا ولداً وبنتاً وتزوج الولدان الحفيدان ورزقا ولداً وبنتاً.. وتزوج هذا الولد الأخيـــر بأختـــه أيضـــاً ورزق منها ولداً وبنتاً.

هذه البنت التى هى سلالة أجيال أربعة نتيجـــة زواج الأشـــقاء بالشـــقيقات هـــى كليوباترا.. ملكة (مصر) القديمة (٦٩ ق. م - ٣٠ ق. م).. وهى أيضاً تزوجـــت شقيقيها الواحد بعد الآخر.

الرقم القياسى فى عدد الزوجات

تزوج " موجت " ملك سيام (٩٠١٦) زوجة، وبذلك يكون قـــد ضـــرب الـــرقم القياسى للزواج فى حياة أى رجل.

حقاً، ما أسمى الزواج المسيحى وشتان بينه وبين هذه الأوبئة.. ما أعظمه.. ومـــا أقدسه.. إنه حقاً سر عظيم.

يتزوج.. قبل إعدامه بدقائق !

حدث أن أحد الأشقياء العتاه يعرف فى سجن " سينج سينج " برقم (٦٩٧٣٨) قد أرهق رجال البوليس زهاء عام قبل أن يتمكنوا من القبض عليـــه، وعلـــى شـــركاؤه لمحاكمتهم فى عدة جرائم قتل ارتكبوها.. وقد حكم على أتباعه كل واحـــد بعشـــرين عاماً.. بينما حكم عليه بالإعدام!..

وقبل أن ينفذ فيه الحكم بربع ساعة، طلب أن يعقد زواجه على حبيبته التى كانت تنتظر تلبية ندائه فى ساحة السجن!..وقد أجيب فعلاً إلى طلبه.. ثم أقتيد إلى كرسى الموت!.. وهكذا.. فى ربع ساعة أصبحت الفتاة حبيبة الشقى زوجة.. ثم أرملة!.

مخلوق لا مركز له ولا كرامة

كانت المرأة – ومازالت – لدى القبائل النائية مخلوقاً لا مركز له ولا كرامة، تخضع للرجل وتربى النسل وأحياناً تجمع الوقود من الغابات، وتحمل الأمتعة عند الترحال.. أما الزوج فلم يكن له ضابط مطلقاً، وعندما كان الرجل يستأثر بإمرأة كان مضطراً لأن يحافظ عليها بالقوة ضد السلب.. وكان يعتبرها جزءاً مما يملكه، ولذلك كان له فى نفس الوقت أن يطردها أو يبيعها أو يعيرها للغير، كما كان للرجل نتيجة لذلك الحق بالأتصال بأية إمرأة أخرى غيرها.. وأعتبرت المرأة سلعة أو أداه من أدوات المنزل وظيفتها إشباع الرغبة الجنسية وإنتاج أكبر عدد من النسل لتقوية القبيلة والجماعة.

وكانت الأنثى مكروهة، لأن القبيلة كانت تحتاج إلى الرجال محافظة على البقاء بالقوة، وخوفاً من العار الذى قد تجلبه الأنثى عليها، ولذلك كانت القبيلة تفرح عند ولادة الذكر وتحزن عند ولادة البنت، كما نشأت عادة لدى بعض القبائل هى قتل المولود الأنثى عند ولادته.. وفى ميدان الرقيق كان يباع الرجل بثمن أكثر من ثمن المرأة.

ومن القبائل من يضع المرأة فى موضع الخادمة فقط . ومنها من يحرم عليها دخول المعابد الدينية. ومنها من يحرمها من الميراث. ومنها من يعتبرها رقيقاً فقط لا يجوز حوزته إلا بشرائه كالحيوان تماماً، ولذلك يجوز للرجل شراء ما يشاء من النساء. ووجد العلماء فى بعض قبائل الهند القديمة أنه تعتبر النساء كالمتاع الذى يورث فى حالة موت الرجل، فيوزعهن على الورثة مع باقى الأمتعة والمنقولات، والحيوانات التى كان يملكها في حياته! ومنها من يسمح للمرأة أن تعاشر كل من رجال القبيلة مدة ما من الزمن، ومنها من أباح تعدد الأزواج للمرأة الواحدة.

تربط فى شجرة لتطهيرها

قبائل الهنود التى تعيش على ضفاف " نهر الأمازون " لها عادات غريبة فى حفلات الزواج.. فالشاب المنتمى إلى تلك القبائل متى فكر فى الزواج وإختار عروسه.. يعرض الأمر على زعيم القبيلة ويسترضيه بمختلف الهدايا ليحصل على موافقته.. فإذا أذن له الزعيم أسرعت أسرة الشاب فى إعداد حفلة العرس.

ومراسم الزواج فى هذه الحفلة.. يذهب العريس ويأتى بعروسه إلى الغابة قبل غروب الشمس.. وهناك يتقدم فى صحبة شاهدين.. ثم يشد الفتاة إلى جذع شجرة.. ثم يشرع فى إجراء ما يعرف عند أهل القبيلة بعملية التطهير فيتناول سوطاً ويلهب به بدن الفتاة.. فتصرخ وتئن من فرط الألم.. وإذ ذاك يقبل جمع من السحرة يحدقون بالفتاة ويرقصون رقصاً وحشياً يتخلله هتاف مزعج يصم الآذان.

وفى خلال ذلك يسرع أحد الشهود ويشعل النار عند قدمى الفتاة فى كومة من الحشائش والحطب.. فتتلوى المسكينة وتصيح وتضرب الهواء بقبضتيها.. ولكن الشاهد الآخر لا يحل وثاقها إلا بعد أن تكون قد فقدت رشدها وأصيبت بشبه إغماء.. وعندئذ يهلل السحرة معتقدين أن الأرواح الشريرة قد خرجت منها.. وأن الضرب والنار والرقص والغناء قد إنتصرت على هذه الأرواح وسحقتها وبددتها فى فضاء الغابة.

وفى النهاية تحمل الفتاة إلى كوخ عريسها خالصة البدن والروح من كل رجس.

أليس من العجيب أنه رغم كل هذه الآلام، والفتيات فى الهند يتهافتن على الزواج؟!

زواج الأرامل ورأى فيه

يقص لويس فيستر كاتب تاريخ المهاتما غاندى شيئاً عن هذا الرجل العظيم فيقول: " أن نزاهة رأى المهاتما تأبى عليه إلا أن يذكر عن أبيه أنه كان يميل إلى لذة الدنيا، ويأخذ عليه أنه استباح لنفسه أن يتزوج للمرة الرابعة بعد أن جاوز الأربعين ".

ويكفى لإدراك تحرج المهاتما الشديد أن نعلم أن والده الذى يلومه على هذا لم يتزوج للمرة الرابعة إلا بعد أن ماتت زوجاته الثلاث واحدة بعد الأخرى.. ولكن المهاتما يجد فى زواج رجل بعد الأربعين ما يعاب ولو كان أرملاً ثلاث مرات.. ولا يعفى الملوم من اللوم، كونه كان معروفاً بعفة اليد ونزاهة الضمير كما أن غاندى هو رابع أبناء أبيه وأصغرهم جميعاً أنجبه من زوجته الرابعة التى تزوجها بعد الأربعين. (كتاب غاندى الثائر القديس).

تخطب الرجل لنفسها

فى بعض القبائل الهندية تخطب الفتاة الرجل وتعطيه مبلغاً من المال كمهر له.. فإذا أعجبها شاب ترسل إليه رسولاً بمهرها.. وقد يوافق وقد يرفض!..

الجرس فى ملابسها

فى قبيلة " ناجا " الهندية.. تعلق كل إمرأة متزوجة جرساً صغيراً فى أطراف ثيابها بحيث تدق إذا تحركت وتسكت إذا وقفت.. وذلك ليعلم زوجها متى توقفت عن العمل!.

إنهم يثقبون أنفها

من العادات القديمة التى كانت تضايق الفتاة فى " السودان " أنهم كانوا قبل زواجها يثقبون أنفها ليضعوا فيه خاتم الزواج ، ويرغمونها على وشم فمها قبل الزواج باللون الأزلاق.. ثم تزف إلى زوج لم تره طيلة حياتها.

تركب الفرس

من عادات الزواج فى " إيران " أن العروس تسير إلى بيت زوجها تمتطى فرساً.. وعندما تصل إلى بيت زوجها يأخذ بيدها ويجلسها بجواره فتكشف العروس عن وجهها وعندئذ يراه الزوج لأول مرة..

أسنانك سوداء

كان من العادات القديمة فى اليابان.. أن تتخذ الزوجة من الوسائل ما يجعلها كئيبة المنظر.. حتى لا تلفت نظر أى شخص خارج المنزل إليها.. ومن هذه الوسائل تسويد الأسنان الأمر الذى يجعل منظرها قبيحاً عند الإبتسام.. ومازال لهذه العادة بقية فى بعض جهات اليابان.

وإذا ترملت الزوجة وجب عليها أن تظهر بمنظر اليائسة الحزينة.. فتحلق شعرها.. وتلبس الملابس التى تضفى عليها مظاهر البؤس والشقاء..! غرائب!!

تظل أرملة بقية عمرها

من العادات والتقاليد الهندية التى كانت متبعة زواج الصبى من الصبية الصغيرة، فإذا مات وهو صبى صغير ظلت زوجته أرملة طوال حياتها.

إعـــلان زواج

نشرت صحيفة أسترالية الاعلان التالى: " رجل فى الخمسين من عمره يرغب فى الزواج من سيدة فى مثل سنه تمتلك حصاناً.. ثم أردف بهذا الرجاء.. أرجو إرسال صورة الحصان!

يضــربها بالســوط

من العادات العجيبة فى " الصومال " أن أقرباء العريس والعروس يفدون إلى بيت الزوجية فى الليلة الثانية للعرس.. ومع كل منهم طعام مصنوع من الدقيق والسمن والبيض والسكر ويسمونه " الدورشة " ويقدمونه هدية للعروسين..

وعندئذ يطلب أهل العروس من العريس أن يضربها.. فينهال عليها بسوطه ويظل يضربها حتى تصرخ وتتقدم إليه وتمسك بركبتيه.. فيكف عن ضربها، ويقصد بهذا الإجراء الغريب إعلان الزوجة أمام أهلها وأهل زوجها طاعتها التامة لزوجها.. (تخلف)

الموت لأقل مخالفة

فى أواسط أفريقيا يجوز لرئيس القبيلة أن يوقع عقوبة الموت على زوجته لأقل مخالفة تقع منها، ولا ينال هذا من اعتباره وتقديره فى أعين عشيرته. بينما لو تم هذا اليوم فى مكان تسود فيه المسيحية لكان جزاء ذلك الإعدام.

تتزوج طفلاً صغيراً

فى عشائر " الريدى " الهندية.. جرت العادة أن تتزوج المرأة بين السادسة عشرة والعشرين من عمرها بطفل فى سن الخامسة.. ويعتبر هذا الطفل هو زوجها الشرعى.. ولكن يجب أن يكون لها بجانبه زوج آخر عم الطفل أو ابن عمه أو والده.. وجميع أولادها ينسبون إلى زوجها الشرعى.

خمسة أزواج للمرأة بالتناوب

فى عشائر " النير " وهى التى تتألف منها الطبقة الراقية من عشائر " الملابار " فى الهند يكون للمرأة عادة خمسة أزواج أو ستة.. وقد يصل العدد أحياناً إلى عشرة.. بل قد يباح لها أحياناً أن تقترن بأى عدد من الرجال ولكن يشترط فى الأزواج أن يكونوا

أقرباء بعضهم لبعض ينتمون إلى عشيرة واحدة.. وقد جرت العادة أن تبيت مع كل واحد منهم نحو عشر ليال وأن يتناوبوا معها أدوارهم بالترتيب..!!

ما أبعد هذا المفهوم عن المفهوم المسيحى عن الجنس.. أين السمو والقداسة والطهارة التى نراها فى المسيحية .

طلبت الزواج.. من إبنها

هى والدة " نيرون " حاكم روما الشهير.. قتلت زوجها لكى يتولى إبنها الذى تحبه مقاليد الحكم بدلاً من أبيه الذى تكرهه..

إنها " جريبنيا " المرأة الساقطة التى أحبت إبنها " نيرون " وأرادت أن تجعله عشيقاً لها.. لدرجة أنها طلبت منه أن يزنى بها.. فقام بقتلها.. وأصيب بالجنون فحرق روما بمن فيها!.

تعتبر ملكاً لزوجها ولكن!!

فى جزيرة " الهواى " كان قديماً للمرأة زوج أصيل تعتبر ملكاً له وينسب إليه وحده من تأتى به من الأولاد.. ولكن يباح لها أن يكون لها بجانبه أزواج غير أصليين لهم حق المعيشة معها بدون أن يكون لهم الحق فى أن ينسب إليهم أحد ممن تأتى به!.

يشتركون فى زوجة واحدة

فى كثير من المناطق فى جنوب " الهند " وعلى حدوده الشمالية.. كان قديماً يباح للأخوة أن يشتركوا فى زوجة واحدة.. لايزال هذا النظام متبعاً إلى الوقت الحاضر لدى كثير من القبائل الجبلية على حدود الهند الشمالية. وخاصة قبائل " جوانسواريس " وقد جرت العادة عندهم أن يتزوج الأخ الأكبر فتصبح زوجته زوجة لجميع أخوته.. وإذا لم يكن للشاب أخوة فقلما يجد له زوجة وينسب الأولاد لجميع الأخوة.

الرجل يلبس النقاب

فى بعض قبائل " الطوارق " فى شمال أفريقيا.. يلبس الرجل نقاباً على وجهه بدلاً من العروس.



الفصل الثالث

طرائف مع المرأة
قد نتفق مع بعضها و قد نختلف

المرأة في الأمثال العالمية

كل امرأة تحب المرأة التي في المرآة. (مثل ألماني
لم توجد بعد المرآة التي تخبر المرأة أنها قبيحة الشكل. (مثل فرنسي)
المرأة والبطيخة من الصعب اختيارهما
المرأة والزجاج دائماً في خطر
المرأة التي لها ماض، ليس لها مستقبل (أوسكار وايلد)
قوة المرأة في لسانها
كلام الرجل مثل السهم، وكلام المرأة مثل المروحة المكسورة (مثل صيني
الصمت هو أفضل زينة للمرأة
المرأة التي تقول الحق أصدقاؤها قليلون (مثل دانمركي)
الكلمات الرقيقة والقليلة هي زينة المرأة (مثل دانمركي)
المرأة غير الأمينة لا تستطيع البقاء في الداخل، والأمينة لا تبقي في الخارج
كم هو صعب للمرأة أن تحفظ بسر أو ومشورة (شكسبير)
أية إمرأة تستطيع أن تقاوم قوة المديح؟
المرأة تنقصنا جميعاً إلى المقام المشترك (برناردشو)
المرأة الجميلة دائماً علي حق (مثل ألماني)
الرجل النبيل يقاد بعيداً بكلمات المرأة الرقيقة (جوته)
النساء تغفر الكبائر أسهل من الصغائر
أن تكسو إمرأة تكلفك أكثر من أن تفرش سفينة
الرجل ولد من المرأة ويجب أن يموت بالمرأة
النساء ساعات تحفظ الوقت الرديء (مثل ألماني)
النساء أطفال ولكن في حجم أكبر
النساء تضحك عندما تستطيع، وتبكي عندما تريد
بسبب الرجال تكره النساء بعضهن
شفقة عظيمة رؤية امرأة تبكي، كرؤية اوزة تسير عارية القدمين
القطة لها تسع أرواح، والمرأة لها عمر تسع قطط

يذبح لعروسه القطة ويريها العين الحمراء

من سخرية الحياة أنه عند زواج الشاب يملي عليه بعض الأهل – أو أصحاب السوء – تعاليمهم الشيطانية بأن يذبح القطة لعروسه يوم زفافها. وأن يريها العين الحمراء (الصرامة) منذ أيامها الأولي لكي تخافه و تحترمه(بالعافية) وتعمل له ألف حساب و لتكون له جواداً مطيعاً يركبه بسهولة دون مقاومة ولا كلمة ويكون صورة من سي السيد !! . مثل هذا الرجل الساذج والضحل التفكير العامل بهذه الأفكار المريضة . لا يعرف حقيقة سر الزواج المقدس . ولا الأعمدة التي يقوم عليها البيت السعيد . و من تلك الأعمدة القوية : الحب الحقيقي (وليس الأناني) القائم علي التضحية بالذات في سبيل إسعاد شريك الحياة وليس أستعباده وإذلاله . والتعاون معاً في شركة مقدسة لحمل متاعب الدنيا ومشاطرة الأحزان والأفراح (فإن الأفراح إذا وزعت زادت . والأحزان إذا وزعت هانت). فيكون كلاهما (معيناً للآخر) (تك ٢ : ٢٠) في مرضه وفي شدائده وفي شيخوخته . و يظلان علي وفاء و حب حقيقي حتي الممات .

مداعبة زوج محب و مداعبة زوج سخيف

أراد أحد الأزواج المحبين أن يداعب زوجته التي يحبها حبا جما فقال لها (ما أجملك يا زوجتي . إننى أشعر أن الله خلق الكون في ستة أيام ثم صنعك أنت في اليوم السابع بهدوء وبلا مشاغل فأحسن من صنعك وجعلك ملكة متوجة وأميرة فريدة في كل صفاتك الجميلة) .

بينما وجدنا زوج آخر ممن لا يعرف الحب طريقاً لقلبه يقول لزوجته (إن الله بعدما خلق كل الوجود وفرغ من صناعة الكون وأراد أن يفرك يديه سقطت أنت منها فلا شئ فيك ذو قيمة)

الملافظ سعد يا رجل !! .المحبون مرحون لأنهم يشعرون بالسعادة . فالروح المسرورة هي روح مرحة . ولهذا فالمحبون دائموا الإبتسام . ومن السهل أن يضحكوا. وتكون ضحكاتهم صادرة من أعماق القلب . ولذلك فالفكاهة الحقة تكون صادرة من أناس إمتلأت قلوبهم بحب الله وحب الآخرين . أو علي الأقل من أناس لديهم القابلية للحب .. لا مرح مع الجمود العاطفي . ولا مرح مع الكراهية . ولا مرح مع الإحساس بالوحدة والإنعزال والخوف .

أبرقت وأرعدت ثم أمطرت

نكب الفيلسوف اليوناني الشهير سقراط بزوجة حردة سليطة اللسان. وقد حدث يوماً أن أطلت عليه من الشرفة وهو جالس علي عتبة داره يعلم تلاميذه وبدأت تسخر

وتستهزئ به بصورة استفزازية لاذعة. إلتزم سقراط بالصمت لعلها تخجل وتكف، ولكن لم يزدها هدوءه إلا غضباً وتهديداً وثورة، فلما لم يلتفت إليها سقراط ، جن جنونها واندفعت إلى الداخل وخرجت كالسهم ومعها دلو ماء بارد سكبته علي رأسه

وعندئذ قام سقراط الحكيم ونفض ثيابه بهدوء وهو يقول مبتسماً: " لا عجب أيها الأصدقاء فإن السماء تبرق أولاً ثم ترعد ثم تمطر"!!

لقد حول سقراط بحكمته وسعة صدره ذلك " الفصل البارد " إلى درس عملي في حسن المعاملة وغلبة الشر بالخير والمرح والتسامح واخرج من الليمونة اللاذعة عصيراً حلواً

الرجل كما تشاء المرأة

ومما أثبته علماء الحياة والأحياء ورده (ألبرت أنشتين) أحد أساطين علماء الطبيعة ، أن الفتاة نقطة دائرة الحياة لأنها مستودع الجنين ومغذيته ، والدته ومربيته ، وسميرة الحدث ، وأليفة الشاب ، وقرينة الرجل ، وعكاز الشيخ ، فهى المركز الذى حوله تدور مواكب الحياة أولاً وآخراً .

أما علماء النفس فقد أثبتوا أن الفتاة هى السنديانة التى عليها (تعـرّش) الجبلة البشرية فى حياتها الروحية ، لأنها مذخرة بالعواطف من حب وحنان ، ولطف وشعور ، وسرور وغيره .

أجل أن المراة تمثل فى الواقع أعمق الأمكنة من نفس الرجل ، فهى القوة وراء العرض ، والروح داخل الجسم الإنسانى ، هى (الدينمو) العظيم المحرك لدولاب العمل ، المرأة أن شاءت أضحكت الرجل ، وأن شاءت أبكته ، أن شاءت قربته ، وأن شاءت أبعدته ، أن شاءت أقامته ، وأن شاءت أقعدته . فليس هو إلا كما تشاء هى !!

الرجل هو الآمر الناهى ليس إلا ظاهرياً

قال (أينشتين) " إن ما كان يظنه آباؤنا من أن الرجل هو الآمر الناهى ليس إلا ظاهريا ، كظننا أن الأرض مركز هذا الوجود والأجرام الفلكية تابعة لها . والآن تغير الحكم وصرنا نرى أنها هى الآمر الناهى .

كنا نظن أن الشمس تطلع فى المشرق وتنحدر فى المغرب فعلمنا بعدها أن الشمس بالنسبة إلينا ثابتة لا تطلع ولا تنزل ، وإنما هى ظاهرة حسبناها حقيقة . فليس الرجل قائد المرأة بل هى القائد لمواكب الرجال !!

المهاتما غاندى والجنس اللطيف

سئل المهاتما غاندى : هل الجنس اللطيف جنس ضعيف فأجاب قائلاً " ليس الجنس اللطيف بالجنس الضعيف فأنه أشرف الجنسين بما فيه من قوة على التضحية واحتمال العذاب والضراعة والإيمان والمعرفة ، وكثيراً ما فاق حدس المرأة زعم الرجل !

ســــــرّ قـــوة المـــرأة

لعل سر قوة المرأة دموعها ، فمن أوليات الحرب عند المرأة البكاء . وشعارها (إذا فشلت أبكى ثم أبكى ثم أبكى) ومما قاله نابليون (إن قوة سجيتى مضـــرب الأمثـــال ولكنى فى عائلتى لا أزل ذلك الضعيف العاجز ، وقد عرفت سيدات البيت عنى ذلــك ففى أول عاصفة ثارت بينى وبينهن فزن على بدموعهن ، وهن يفعلن بى مـــا يشـــأن لأنى أتعب من المقاومة) !!

هيلين كيلر.. معجزة ضد اليأس

تعتبر هيلين كيلر معجزة القرن العشرين، فقد ولدت عمياء صماء خرساء، ومـــع ذلك هزمت المستحيل وتغلبت علي عاهاتها الثلاث الرهيبة وتعلمت ونالت أكثر مـــن شهادة دكتوراة! أن عاهة واحدة من هذه الثلاثة كثيراً ما أصابت صاحبها باليأس، أما هذه البطلة فقد فاقت الأساطير في الروح العظيمة وقوة العزيمة. والفضل يرجع إلـــى حد كبير إلى مربيتها المؤمنة التي بصبر عجيب علمتها لغة جديدة وفهم طبيعة الأشياء المحيطة بها، كأن تضع يدها في الماء لتحسه ثم تعلمها اسمه باللغة التي اخترعتها إذ تضعط علي يدها ضغطة واحدة تمثل حرف الألف (أ) وظغطتين تمثلان حرف (الباء) وثلاثة ضغطات تمثل حرف (التاء) وهكذا! كما جعلتها تتعلم لغة الشفاه بلمسها وفهـــم الكلمات من الذبذبات!! أن هيلين كيلر معجزة مضـــادة لليـــأس ودرس فـــي تحـــدي الصعوبات والمستحيلات

المرأة بين أنصارها وخصومها

المرأة : هن الدواء وهن الداء من قدم ــ من قبل هابيل فى الدنيا وقابيين !!

هى الفكرة الخالدة للرجل ، يولد فيجد نفسه بين ثديى والدته ترضعه ، ويشب فيجد نفسه مع أخواته يحملنه ويلاعبنه ، يكبر فيجد نفسه مع شريكة جديدة هى زوجتـــه ، وتولد له بنت ، فتصبح المرأة أمه ، وأخته ، وزوجته وإبنته ، إنها تحيط به من جهات الحياة الأربع !!

هذه هى المرأة ، المخلوق العجيب ، الذى تضاربت فيه الآراء ، وحار فيه العلماء ، فانقسموا معسكرين ، معسكر ينصرها ، وآخر خصم لها ، فتم فيه قول (تلميذى عمواس) فى الكتاب المقدس " بعض النساء حيّرننا " !!

دفاع حـــــار عن المـــرأة

أمل سمعك قليلاً لتنصت إلى هذه الأقوال...

قال(جوستاف لوبون) الأستاذ بجامعة اكسفورد : إن المرأة أكثر تديناً من الرجل وأخلص منه فى تدينها فتحملها شدة عاطفتها على المسارعة فى تلبية الحث الشديد الذى توجهه الديانة إلى الإحساس والشعور ، فهى حصن التدين الحصين ، فدينها حب وحبها دين ، أما الرجل فكثيراً ما يكون دينه وحبه تجارة ، اذهب إلى الكنائس تجد مقابل الواحد منهم خمساً منهن !!

قال(ألبرت أينشتين) : إن المرأة أم الرجل وهى أم الفضائل ونقطة دائرة الحياة لأنها مستودع الجنين ومغذيته ، ووالداته ومربيته

قال(كونفوشيوس) : إن المرأة أكمل ما فى الخليقة

قال (فولتير) : إن النساء يعلمننا الأدب والذوق والكرامة .

قال (جويار) : أن أحلى هدية أهداها الله للإنسان هى المرأة .

قال الأديب المنفلوطى : المرأة هي عماد الرجل وملاك أمره وسر حياته من صرخة الوضع إلى أنة النزع .

قال (بسمارك) عاهل ألمانيا العظيم : أن إمرأتى هى التى جعلتنى من أنا .

قال (نابليون) : أن الرجل (نثر) الخالق والمراة (شعره) !!

قال بلزاك : أن البيت بدون المرأة قبر .

ومن الأمثلة المأثورة قولهم : الرأى الثانى خير من الأول ، وقد كان آدم من آراء الله الأولى ثم ارتأى رأيه الثانى فخلق المراة).

وقيل أيضاً (أن الرجل تسويدة الخلقة والمرأة تبيضتها).

هجوم عنيف علي المرأة

وبينما نسمع هذه الموجة من المديح للمرأة ، نرى من الجانب الآخر عاصفة هوجاء من القدح والذم لها ، ومن بين هؤلاء الخصوم (الأستاذ هبنر) مدرس علم النفس بجامعة سيراكوز اسمعوه يقول (أن المرأة تفوق الرجل مهارة فى سبك الأكاذيب ، فالرجل إذا كذب انعكس الأثر فى عينيه فتفضحه مظاهره ، أما المرأة فهى (فنانة) فى هذا الباب تحرك الأكذوبة تلو الأكذوبة دون أدنى ارتباك أو كبير عناء) !!

وفى مقدمة خصوم المرأة رجل يخشاها ويخاف أذاها فيقول : أنهـا لآدم سـقطة ولشمشون الموت ، ولسليمان العار ، وللفقيه ربع شاهد ، وللمصور قالب ، وللناسك مكيدة ، ولصحيح الجسم مرض ، وللزوج قيد ، وللعالم حاجة ، وللشيطان رسول " !

أما (تولستوى) فقد ظهرت خصومته حين سئل رأيه فى المرأة فصمت قليلاً ثـم رفع رأسه وقال مبتسماً (أنى إنما أقول الحقيقة فيها حين أكون علـى حافـة القبـر. فأقولها وأقفز إلى نعشى ، وأرد غطاءه على قائلاً للمرأة افعلى ما شئت إذا استطعت!!

وبمثل هذه التفكهة اللاذعة أجاب الكاتب الإنجليزى (برناردشو) حين طلب إليـه أن يكتب مقدمة لكتاب عن الزواج فأبى قائلاً : أعفونى من هذا الإحراج ، فلا يجروء رجل على أن يقول الحقيقة فى الزواج ما دامت إمرأته على قيد الحياة !

ومما قاله ألد أعداء المرأة (أن كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسـنات ، وتفشى السيئات ، تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها علـى الزمـان ، أن دخـل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وإن بكى ضحكت ، وإن طلقها كانت حرفته ، وإن أمسكها كانت مصيبته) !!

ومما قاله (إبقراط) أبو الطب (إذا سئلت رأيى فى المرأة قلت بلغة مهنتى أنهـا المرض)

وإذ سئل (ديمقريتس) لماذا وأنت ضخم الجسم تزوجت فتاة نحيفة ؟ أجابهم (أنى اخترت من الشر أصغره) !!

محـــــاورة طريفــــة

قامت محاورة طريفة بين إحدى نساء العرب وبين زوجها :

قال : إن النساء شياطين خلقن لنا ، نعوذ بالله من شر الشياطين !

فقالت : إن النساء رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهى شم الرياحين !

مناظـــــرة لطيفــــة

من المناظرات اللطيفة التى نشبت بين أنصار المراة وخصـومها قـولهم (إن الله غضب على المرأة فجعل النار وجهنم والهاوية والظلمة والخيانة والخطية والنجاسـة أسماء مؤنثة ، وجعل النعيم والنور والصلاح أسماء مذكرة) !! فإذا بأحد أنصـارها من الشعراء ينطلق مدافعاً يقول :

فما التأنيث لإسم الشمس عيب   وما التذكيـــر فخر الهلال !

حيـــــرة عجيبــــة

ذلك هو المخلوق العجيب الذى حير أفذاذ العلماء حتى جعلن (بلزاك) الفيلســوف المعروف يقول (لقد درست طبائع النساء طويلاً وأنى لأفاخر بأنى لم أضع وقتى كله ، فقد عرفت الآن أنى لا أعرفهن) !!

اســــــطورة هنديـــــــة

توجد أسطورة هندية تصور لنا أجمل تصوير ، سبب تلك الثورة الفكريـــة التـــى قامت حول المراة .

قالت أن طائفة من وثنى الهنود تعتقد أن معبودهم أنفق فى خلق الرجل كل ما كان لديه من المواد ، وضاق صدره حينما أقبل على خلق المرأة فخطر له أن يكونها مــن فضلات سائر الكائنات ، فعمد إلى لطافة الزهر ، وكمال البدر ، وبهجـــة الشـــعاع ، ولحظات الريم ، وهبوب النسيم ، ونعومة الريش ، ووداعة الحمل ، وقسوة الســـبع ، وحنان البقرة ، وحرص النملة ، وخيلاء الطاؤوس ، والتواء الأفعى ، وحر النـــار ، وبرد الجليد ، ونوح الحمام ، ودموع السحاب ، وهذر الببغاء ، ونغم البلبل ، من هذا كله صنع المرأة وقدمها إلى الرجل وأوصاه بها خيراً ، وبعد أســـبوع أتـــاه الرجـــل يتضرع ويقول (أيها المعبود العظيم خذها منى فلا صبر لى معها ، أنها تغضب من لا شئ ، وتبكى للاشئ ، وتشكو الداء ولا داء فيها ، قد أضاعت أوقـــاتى وســـلبتنى راحتى ، استعدها يا رب فإنى فى غنى عنها)

فاستعادها الخالق ولم يمض قليل وقت حتى شعر الرجل بما لا يوصف من القلـــق والجزع ، فأسرع إلى معبوده يهتف ويقول (رحماك ربى ، لقد خاننى الصبر ولم يهنأ لى عيش بعدها ، ما غابت عن فكرى لحظة من الزمان ، فهى مالئة فؤادى ، مبهجـــة ساعاتى ، محبوبة فى حركاتها وسكناتها جذابة فى حديثها .

فقال المعبود (غريب أمرك يا رجل ! فقل لى ما الذى تريد ؟)

فقال الرجل (أريد المرأة التى وهبتها لى لتشاطرنى حياتى)

قال المعبود (ولماذا رددتها إلى ؟)

فبادر الرجل وأخذها وهو يتمتم قائلاً (لاعيش لى معها ولاعيش لى بدونها)!!...

أقوال عن المرأة قدلا نتفق مع بعضها

النساء يعرفن أكثر من الشيطان قليلاً.. فلا تأمن من المرأة ولو كانت ميتة!"

(مثل إيطالي)

الصداقة التي تبتدئ بين رجل وإمرأة.. لابد أن تتغير سريعاً برناردشو
الوداعة : أول وأهم صفات المرأة جان جاك روسو
المرأة شر وشر ما فيها جمالها أرسطو
من أراد التوفيق فعليه أن يبدأ باستشارة زوجته مثل فرنسي
امرأتي هي التي جعلتني من أنا (بسمارك
الخيانة طبيعة في النساء والمرأة تكون وفيه بسبب نقص في أخلاقها أو كزهد الرجال فيها (نابليون)
تتناقص عفة النساء في السفر وفي البعد عن العيون والأرصاد لونجفلر)
إذا رغبت في أن تذيع سراً فأخبر به إمرأة، لا ترم المرأة حتي ولا بالزهر (مثل هندي)
لم يصنع الله المرأة من رأس الرجل لئلا تسود عليه ولا من فخذه لئلا يتعالي عليها بل صنعها من جنبه لتكون مساوية له ، ومن تحت ذراعه لتكون تحت حمايته ومن قرب قلبه لكي يحبها بلزاك
للنساء غرائز تحبب إليهن القسوة، وقد فعلنا نحن الرجال الكثير لتحريرهن ، فأبين إلا أن يكن لنا عبيداً، وإلا أن نكون لهن أسياداً أوسكار وايلد)
قد يهجر الرجل كل شيء لأجل المرأة التي يحبها، وقد يجن لأجل المرأة التي يود اجتذابها إليه، ولكنه لا يحرك ساكناً لأجل تلك التي يثق من محبتها (شو بنهور
قد تغضب المرأة إذا قبلتها حين لا تريد التقبيل ، ولكن غضبها يكون أشد إذا أحجمت عن تقبيلها حين تريد لابروبير)
إن سحر المرأة التي يتعشقها الرجل ليس مصدر ما فيها من الصفات، بل ما فيه هو من الضعف الأب جولي)
تفضل المرأة فقد حبيبها علي فقد جمالها، فإنه أسهل عندها أن تفقد من تحب من أن تفقد ما يحبب فيها روسيرون)
قيود المرأة مغطاة بأزهار، فلا تراها لكن الأزهار تذبل وتقع مع الوقت فتري قيودها وتدرك عبوديتها (فولتير)
جمال المرأة دولة قصيرة (روسو)
الجمال هو أول هبة تمنحها الطبيعة للمرأة وأول شيء تسلبه اياها (بلزاك)
المرأة الجميلة جوهرة ثمنية أما الطيبة القلب فهي كنز عظيم (ساند)
ما أسرع شرف الرجل إلى العطب إذا كان معلقاً بثوب إمرأة (جورج ساند)
لا تخدعكم دموع النساء فإن لهن عزاء في البكاء حتي أن اللواتي لا يتألمن لسبب يجدن دائماً إليه سبيلاً سيدين
من السهل قيادة المرأة علي شرط أن يتولي ذلك رجل مستوف لصفات الرجولة (بريفو)
قلب المرأة قيثارة لا يبوح بأسرارها إلا لمن يعرف كيف يعالجها (بلزاك)

ما برح هندام المرأة منذ الخليقة يتغير ويتبدل أما قلب المرأة فلم يلحقه تغيير ولا تبديل (أرسين هوساي)

لا تختلقي النكد

كتب "ديل كارنيجي" عميد معهد العلاقات الإنسانية في كتابه الشهير (كيف تكسب الأصدقاء) فصلاً كاملاً خاصاً بالأزواج والزوجات أسماه (أسرع السبل إلى مقبرة السعادة الزوجية) وافتتح حديثه بتوجيه نصيحة ذهبية لبنات حواء المتزوجات وهي (لا تختلقي النكد)! وضرب هناك أمثلة كثيرة من التاريخ تثبت أن الزوجة الجاهلة هي التي تزرع أشواك النكد والخصام فتقتل الحب والسعادة الزوجية وأن زوجة تولستوي قالت لبناتها يوماً: " أنا قتلت أباكما بالنكد "! بينما الزوجة العاقلة هي التي تسعد زوجها وتريحه وتجعل بيته جنة

ومن أجل ذلك توصيها الكنيسة في صلاة الاكليل (بالا تضرب بوزطويل) وتقول لها: " كوني بشوشة ولا تضجري في وجهه

أنت بلا عذر أيها الزوج

أنت بلا عذر أيها الزوج إذا يقول أحد الخبراء: " أن النساء تعلق أهمية كبيرة علي الأعياد السنوية والمناسبات. أما لماذا؟ فهذا سر مغلق من أسرار حواء فالرجل منا ينسي في زحمة الحياة كثيراً من الأعياد والمناسبات، وهو في هذا معذور. ولكنه ليس معذوراً أبداً أبداً إذا نسي من هذه المناسبات اثنتين: عيد ميلاد زوجته، وعيد زواجه!! في وسعك أن تستغني عن كل الأعياد والمناسبات الأخري وأما هاتان، فالاحتفال بهما أشبه بضريبة عليك أن تؤديها حفظاً لهنائك العائلي

زوجتي عداد تاكسي

قال أحد الأزواج بكل مرارة: " أنني متزوج بعداد تاكسي ، وهذا العداد يلازمني كل يوم ، صباحاً ومساءا، فزوجتي تعد وتحصي علي كل غلطة وكلمة وفكرة ونظرة وتصرف ، ولا يمكن أن تفوت مرة أو يمر يوم بدون حساب عويص وكرابيج لاذعة حتي كرهت بيتي وحياتي .. يا ليتني لم أتزوج

أيتها الزوجة العزيزة ، احذري أن تكوني كعداد التاكسي مع زوجك ولا مع غيره من الناس ، لأن هذا النوع من الحساب مكروه يخنق الحب ويقضي علي الفرح والسلام والهدوء ويتلف الصحة ويقصر العمر ويعثر الاولاد وكثيراً ما يخرب البيت!

كثير من حالات الطلاق لم يكن سببها الخيانة الزوجية ، وإنما مجرد الكلام الذي (يبطح كالدبش)! الا يقول الحكيم سليمان أن " الكلام اللين بصرف الغضب، والكلام الموجع يهيج السخط" (ام ٥١ : ١

هذه همسة في أذنك يا عزيزتي.. أنك أنت أيضا لك اخطائك الكثيرة، وان الله نفسه لا يحاسبنا بهذه الصرامة علي كل اخطائنا

هل المرأة جنس ضعيف ؟؟

أول ما كذبته الأبحاث العلمية هو الإعتقاد السائدة بأن النساء هن الجنس الضعيف بالنسبة للرجال ، فقد عملت تجارب فى المصانع الإنكليزية اتضح منها أن العاملات فيها يقمن بأعمال جثمانياً أشق مما يقوم به الرجال ويصبرن على الألم أكثر مما يصبرون . ولقد بحث الأستاذ (أدولف إبراهامز) هذه النظرية كثيراً فطلع علينا يقول " أن النساء أقدر على تحمل المشاق المستمرة من الرجل وأن قليلاً من الرجال يستطيعون عبور المانش الذى عبرته فتاة وهى (جرترود أدرل) .

لوحات صريحة مكتوبة على القبور

- هنا ترقد زوجتى وأنا سعيد بذلك!!
- هنا أرقد أنا وزوجتى ظهرا لظهر، وحين تقوم القيامة ستقوم هى وأما أنا فلن أقوم حتى لا أراها!!
- هنا نرقد زوجتى، وأكون كاذبا لو قلت أنى حزين عليها لأنها كانت سليطة اللسان.

إهـــداء إلى زوجتـــه

أهدى الكاتب الإنجليزى الظريف (وود هاوس) أحد مؤلفاته إلى زوجته وقال فى الإهداء: " إلى زوجتى التى لولا معاونتها ومساعدتها لانتهيت من تأليف هذا الكتاب فى نصف الوقت ".



الفصل الرابع

مواقـــف مــع المـــرأة

أيهما تختار.. زوجتك أم كنوز الأرض

كان الشاب فى طريق عودته من أرض الغربة حيث مكث هنـاك سـنين طويلـة ليؤسس حياته من الجهة المادية ويؤمن مستقبله.. وقد تزوج خلال أجازته الأخيرة فى العام السابق واصطحب زوجته معه إلى أرض بعيدة مترامية الأطراف ولكن خيراتها لا تعد..

وأثناء إقامتهما معاً، كانت مثالاً للزوجة المطيعة، تشاركه كفاحه، وتسهر معه ليالى المرض والمعاناة، قضى الزوجان المدة المحددة لهما فى تلك البلاد، وها هما يعودان بعد أن جمع الشاب ثروة طائلة وضعها فى حقيبته السوداء المتضخمة متطلعـاً إلـى مستقبل مشرق عامر بالأمانى والأحلام.

ولكن، تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، فقد واجهت الباخرة التى يستقلها أعاصير ورياح مدمرة هددتها بالغرق، وراح كل فرد يفكر فى كيفية النجاة من هـذا الخطـر الداهم.

وفرض على الزوج الإختيار بين إثنين.. إما أن يختار ثروته الطائلة " شقا عمره " وإما أن يختار زوجته.. فهو لا يستطيع أن يسبح بكليهما ولكن بإحداهما فقط.

وتلاحقت فى عقله الأفكار وهو يحدث نفسه فى حيرة وإضطراب.. إن اصطحبت زوجتى الشابة ونجوت بها خسرت كل ما جمعته يداى، وسأعود إلى الفقر من جديـد بعد أن ودعته إلى الأبد.

سأدخل دائرة الحرمان وسأعود لمسقط رأسى صفر اليدين.. سنين طويلة من العمل الشاق تضيع فى لحظة فى طرفة عين، ونظر إلى حقيبته واستطرد قائلاً :

ربما أستطيع أن أجد البديلة لزوجتى وبثروتى هذه أجد عوضاً عنها بسهولة ويسر.

وإلتفت إلى زوجته وهو لم يزل يحدث نفسه، وإرتفعت عيناه عن الحقيبة.

" لكن إمرأة فاضلة كهذه لا يجدها المرء بسهولة.. إن قيمتها تفوق قيمـة الـذهب واللآلئ.. إنه أمر فى غاية الصعوبة أن أجد عوضاً عنها بنفس مميزاتها وفضائلها.

وعنما كان يقدح زناد زهنه، تطلع إلى ثروته واستطرد قائلاً : ولكننى سأبدأ مـن الصفر من جديد.. وعلىّ أن أسير فى رحلة طويلة شاقة وعرة ربما فى نهايتهـا لـن أحصل على ما حصلت عليه، فكيف أسير فى طريق مجهول غير متيقن من عقبـاه.. وعندما بدأ يشرد ذهنه مستغرقاً فى حيرته، ربتت زوجته بسرعة على كتفـه، فنظـر إليها.. ولكن يبدو أن من يجمع ثروته بصعوبة لا يفرط فيها أو يبدد منها شيئاً، فكيف

يقبل على نفسه أن يخسر هذه الثروة فى لحظة، فى طرفة عين.. ولكن وجه زوجته البسام بدأ يستقطبه من جديد، واستمر الصراع النفسى يمزقه، وعاش الرجل أصعب اللحظات التى مرت به خلال سنى عمره التى مضت.. الزوجة أم الثروة؟! إن كانت الزوجة فلابد من الإستغناء عن كل هذه الثروة، وإن كانت الثروة، فلابد من الاستغناء عن هذه الزوجة إلى الأبد.. الإتيان بزوجة أخرى أيسر من الإتيان بمثل هذه الثروة.

لقد حصل على الثروة فى سنوات طويلة.. ولكنه حصل على الزوجة فى بضعة شهور.

وفجأة.. يتذكر الرجل ليلة من ليالى المرض الذى ألم به فى غربته.. وكيف عانى قسوة العذاب وليس هناك من أحد يخفف عنه الألم غير هذه الزوجة التى ضحت براحتها وسهرت فى اهتمام وإخلاص بجانبه.

وفجأة، يلقى الزوج حقيبة النقود.. ويحشد كل قواه لينقذ زوجته ويحملها إلى شاطئ الأمان ليقضيا بقية عمرهما معاً كأسعد زوجين فى الوجود.. فليس الثراء وحده يسعد الإنسان!

أسمى علاقة بين رجل وإمرأة

الحب الحقيقى لا يكون إلا لرجل واحد. ولإمرأة واحدة.. ورغبة الزواج الحقيقية لا تكون إلا لرجل واحد وإمرأة واحدة.. والعطاء المطلق للروح والجسد لا يكون إلا لرجل واحد وإمرأة واحدة.

والسعادة الحقيقية والمتعة القصوى لا تكون إلا من خلال رجل واحد وإمرأة واحدة.

تلك هى فطرة الأنثى وسمو الرجل.. وتلك هى الأنوثة التى صورها الله وخلقها على هذه الصورة لتتحقق أسمى علاقة بين إمرأة ورجل.. حب وزواج.

حاضراً وغائباً

نهى زوج زوجته أن لا تبارح الدار ثم تغيب، فقال لها البعض: أخرجى فى غياب زوجك، فأجابت: صحيح أنه لا يرانى.. ولكن الله الذى أمرنى بإطاعته يرانى!

يا لها من سيدة نبيلة تطيع زوجها فى محضره، كما فى غيبته.

ملكة وزوجة

لما كان الأسقف يعقد زواج الملكة فيكتوريا على أحد رعاياها تحيّر عند وصوله للقول: " أيتها النساء إخضعن لرجالكن " ففهمت الملكة الأمر فقالت له: " سر واقرأ كلمة الله كما هى، فأنا ملكة وهو يخضع لى فى قصر الحكم كأحد أفراد الشعب، ولكنى الآن أخضع له ليس كملكة بل كزوجة "!

لكن يبدو أنه على توالى الأيام نسيت هذا الدرس، إذ جاءت يوماً وطرقت على باب غرفة زوجها فنادى من؟ فأجابت (أنا الملكة) فلم يفتح لها. وأخيراً قال لها: أطرقى الباب كزوجتى لا كملكة.. فأنت ملكة هناك على عرشك تأمرين فتطاعين. لكنك هنا زوجتى وتحت طاعتى.. عندئذ قرعت الملكة وقالت (إفتح لزوجتك) ففتح لها.

مستشارى الأول

قال رجل من رجال الأعمال الذين تحتاج أعمالهم إلى درجة كبيرة من الجهد العقلى والجسدى (مواعيدى غير منتظمة، لكن فى أى وقت أذهب إلى البيت فإنى أجد زوجتى على استعداد لمشاركتى الحديث، وهى دائماً مشرقة، غير متقلبة، بل ثابتة على صفاتها، فأشاركها أفراح اليوم وانتصاراته، وهى دائماً تستطيع أن تقول شيئاً يتزايد معه فرحى وقيمة انتصاراتى، أما إذا كانت هناك أحزان وفشل فإنى أيضاً أشركها معى فيها، وهى دائماً تفهم.. وربما تكون قد قرأت جزءاً من الكتاب المقدس فى ذلك اليوم له اتصال بمشكلتى فتخبرنى عنه، وبعد لحظات قليلة تذهب مخاوفى ويتلاشى قلقى وانزعاجى لأنها تشاركنى بحبها وإيمانها وإدراكها، وأنا دائماً أخبرها بأنها مستشارى الأول.

الزوجة الأسبانية

إذا تزوجت الأسبانية كانت أخلص الناس لزوجها. إنها تعتبره كل شئ فى الوجود، وتعيش به وله إلى آخر رمق فى حياتها، وفى أشبيلية عاصمة أسبانيا أحاديث عجيبة: هذه سيدة فى الثلاثين ذهب زوجها إلى شيلى منذ خمس سنوات ليجرب حظه وهو لا يكتب لها إلا مرة واحدة فى العام، ولكنها تنتظره فى صبر وإخلاص.. وهذه أرملة فقدت زوجها فى الحرب الأهلية. وهى لاتزال فى بهاء الشباب ومع هذا فهى لا تأذن لنفسها فى تسلية.. تلبس السواد دائماً.. وتذهب إلى الكنيسة لتصلى لروحه، وهذه أرملة مصارع ثيران، دخلت إلى الدير قبل أن تبلغ الثلاثين لتكرس حياتها للصلاة على روح الفقيد.. ومن أشهر أغانيهم التى ترددها سيدات أسبانيا أغنية تقول: (لقد تزوجت بحبيبى.. لم تعد بى حاجة إلى عينى.. لأننى أرى بعينيه، ولا لقلبى.. لأننى أحس بقلبه.. ولا للدنيا.. فدنياى فؤاده).

الرجل مثل الورقة المالية

الجميل فى المرأة الأسبانية أنها تبحث عن (الرجل) بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. إنها لا تفتش عن شكله أو جماله، ولا تبحث عن أناقته أو ظرف حديثه أو كثرة ماله. بل تبحث عن الرجل الكامل الذى يستطيع أن يقيم البيت ويفعل كل شئ فى سبيله عن حب لزوجته وأبناؤه فيما بعد. إنها تؤمن بأن الرجل مثل الورقة المالية لا ينقص

من قيمتها أنها مشوهة بالية، المهم عندها قيمة الرجل الحقيقية. أما شكله وهندسته فأمور لا تدخل فى حسابها.

أى الثياب كنت أرتدى

يجب على الرجال إحتمال بعض طباع النساء فهى محفورة فى داخلهم. إن معظم الرجال لا يتصورون مدى شغف النساء بالثياب وعنايتهن بالزى والهندام! إنهم ينظرون إلى المرأة وهى تقف أمام المرآة. أو إذا صادفت إمرأة أخرى فى الطريق فإنها تتأملها بنظرات فاحصة وتملأ عينيها من ملابسها وهندامها. فلماذا لا يقدر الرجال المجهود الضخم الذى ترهق المرأة نفسها فى إحكامه حتى تروق فى نواظرهم؟

روى أحدهم أن جدته قبيل وفاتها فى سن الثامنة والتسعين من عمرها أطلعها على صورة ألتقطت لها قبل ذلك بثلث قرن. فلم تتمكن عيناها الكليلتان من النظر إليها، ولكنها ألقت سؤالاً واحداً لا ينسى وهى تستجمع أنفاسها اللاهثة: (أى الثياب كنت أرتدى؟).

تتخيل عجوزاً قرب المائة سنة لا تقوى على الوقوف وفقدت ذاكرتها ولم تعد تتعرف على بناتها، لاتزال برغم ذلك تهتم باستطلاع الهندام الذى كانت ترتديه قبل ذلك بثلاثة وثلاثين سنة!

لعل القراء الأعزاء لا يجدون رجلاً واحداً يهمه أن يتذكر أى الحلل أو القمصان أو الكرافتات كان يلبس منذ خمس سنوات أو حتى خمسة أيام، ولكن النساء يختلفن تماماً!! وهذه حقيقة يجب أن يعيها الرجال حتى لا يظلوا يصدمون طوال حياتهم. أنه شئ فى دم حواء وبناتها منذ بدء الخليقة. يوم أن إرتدت قميصاً من أوراق التين.

لماذا يكون الرجل هو الرأس وليس المرأة ؟

ذكر الأستاذ لويس بجامعة أكسفورد فى كتاب (آداب السلوك المسيحى) ما يلى:

تتعهد الزوجة المسيحية فى رابطة الزواج أن تطيع زوجها، والرجل فى الزواج المسيحى هو (الرأس) وهنا يشير بعضهم أو على الأصح بعضهن إلى سؤالين :

١- لماذا هذا الرأس؟.. ولماذا لا تكون مساواة؟..

٢- ولماذا يكون الرجل هو الرأس؟.. والجواب هو :

١- إن الحاجة إلى رأس، ناشئة عن الفكرة بأن الزواج علاقة مستديمة ثابتة، وطبعاً مادام الوفاق قائماً بين الزوج والزوجة فلا مجال للتحدث أو التفكير فيمن هو الرأس، وهذا هو الوضع الطبيعى الذى نرجوه فى كل زواج مسيحى، ولكن إذا وقع شقاق فما الذى يحدث؟ الشئ الطبيعى هو بذل الجهد لإزالته بالعتاب الودى والكلام العاقل، ولكن إذا فرض أنهما فعلا كل هذا ولم يصلا إلى اتفاق، فما الذى يفعلانه بعد

ذلك؟ لا يمكن تسوية النزاع بأغلبية الأصوات لأن مجلسهم مؤلفا من اثنين فقط لا أغلبية فيه، لاشك أن الذى يحدث هو أحد أمرين :

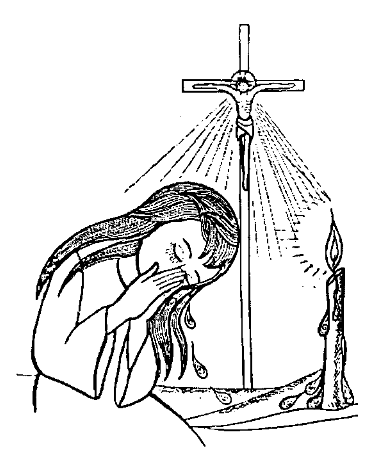
أ- فإما أن ينفصلا ويذهب كل منهما لحال سبيله، وإما أن يكون لأحدهما القول الفصل، ومادام الزواج رابطة مستديمة فلابد أن يكون لأحد الطرفين فى آخر الأمر حق تقرير سياسة وسلطة ما تشرف عليها.

ب- وإن كانت هناك ضرورة للرأس فلماذا يكون الرجل؟ وقبل كل شئ هل يذكر أحد أو يرغب فى أن تكون المرأة هى الرأس ؟ أعتقد أن المرأة ذاتها لا ترغب أن تسيطر على رجلها إذا كانت تحبه، فإن سلطة الزوجات على الأزواج شئ غير طبيعى، والمرأة العاقلة الحكيمة لا ترضاها، بل المرأة بصفة عامة تخجل من هذا الموقف وتحتقر الرجل الذى تكون هى رأساً له.

إن كان الزوج والزوجة على قدم المساواة فى كل الأمور، إلا أنه فى أمور الترتيب والإدارة فى العائلة يكون الرجل رأس المرأة والكتاب المقدس صريح فى هذه النقطة فى كل أجزاءه من التكوين للرؤيا.. ولكن كم من نساء فى العائلات المسيحية يقلبن الأوضاع إذ يقمن بدور الرجال.

خاطئات قديسات ولسن خاطئات تائبات

المرأة لها كل الصفات البشرية المتكاملة يزيدها العمق فى الحب والعاطفة أكثر من العقلانية التى تسيطر على كثير من الرجال . لذلك وجدنا فى هذه العاطفة أن النساء التائهات تحولن إلى تائبات . من خاطئات إلى قديسات ، وليس من خاطئات إلى تائبات . لأنهن اتجهن نحو الله بكل هذه العاطفة العجيبة و بكل قوتها. فكانت طاقة روحية جباره ساعدت على النمو فى الدرجات الروحية .



البـاب الثـانـي

المـــــرأة في اليهوديــــة

صـــورة الله في الرجـــل والمـــرأة

من الجدير بالذكر أن الله عندما خلق الجنس البشري (آدم في العبريـــة) " ذكـــراً وأنثي خلقهم " علي صورته (تك ١ : ٢٧ ، ٥ : ١، ٢ ، مت ١٩ : ٤) . فلم يخلقهم ذكراً فقط أو أنثى فقط . فصورة الله إذاً تظهر في الرجل كما في المرأة علي السواء . أما المميزات الخاصة بكل جنس من الجنسين فهي لازمة لأنعكاس طبيعة الله . فكلمة ـــ إمرأة ـــ (ايشا) توحي بما منحه الله إياها من حساسية ومواهب في مجـــال العاطفة ، مما يلزم لحفظ الجنس البشري و تقدمه . فلدي المـــرأة حساســية خاصـــة لحاجات الإنسان ، مما يساعدها علي أن تفهم بفطرتها مواقف الآخرين ومشـــاعرهم . ولأن المرأة خلقت من الرجل ولأجل الرجل (تـــك ٢ : ١٨ ـــ ٢٣) فـــإن الكتـــاب المقدس يجعل الرجل رأساً للمرأة .

تقوم سيادة الرجل علي المرأة علي أساس أسبقيته في الخلق

تقوم سيادة الرجل علي المرأة علي أساس أسبقيته في الخلق ، وليس علي أســـاس الأفضلية (١تي ٢ : ١٢ ، ١٣) ، فالفرق ليس في الأفضلية بل في أن لكل منهمـــا وظيفته في الحياة . فقد خلقت المرأة لتكون للرجل " معيناً نظيره " (تـــك ٢ : ١٨ ، ٢٠) . أي معيناً مناسباً له أو حرفياً " متجاوباً معـــه " . فهـــي إذاً مكملـــة للرجـــل وضرورية لتكميل كيانه . فالرجل والمرأة مخلوقان متساويان متكاملان . كل منهمـــا يعتمد علي الآخر .

حواء أخذت إسمان هما إمـــــرأة وحـــواء

حواء أخذت إسماً يدل على رقى طبيعتها . فآدم سُمى آدم لأنه من أديم الأرض أو لأنه خُلق من التراب الأحمر فاصبح آدم من هذا التراب الأحمر . ولكن حواء أخـــذت اسم إمرأة ، لأنها من إمرئ أُخذت وليس من التراب أُخذت .

ثم سُميت حواء بعد أن ولدت بنين لأنها أم لكل حى . فاصبح الإســـم الأول يـــدل على طبيعتها ، والإسم الثانى يدل على أمومتها .

لم يكن للذكر مثل حظ الأنثيين

صار لحواء إسمان وآدم صار له إسم واحد ولم يكن للذكر مثل حـظ الأنثيين . عاشت المرأة مع الرجل مساوية له . هذه واجهة قصة الخليقة ونرى فى الحياة أن المرأة استطاعت أن تمارس جميع الوظائف فصار هناك ملكات من النساء سواء منهن من لم يتزوجن من ملوك أو الملكات اللواتى كان لهن اسم بارز فى التاريخ وانمحت أمامهن صورة الملوك .

الوضع الأصلى للمرأة الذى حدده الله من بدء الخليقة

لنبدأ بالنظر إلى الوضع الأصلى للمرأة الذى حدده الله من بدء الخليقة ، حيث نقرأ فى سفر التكوين أن حواء كانت مع آدم فى جنة عدن على قدم المساواة قبل السقوط إذ قال الكتاب أنه " من البدء خلقهما ذكراً وأنثى " (تك ١ : ٢٧ ، مت ١٩ : ٤) . إلى أن أغويت حواء وأكلت من ثمرة الشجرة وسقطت ، وهذه للأسف حقيقة لا مفر من الإعتراف بها ولا سبيل لنا إلى إنكارها أو تبريرها . وهكذا نشاهد فى مسرحية التاريخ أن المراة فى هذا الوقت سقطت من مجدها ومنزلتها وصارت السيادة للرجل ، وجاء القول الإلهى . " وهو يسود عليك " (تك ٣ : ١٦) وذلك حتى تكون له الشخصية المستقلة ولا يكون تابعاً فى الشر فيما بعد .

ولعل بطرس الرسول رأى هذه الحقيقة فتحدث عن المرأة " كالإناء النسائى الأضعف " وذكر ان سارة كانت تطيع إبراهيم زوجها داعية إياه سيدها (١ بط ٣ : ٥ ــ ٧) . وقال بولس الرسول أن " آدم جبل أولاً ثم حواء .. وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى " .

الله خلقها ضلعاً يطوق قلب الرجل

خلق الله المرأة ضلعاً يطوق قلب الرجل ليحبها، وتحت إبطه ليحميها، ولم يخلقها من قدمه لئلا يدوسها، أو من رأسه لئلا تسيطر عليه وللإسلام رأي آخر، ففي حديث لرسول الإسلام يقول (خلقت المرأة من ضلع أعوج) (١)

---

(١) يقول صاحب كتاب احلي ما قيل في المرأة في صفحة ٣٤٨ : " يجب أن نفهم وأن يفهم الناس حقيقة حديث رسول الله (صلي الله عليه و سلم) (خلقت المرأة من ضلع أعوج) .مهمة المرأة حنانية أي أنها بطاقة العاطفة تؤدي مهمتها . والضلع الأعوج يؤدي مهمته . فإعوجاج ضلوع القفص الصدري يجعلها قادرة علي حماية وصيانة القلب والرئتين ولو كانت الضلوع مستقيمة . هل كانت تحقق الحماية للقلب والرئتين ؟! . أى أن اعوجاج الضلع هنا ليس سبأ للمرأة كما يفهمه بعض الناس . ثم يتقدم مؤلف كتاب أحلي ما قيل في المرأة بالشكر لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي في إزالة اللبس وتبديد الغموض الذي اكتنف هذه النقطة فاستطاع ان يصل إلى كثير من الأفهام التي التبس عليها الأمر وتمكن من إرجاع كل فكرة إلى أصلها ووضع الأمور في نصابها الصحيح ..

المرأة كانت ملكاً للرجل

كان للمرأة في المجتمع اليهودي مركز ثانوي ، بل كانت تعتبر ملكاً للرجل " فأجابت راحيل، وليئة وقالتا له ألنا أيضاً نصيب وميراث في بيت أبينا ، ألم نحسب منه أجنبيين . لأنه باعنا وأكل أيضاً ثمننا . إن كل الغني الذي سلبه الله من أبينا هو لنا ولأولادنا . فالآن كل ما قال لك الله فافعله " (تك ٣١ : ١٤ ، ١٥) ..

" فقال بوعز يوم تشتري الحقل من يد نعمي تشتري أيضاً من يد راعوث المؤآبية امرأة الميت لتقيم إسم الميت علي ميراثه ... وكذا راعوث المؤآبية امرأة محلون قد اشتريتها لي امرأة لأقيم إسم الميت علي ميراثه ولا ينقرض إسم الميت من بين أخوته ومن باب مكانه . أنتم شهود اليوم " (را ٤ : ٥ ، ١٠) .

الله يرفض التفريق في الميراث

لم يكن للبنات عادة نصيب في الميراث عند موت الأب " فتقدمت بنات صلفحاد بن جلعاد بن ماكير بن منسي من عشائر منسي ابن يوسف ... ووقفن أمام موسي والعازار الكاهن وأمام الرؤساء وكل الجماعة لدي باب خيمة الإجتماع قائلات .أبونا مات في البرية ولم يكن في القوم الذين اجتمعوا علي الرب في جماعة قورح . بل بخطيته مات ولم يكن له بنون . لماذا يحذف إسم أبينا من بين عشيرته لأنه ليس له ابن . أعطنا ملكاً بين أخوة أبينا . فقدم موسي دعواهن أمام الرب . فكلم الرب موسي قائلاً ، بحق تكلمت بنات صلفحاد فتعطيهن ملك نصيب بين أخوة أبيهن وتنقل نصيب أبيهن إليهن ، وتكلم بني اسرائيل قائلاً أيما رجل مات وليس له إبن تنقلون ملكه إلى ابنته ، وإن لم تكن له إبنة تعطوا ملكه لأخوته . وإن لم يكن له أخوة تعطوا ملكه لأخوة أبيه . وإن لم يكن لأبيه أخوة تعطوا ملكه لنسيبه الأقرب إليه من عشيرته فيرثه. فصارت لبني اسرائيل فريضة قضاء كما أمر الرب موسي (سفر العدد ٢٧ : ١ـ ٨).

لقد ظهر فى سفر العدد مدى إهتمام الرب بإعطاء بنات صلفحاد حقهن فى الميراث وحقهن فى إختيار أزواجهن . (سفر العدد ٢٧ : ١ ـ ٨) ، (سفر العدد ٣٦ : ٦).

للمرأة كرامتها خاصة كزوجة وأم

كان للمرأة كرامتها و بخاصة كزوجة أو كأم " أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك علي الأرض التي يعطيك الرب إلهك " (خر ٢٠ : ١٢) .. " تهابون كل إنسان أمه وأباه وتحفظون سبوتي " (لا ١٩ : ٣) .. " إذا كان لرجل ابن معاند ومارد ، لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما . يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ، ويقولان لشيوخ مدينته . ابنناهذا معاند ومارد لا

يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير . فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتي يمــوت فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل اسرائيل ويخافون " (تث ٢١ : ١٨ ــ ٢١) . فكان لإهانتها أو عدم إكرامها عقوبة صارمة (لا ٢٠ : ٩ ، تث ٢٧ : ١٦).

المرأة والحياة الدينية والإجتماعية والسياسية

ــــ امتدحت الشريعة المرأة العاملة ، وقدرت المراة التى تعمل فى التجارة وتــدخل إيراداً مالياً لأسرتها (أم ٣١) .

ــــ كان للمرأة شركة في الحياة الدينية للمجتمع (تث ١٢ : ١٢ ، ١٨ وا صم ١ : ٧ ــ ١٩ ، ٢٤ ، ٢ : ١٩) .

ــــ اشتركت المراة فى جوقة الترانيم فى الحرب . وكانت المرأة قائدة للترنيم مثــل مريم أخت موسى التى قادت الشعب فى موسيقى النصر (خروج ١٥) وحنة أم صموئيل كانت تعبيراتها من الشعر العبرى غاية فى الروعة (١ صم ٢) .

ــــ اشتركت في الهيكل والجنازات والخدمات الدينية .

ــــ اشتركت فى الذبائح وفى الموائد المقدسة والولائم الروحية العظمى .

ــــ كانت تشترك في الفنون مثل الغناء والرقص (خر ١٥ : ٢٠ و قض ٢١ : ١٩ ــ ٢١ و ٢ أخ ٣٥ ، ٢٥) .

ــــ و في رعي الأغنام (خر ٢ : ١٦) . و في نسج الأغطية الدقيقة لخيمة الشهادة (خر ٣٥ : ٢٥ ، ٢٦) .

ــــ و كانت تشارك في مجال الأعمال والممتلكات والمشاريع التجارية (أم ٣١ : ١٦ و أع ٥ : ١) .

ــــ وفي نسج الكتان للثياب والخيام (أم ٣١ : ٢١ و أع ١٦ : ١٤ ، ١٨ : ٢ ، ٣).

ــــ بل أن البعض منهن لعبن دوراً هاماً في الحياة السياسية والحربية مثــل دبــورة (قض ٤ : ٤ ــ ٩ ، ٥ : ١ تث ٣١) . و بتشيع (١مــل ١ : ١١ ــ ٣١) . والمرأتين الحكيمتين في إسرائيل (٢صم ١٤ : ٢ ــــ ٢٠ ، ٢٠ : ١٦ ــ٢٢). و خلده النبية التي أرسل الملك يوشيا يستشيرها في أمر سفر الشريعة الذي وجد في الهيكل . (٢ مل ٢٢ : ١٤ ــ ٢٠) .

ــــ إشتركت فى أعياد الفصح والخمسين والمظال وكان يمكنها كالرجل أن تنذر نفسها كما وجدت النبيات مثل خلدة النبية (٢ أخ ٣٤) .

المرأة تمتلك مواهب القيادة ومواهب التأثير

نسمع عن الملكة أستير مثلاً . صارت ملكة لأنها زوجة ملك لكن المهم فى حياتها أنها قادت شعباً بأسره للخير .

نسمع عن الملكة حتشبسوت والملكة كليوباترا . فالملكة حتشبسوت ، كل أخوتها الملوك كانوا تحت قوة تفكيرها وقوة شخصيتها . وكليوباترا جميع الملوك الذين عاشت معهم كانوا تحت سلطتها .

المرأة من أول حياتها قامت بعمل قيادى حتى بالنسبة للرجل وذلك بغض النظر عن أن حواء قادت آدم بطريق الخطأ ، لكنها قادته فكان لها موقف قيادى . أقصد أنها كانت تمتلك مواهب القيادة ومواهب التأثير . وإن كانت حواء قد قادت آدم بطريق خاطئ بحسن نية أو بجهل من غير أن تقصد أنها تقود إلى الطريق الخاطئ .

إمرأة قادت نبياً وقائداً لجيش وملكاً

إن موهبة القيادة لا تنقص المرأة . فنرى فى التاريخ نساء كثيرات قدن رجالهن بمهارة وقوة. من هذه الأمثلة (أبيجايل) التى مدح داود النبى حكمتها وقادته فى طريق الخير ومنعته عن الخطية وعن أن يثأر لنفسه .

إمرأة قادت رجلاً وليس رجلاً عادياً ، قادت نبياً وقائداً لجيش وملكاً .

عندما وقف زوجها نابال موقف العداء لداود الملك ورفض أن يلبى طلب داود واحتقر كلامه وأعاد جيش داود مهزوماً خجلاً ، صرخ داود فى رجاله يقول " تقلدوا كل واحد منكم بسيفه وهلموا ورائى " وعزم داود ورجاله على الإنتقام لكرامتهم وقال داود (أيجسر ذلك الرجل اللئيم أن يتجاهل داود ؟ هل يقول من هو داود ومن هو ابن يسى ؟ سأريه من هو داود ومن هو ابن يسى ؟) ولما سمعت ابيجايل زوجة نابال أن داود عازم على الإنتقام ، وقال لها رسول داود بهذا الكلام " الآن اعلمى وانظرى ماذا تعملين لأن الشر قد أعدّ على سيدنا وعلى بيته " أعدت أبيجايل هدية من خرفان وزبيب وتين وخلافه وحملتها للعبيد أمامها وذهبت بها إلى داود وفى الطريق تقابلت مع داود الذى حين عرف بقدومها نزل لإستقبالها ، ولما رأته أسرعت ونزلت عن حمارها وسقطت أمام داود على وجهها وسجدت إلى الأرض وسقطت على رجليه وقالت له على أنا يا سيدى هذا الذنب ودع أمتك تتكلم فى أذنيك واسمع كلام أمتك " لا يضعن سيدى قلبه على الرجل هذا ، على نابال لأن كأسمه هكذا هو ، نابال اسمه والحماقة عنده وأنا أمتك لم أر غلمان سيدى الذين أرسلتهم ، والأن يا سيدى حى هو الرب وحية هى نفسك أن الرب قد منعك عن إتيان الدماء وانتقام يدك لنفسك .. اصفح عن ذنب أمتك لأن الرب يصنع لسيدى بيتاً أميناً لأن سيدى يحارب حروب الرب ولم يوجد فيك شر كل أيامك " فقال داود لأبيجال : مبارك الرب إله إسرائيل الذى أرسلك هذا اليوم لإستقبالى ومبارك عقلك ومباركة أنت لأنك منعتنى اليوم عن إتيان الدماء وانتقام يدى لنفسى .. اصعدى بسلام إلى بيتك انظرى قد سمعت لصوتك ورفعت وجهك "

إمرأة (قاضية) قادت الشعب و قادت قائدالجيش (١)

نذكر (دبورة) القاضية التى كانت تقود الشعب وفى نفس الوقت قادت قائدالجيش . و نسمع اليوم آراء كثيرة تنادى بأن المرأة لا تصلح للقضاء لأنها عاطفية سريعة التأثر تستند فى أحكامها إلى قلبها أكثر مما تستند إلى عقلها . لكننا نقرأ من آلاف السنين فى (سفر القضاة ٤ ، ٥) عن (دبورة) قاضية الشعب وقائدته وبدونها لم يتمكن باراق من الهجوم على (سيسرا) مما يدل على مدى النفوذ الجبار الذى كان لها . قال لها باراق " إن يكون لك فخر فى الطريق التى أنت سائر فيها. لأن الرب يبيع سيسرا بيد إمرأة فقامت دبورة وذهبت مع باراق إلى قادش " . (قضاة ٤).

---

(١) الإسلام له رأى آخر، ففي كتاب أحلى ما قيل في المرأة للكاتب الأستاذ عبد الحميد عيسي غازي والذي نشرته مكتبة التراث الإسلامي جاء في صفحة ٤٠ من كتابه " ولنستمع معا إلى هذه الكلمات التي تجسد لنا الحقيقة ومما يقال في طبيعة منطق المرأة أنه منطق يهتم بالأشخاص أكثر مما يهتم بالوقائع . وقد أملي هذا المنطق عليها طبيعة حياتها النفسية باعتبارها مخلوقاً يتعامل في العادة مع الأفراد والأشخاص لا مع الأفكار والمبادئ ، فالرجل في الغالب حريص علي تطبيق المبدأ العام ، وأما المرأة فإنها لا تعرف سوي الحالات الخاصة ، والرجل في العادة إن طلب إليه أن يصدر حكماً لا يفكر إلا في مخالفة القانون باعتبارها واقعة تستلزم الإدانة بينما المرأة إن وضعت موضع القضاء فإنها لا تفكر إلا في مصير فرد معين

أقول ولعل هذا المنطق الخاص بالمرأة واحد من الأسباب التي جعلت القضاء أمراً محظوراً عليها في عرف الفقهاء .. ذلك بأن تشريعات الإسلام موسومة بالكلية ورعاية المصلحة العامة ، فلابد للأحكام المبنية علي هذه التشريعات أن تكون كذلك ، وذلك بأن قياس أية واقعة يطلب فيها حكم ما بالمقياس الفردي ، قد ينأي القاضي عن تحري الدقة وتوخي العدالة ، كما أن الركون إلى المقياس الفردي لا يسلم من النزول علي حكم العاطفة ، ومن ثم لم تقبل شهادة امرأة واحدة مع رجل واحد ، بل اشترط أن يشهد رجل وامرأتان لتذكر إحداهما الأخري عند ضلالها أو نسيانها ، قال الله تعالي : (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخري) (البقرة ٢٨٢) أ.هـ

المرأة إذن في الغالب الأعم إذا حضرت جلسة نحتاج إلى شهادتها عما دار فيها تلتفت إلى مظاهر الحاضرين وملابسهم وهندامهم وألوان هذه الملابس وهل هي متناسقة أم لا ، إلى غير ذلك من المظاهر ، وقلما تلتفت إلى جوهر ما يقال والأحداث التي جرت في تلك الجلسة وترتيب الوقائع التي جرت

المرأة فى المجال القومى

ومثلنا هنا استير الملكة ، نجمة الإمبراطورية الفارسية العظيمة .

كانت فتاة مؤمنة بالله لم تترك إيمانها عند أعتاب القصر الملكى ، بل حملته معها وحرصت على قوته ونقائه ونموه . ليست الحياة مع الله حياة مظاهر في القصور الملكية فكيف بك فى قصر ملك وثنى شرير يعيش فى المجون والخلاعة والفساد والشر ولكن الله حرس وصان إيمانها فى أرض الأوحال .. أنظر إليها وهى تستعد للنضال من أجل شعبها وخلاصهم كيف نادت جواريها ومردخاى للإشتراك معها فى الصلاة والصوم ثلاثة أيام (أستير ٤ : ١٦) .

وكانت الفتاة قومية أظهرت استعدادها للموت من أجل شعبها . رأت الخطر وتحسسته وأقدمت عليه . لم تكن عجوزاً فانية شمطاء بينها وبين القبر خطوات قصار حتى تفكر أن تختزلها وتلغيها باسم المحبة والتضحية . لكنها كانت فتاة في ريعان شبابها وجمالها ، ومع ذلك أدركت الخطر وأقدمت عليه وصاحت : " إذا هلكت هلكت لأنى لا استطيع أن أرى الشر الذى يصيب شعبى وأرى هلاك جنسى " . لقد فعلت ما فعله موسى عندما " أبى ان يُدعى إبن إبنة فرعون مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله عن أن يكون له تمتع وقتى بالخطية حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر " (عب ١١ : ٢٤ ــ ٢٦) . وإن كان موسى قد أخطأ طريق الخدمة في خلاص شعبه ، فقتل وهرب معتمداً على حكمته البشرية ، إلا أن استير قد عرفت طريق الإيمان السليم بأن صامت وصلت هى وشعبها وواجهت الخطر بشجاعة نادرة فقد كان الملك أحشويرش همجياً متغطرساً وكانت أوامره هى شريعة مادى وفارس التى لا تنسخ ، لكنها آمنت أن للرب فى الموت مخارج وإن الله المسيطر على النظم والنواميس والقوانين لا يعجز عن أن يتخطى قانون مادى وفارس وكان لها حسب إيمانها وكان خلاص شعبها بيديها .

علي الرجال حضور الأعياد الثلاثة . أما النساء فإذا استطعن

علي الرجال فقط من اسرائيل ان يذهبوا لإحياء الأعياد الرئيسية الثلاثة في أورشليم (خر ٢٣ : ١٧) . وهذا الإستثناء بسبب متاعب السفر واحتمالات الحمل وضرورة رعاية الأطفال في البيت (١صم ١ : ٢٢) . ولكن كان لها كامل الحق في الإشتراك في هذه الأعياد ، متي كان ذلك في استطاعتها (عد ٦ : ٢ و تث ١٦ : ١١ ــ١٤). بل كانت تستطيع الذهاب إلى خدمات رأس الشهر والسبت بدون زوجها (٢ مل ٤ : ٢٣) . وكانت تستطيع أن تبشر بكلمة الله (مز ٦٨ : ١١) . و يبدو أن وجود فناء خاص للنساء يقتصر علي دخولهن إليه ، في هيكل هيرودس (كما يذكر يوسيفوس) لم يكن أمرا كتابيا ، بل جاء نتيجة إختلاط اليهود بالعالم اليوناني (في العصر بين العهدين) ، فقد كانت النساء في المجتمع اليوناني القديم يعتبرن أدنى من الرجال ، إذ كانت المرأة تعتبر في مرتبة وسطي بين الأحرار والعبيد . فكانت الزوجات تعيش حياة منعزلة فيما يشبه العبودية . إذ كانت مفاهيم الحشمة والوقار ــ أعظم الفضائل عند المرأة اليهودية ــــ مفاهيم غريبة عن الأخلاقيات اليونانية .

فضـــائل النســـــاء

النساء لم تنقصهن أيضاً الفضائل المتعددة التى تكون الشخصية فى كمالها . لعـل أجمل الأمثلة فى فضائل النساء مثال عجيب (راعوث) التى أحبت حماتها أكثر مما تحب إمرأة فى الوجود حماتها . ونتيجة لذلك جاء المسيح من نسلها لأجل تلك الفضيلة العجيبة فيها .

وكذلك حنة بنت فنوئيل فقامت حنة بعدما أكلوا في شيلون وبعدما شربوا وعـالي الكاهن جالس علي الكرسي عند قائمة هيكل الرب . وهي مرة النفس فصلت إلى الرب وبكت بكاء.... "(١صم ١ : ٩ ـــ ١٧) . " فصلت حنة وقالت فرح قلبي بـالرب ارتفع قرني بالرب إتسع فمي علي أعدائي لأني قد ابتهجت بخلاصك " (١صم ٢ : ١ ـ ١٠)

شريعة العهد القديم وحقوق المرأة

لقد أعطت شريعة العهد القديم للمرأة حقوقاً وضمانات كثيرة أهمها :

الشريعة ساوت بين الأب والأم فى الاحترام

" أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض " (خر ٢٠ : ١٢) . " من سب أباً أو أماً موتاً يموت " (تث ٥ : ١٦) .. " ملعون من يستخف بأبيه وأمه " (تـث ٢٧ : ١٦) .. " العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة أمها تقورهـا غربـان الـوادى وتأكلها فراخ النسر " (أم ٣٠ : ١٧) .

الشريعة أعطت المرأة الصالحة تقديراً كبيراً

أعطت الشريعة المرأة الصالحة تقديراً كبيراً إذ يقول كاتب الأمثال " مـن يجـد زوجة يجد خيراً وينال رضى من الرب " .. " إمرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللألئ " (أم ٣١ : ١٠)

جاء فى المشنا " أن الرجل مدين بالإحترام الكثير لزوجته لأنه عن طريقها يصـل إلى النجاح وجاء أن " وفاة زوجة صالحة خسارة كبيرة لزوجها كخراب أورشليم " .

أسفار كاملة بأسماء سيدات

ومما يذكر أيضاً عن أهمية دور المرأة فى الكتاب المقدس وجــود أســفار كاملــة بأسماء سيدات مثل راعوث واستير ويهودت و نفس هذا الشئ نجده في العهد الجديــد (انظر المرأة في المسيحية). (*)

بعض آيات الكتاب المقدس عن المرأة

ـــ دعي الإنسان عموماً بمولود المرأة، فيقول الكتاب: "الإنسان مولود المرأة قليــل الأيام وشبعان تعباً" (اي ١:٤١).

ـــ امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ.. بها يثق قلب زوجها.. تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها.. تشتغل بيدين راضيتين.. سراجها لا ينطفيء فــي الليل .. تمد يديها إلى المغزل.. تبسط كفيها للفقير وتمد يديها إلى المسكين.. تفتح فمها بالحكمة وفي لسانها سنة المعروف" ام ١٠ ـــ ١٣).

(*) للإسلام موقف آخر حيث يري أن الرسل من الرجال لا من النساء وقد جاء فــي (كتــاب أحلي ما قيل في المرأة الطبعة الأولي صـــ٢٢٢ تأليف عبد الحميد عيســي غــازي ــ مكتبــة تالتراث الإسلامي) تحت عنوان .. الرسل من الرجال لا منهن قوله : [قال الحافظ ابن كثيــر : يخبر الله تعالي أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء وهذا قول جمهور العلماء ، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة . أي أن الله تعالي لم يوح إلى امرأة من بنات آدم وحي تشــريع ، وزعم بعضهم أن سارة إمرأة الخليل ، وأم موسي ، ومريم بنــت عمــران أم عيســي نبيــات ، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، وبقوله : (وأوحينا إلــي أم موسي أن أرضعيه) الآية ، وبأن الملك جاء إلى مريم فبشرها بعيسي عليه السلام ، وبقولــه تعالي إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله إصطفاك وطهرك واصطفاك علي نساء العــالمين يــا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين).

وهذا القدر حاصل لهن ، ولكن لايلزم من هذا أن يكن نبيات فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لاشك فيه أ. هـ

أقول : وإنما كان وحي التشريع خاصاً بالرجال دون النساء لأن المرأة لها من نظامها الفطــري واختصاصها المنزلي ما يعوقها عن توفية الرسالة الإلهية حقها ، والقيام بها حق القيــام بتلقيهــا وتبليغها ، ومن أكبر موانعها الفطرية الحمل والولادة ، وحضـــانة الأطفـــال وتـــربيتهم وتـــدبير المنزل، وإدارة شئونه ، وقد اقتضت طبيعة الأنوثة أن تسقط الشريعة عن النساء الصـــلاة زمـــن الحيض والنفاس ، ووجوب الجماعة ، والجمعة والعيدين ، وخصت الرجال بالقتـــال ، وحمايـــة الديار ، والدفاع عن الحق بالقوة ، وحكمة هذا التخصيص وعلته طبيعة كل من الذكر والأنثي ، ونظام فطرته التي فطره الله عليها (لا تبديل لخلق الله ولكن أكثر الناس لا يعلمــون) علـــي أن القيام بأعباء الرسالة فوق ذلك كله ، والله يصطفي من خلقه ، ويختص برحمته من يشاء فيجعلــه من أنبيائه ورسله : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم علي بعض للرجال نصيب مما اكتســبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله) أ.]

ـــــ "المرأة ذات النعمة تحصل كرامة" (ام ١١:٦).
ـــــ " طوبي لمن يتقي الرب ويسلك في طرقه.. امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك" (مز ١:٨٢١، ٣).
ـــــ "البيت والثروة ميراث من الآباء، أما الزوجـــة المتعقلة فمن عند الـــرب" (ام ٩١:٤١).
ـــــ "من يجد زوجة (صالحة) يجد خيراً وينال رضي من الرب" (ام ٨١:٢٢).
ـــــ "الرب هو الشاهد بينك وبين إمرأة شبابك التي أنت غدرت بهـا وهـي قرينتـك وإمرأة عهدك.. فاحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه، لأنه يكره الطلاق قال الرب" (ملاخي ٢:٤، ٦١) .
ـــــ "عهداً قطعت لعيني فكيف أتطلع في عذراء" (أيوب ١٣:١).
ـــــ "المرأة الفاضلة تاج لبعلها، أما المخزية فكنخر في عظامه" (أمثال ٢١:٤).
ـــــ "حكمة المرأة تبني بيتها والحماقة تهدمه بيدها" (أمثال ٤١:١).
ـــــ "الحسن غش والجمال باطل. أما المرأة المتقية الرب فهي تمدح" (ام ١٣:٠٣).
ـــــ "المرأة الجاهلة صخابة حمقاء ولا تدري شيئاً" (ام ٩ :٣١).
ـــــ "السكني في زاوية السطح خير من إمرأة مخاصمة وبيت مشترك" (ام ١٢:٩).
ـــــ " لأن شفتي المرأة الأجنبية تقطران عسلا وحنكها أنعم من الزيت، لكن عاقبتهـا مرة كالأفسنتين حادة كسيف ذي حدين، قدماها تنحدران إلى الموت، خطواتهـا تتمسك بالهاوية" (امثال ٥:٣) .

المرأة الوحيدة التي حذرنا منها المسيح

قال السيد المسيح : " أذكروا إمرأة لوط " (لو ١٧ : ٣٢). إن إمرأة لوط صارت مثالاً بل تمثالاً ونصباً تذكارياً علي طريق سدوم وعمورة يروي للعالم كلـه ولجميـع الأجيال قصة حزينة تحذرنا من الإرتداد والنظر إلى الوراء.

لقد أحبت المسكينة سدوم الشريرة وملاهيها وصداقاتها وخالفت الوصية الصريحة " أهرب لحياتك ولا تنظر إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة لئلا تهلـك" (تـك ١٩ : ١٧) وبذلك خسرت الفرصة الأخيرة لخلاصها. كانت زوجة لوط البار وقريبة ابراهيم رجل الإيمان العظيم ولم تنتفع من ذلك وضاعت! أنها كانت المرأة الوحيدة التي اتخذها المسيح مادة لتحذيره جميع المؤمنين ولاسيما المبتدئين في الحياة الروحية من محبـة العالم والارتداد ونظرة الخلف والعرج بين الفرقتين.. إنذار من ثلاث كلمات " اذكروا إمرأة لوط ".

نســـاء شـــــريرات

ـــــ " فم الأجنبيات هوة عميقة ممقوت الرب يسقط فيها " (أم ٢٢ : ١٤) .
ـــــ " لا تعط حيلك للنساء ولا طرقك لمهلكات الملوك " (أم ٣:٣١).

ـــــ " لحفظك من المرأة الشريرة من حلق لسان الأجنبية . لا تشتهين جمالها بقلبك ولا تأخذك بهدبها . لأنه بسبب إمرأة زانية يفتقر المرء إلى رغيف خبز وإمرأة رجل آخر تقتنص النفس الكريمة . أيأخذ إنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابـــه . أو يمشي إنسان علي الجمر ولا تكتوي رجلاه. هكذا من يدخل علي إمرأة صاحبه . كل من يمسها لا يكون بريئاً

إمـــــرأة زانيـــــة

" لأن شفتي المرأة الأجنبية تقطران عسلاً وحنكها أنعم من الزيت لكن عاقبتها مرة كالأفسنتين حادة كسيف ذي حدين (أم ٥ : ٣ ، ٤).

" أما الزاني بأمرأة فعديم العقل المهلك نفسه هو يفعله . ضرباً وخزياً يجد وعاره لا يمحي(أم ٦ : ٣٢ ـــ ٣٣) .

عقـــاب المـــرأة

" وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً وإلـــي رجلـــك يكـــون إشتياقك وهو يسود عليك" (تك ٣:٦١) .

إشتهـــاء إمـــرأة

ـــــ لا تشته بيت قريبك . لا تشته إمرأة قريبك ولا عبـــدة ولا أمتـــه ولا ثـــوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك " (خر ٢:٧١ .

ـــــ عهداً قطعت لعيني فكيف أتطلع في عذراء (اي ١٣:١ .

و قد اكد السيد المسيح علي فضيلة عدم اشتهاء امرأة الغير فقال " وأما أنا فـــأقول لكم إن كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زني بها في قلبه " (مت ٥:٨)

من نساء الكتاب المقدس (العهد القديم)

حـــــواء أم كل حـــــى

أعطى الرب آدم حواء لتكون معينة له فى حياته فتكمل نقصه ، لم تستطع جنـــة عدن بكل ما فيها من أشجار وأنهار وشموس وأقمار أن تسعد آدم ، لكن حـــواء هـــى التى أسعدته ، وإن كانت قد أخرجته بعد ذلك من الجنة بسبب عصيانها كلام الله ، إلا أن آدم لن ينسى أن حواء ملأت فراغ حياته !!

ســـارة أم المؤمنين

كانت مثال الطاعة لزوجها والإحترام لرجلها فكانت تدعوه [سيدى] وكانت أمـا عظيمة للمؤمنات حتى أن بطرس الرسول أشار إلى ذلك فقال " كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعية إياه سيدها التى صرتن أولادها " (١ بط ٣ : ٦) وكانت مثال الصبر والإيمان فلما أن تأخرت فى الولادة لم تنسب هذا التأخير لزوجها فتعيره أو تجـرح كرامة رجولته ، بل صبرت ولما نفذ صبرها سمحت له أن يأخذ جاريتها هاجر لكـى تنجب له نسلاً ، وكانت أيضاً فى هذا الموقف محبة لرجلها أكثر من محبتها لنفسها .

راحيـــل الجميلـــة

ذكر عنها سفر التكوين فقال " وأحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين براحيل إبنتك الصغرى " (تك ٢٩ : ١٨) .

سمعت كثيراً عن زوجات دفع فيها الثمن الكبير ، سمعت عن المهور العالية ولكن لم تستهونى قصة كقصة راحيل التى ظن عريسها أنه اشتراها بسبع سنوات (أشـغال شاقة) فى الحقل، ولكن صاحب السلعة غدر به وغالطه فى سبع سنوات أخرى!!) .

راعــوث الوفيـــة

المراة العظيمة التى احترمت حماتها (نعمى) ولصقت بها ولم تشـأ أن تتركهـا وحيدة بائسة بعد أن ترملت ومات ولداها ، وطلبت حماتها من راعوث ان ترجع إلى بلادها لتبحث لها عن زوج آخر عوض الذى مات سيما وأنها لا تزال بعد فى مقتبـل العمر ، لكنها رفضت وفاء منها لحماتها ، اسمعوها تخاطب حماتها فتقول : " لا تلحى على أن أتركك وأرجع عنك ، لأنه حيثما ذهبت أذهب ، وحيثما بت أبيـت ، شـعبك شعبى والهك إلهى ، حيثما مت أموت وهناك أندفن ، هكذا يفعل الرب بى وهكذا يزيد إنما الموت يفصل بينى وبينك " .

حنـــة أم صـموئيل

صلت حنة ليمنحها الرب ولداً ، ولكن لا ليكون لها ، بل ليكون للرب ، اسـمعوها تقول " لأجل هذا الصبى صليت فأعطاني الرب سؤلي الذي سألته من لدنـه ، و انـا ايضا قد أعرته للرب " (١ صم ١ : ٢٧) .

نذرت حنة نذرها للرب فاستجاب الرب لنذرها ، وعندما ولدت صـموئيل سـلمته للهيكل وتقول للكاهن " حى هو الرب وحية هى نفسك ياسيدى أنا المرأة التى وقفـت أمامك تصلى ، وقد أعارنى الرب هذا الإبن فأنا أرده ليخدمه كل أيام حياته "

" فصلت حنة وقالت فرح قلبي بالرب ارتفع قرني بالرب إتسع فمي علي أعدائي لأني قد إبتهجت بخلاصك ليس قدوس مثل الرب لأنه ليس غيرك . وليس صخرة مثل إلهنا (١صم ٢ : ١ ، ٢) .. مخاصموا الرب ينكسرون . من السماء يرعد عليهم . الرب يدين أقاصي الأرض ويعطي عزاً لملكه ويرفع قرن مسيحه " (١ صم ٢ : ١٠).

ميكال عاشقة داود

سمعت عن داود الذى قتل جليات الجبار ، والموسيقار الذى يلعب بأوتار القلوب ، فأحست بأوتار قلبها تميل إليه ، دافعت عنه وأنقذته من بطش الملك شاول أبيها .

يوكابد أم موسى

يوكابد التى هذبت موسي وجعلت منه زعيماً عظيماً ، فقد كانت السنوات الثلاث – سنوات حضانتها للطفل – هى الأساس الراسخ فى حياة موسى ، وهنا نجد خطورة سنوات الطفولة التى على الأم أن تهتم بها .

مريم النبية

أخت شقيقة لموسى النبى وتكبره قليلا ، وكان لها دور بارز فى قيادة شعب إسرائيل ، وكان لها كل الفضل بعد الله فى نجاة الطفل موسى شقيقها ، لأنها هى التى أقنعت الأميرة المصرية أن تتبنى موسى وهى التى بحكمتها قدمت أمها مرضعة وحاضنة له وبعظمة عملها سجل لها التاريخ اسمها بجانب اسمى موسى وهارون فيقول " يا شعبى ماذا صنعت بك وبماذا أضجرتك ، أشهد على ، إنى أصعدتك من أرض مصر وفككتك من بيت العبودية وأرسلت أمامك موسى وهرون ومريم " !! ولا ننسى لمريم أيضاً أنها صاحبة المقولة المباركة " رنموا للرب فإنه قد تعظم " (خروج ١٥ : ٢١).

صفورة زوجة موسى

رغم أن موسى تربى فى قصر فرعون ، والقصر كان مليئاً بالبنات الجميلات يلبسن كل جديد من حلى ومجوهرات ، ويرتعن فى ثياب العز والبهاء ، إلا أن موسى غضّ طرفه عن كل أميرات القصر واختار ابنه الكاهن وإبنة الشرف وهذا درس لشباب الجيل !!

الملك سليمان يسجد لأمـــه

يحدثنا الكتاب المقدس في الأصحاح الثاني من سفر الملوك الأول عن صورة رائعة من صور احترام الأم وإكرامها إلى درجة تقرب من التقديس. فقد حدث عقب تـولي سليمان الملك أن أمه بتشبع دخلت إليه لتتوسط لديه في طلب خاص بأخيـه - غيـر الشقيق - ادونيا، وهنا يقول الكتاب: " فدخلت بتشبع إلى الملك سليمان لتكلمـه عـن ادونيا. فقام الملك للقائها وسجد لها وجلس علي كرسيه ووضـع كرسـياً لأم الملـك فجلست عن يمينه" (١ مل ٢ : ١٩).

وجدير بالذكر أن السجود هنا ليس سجود العبادة فهذا لا يجوز تقديمه إلا لله وحده عملا بالوصية " للرب آلهك تسجد وإياه وحده تعبد " (تث ٦ : ١٣، مـت ٤ : ١٠)، وإنما هو سجود الاحترام مثل سجود إبراهيم لضيوفه وسجود لوط للملاكين (تك ١٨ :٢، ١٩: ١) والمطانيات التي تقدم للبابا البطريرك.

ليتنا نعلم أطفالنا في البيت والكنيسة هذه الصـورة الجميلـة مـن آداب الكتـاب والبروتوكول الملكي في إحترام الأبناء وإكرامهم لأمهاتهم.

القابلتـــــان

وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين أسم إحداهما شفرة وإسم الأخري فوعـة وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرا منهن علي الكراسي إن كان إبناً فاقتلاه وإن كان بنتاً فتحيا ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر بل استحيتا الأولاد .. "(خر ١ : ١٥ ـــ ١٧) .

أم شمشـــون

فتراءي ملاك الرب للمرأة وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدي ولكنك تحبلين وتلـدين إبناً. والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً فها إنك تحبلين وتلدين إبناً ولا يعل موسي رأسه لأن الصبي يكون نذيراً لله من الـبطن وهـو يبـدأ يخلص إسرائيل من يد الفسطينيين.

حنـــة بنت فنوئيل

وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمة في أيـام كثيـرة . وقـد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها . وهي أرملة نحو أربع وثمـانين سـنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً فهي في تلك الساعة وقفـت تسـبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء في أورشليم " (لو ٦٣:٢-٨٣).

دعابة : هل نسيت يا حبيبتي أنه لا يوجد غيرنا في الجنة

قيل أن آدم كان يتحدث إلى زوجته حواء عند شاطئ أحد أنهار الجنة وكانت أشعة الشمس تتلألأ علي المياه وتعكس جمالها وأيضاً كان خيال آدم وحواء ظاهران علـــي صفحة المياه . فنظرت حواء إلى المياه فوجدت صورة زوجها وهي لا تدرك أن مـــا رأته إنما خيال . لقد عرفت ظل زوجها ونظرت إلى جوار هذا الظل فوجدت امـــرأة ولم تكن تعرف أن هذا الظل إنما هو ظلها هي نفسها فراحت تهاجم زوجها الذي يقف إلى جوار امرأة أخري وأخذت تصف هذه المرأة أنها قبيحة ودميمة و...الخ .. فقـــال لها آدم هل نسيت يا حبيبتي أنه لا يوجد غيرنا في الجنة . إن هذه المرأة التي تحدثت عنها هي أنت . فخجلت وصمتت. ولكنها المرأة.هل فهمت المرأة يا رجل ؟؟ .

الزواج فى ضوء الكتاب المقدس

ناموس الزواج بواحدة :

إن شريعة الله منذ البدء يوم أن خلق الله آدم وحواء كانت رجـــلاً واحـــداً وامـــرأة واحدة. لذلك قال آدم عن امرأته " هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمـــى. هـــذه تدعى امرأة لأنها من أمريء أخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصـــق بامرأتـــه ويكونان جسدا واحداً " (تك٢: ٢٣و ٢٤).و لا فرق في المسيحية بين شخص وآخر فالمسيحية تمنع تعدد الزوجات للجميع سواء الملوك أو الأمراء أو أى شخص مهمـــا كان مقامه بل إنها لا تسمح لرجل الدين الذي توفت زوجته أن يرتبط بزوجة ثانية في الوقت الذي تسمح بذلك لغيره .

مضــــار تعـــدد الزوجات فى العهد القديم

إن زواج إبراهيم بهاجر لم يكن بأمر الله ولكنه تم حسب مشورة سارة (تـــك١٦: ٢). وقد أوضح الكتاب المقدس نتيجة هذا الخطأ، وبين كيف كان نزاعاً شـــديداً بـــين الضرتين سارة وهاجر (تك١٦: ٤-٦) وبين ولديهما، حتى انتهى النزاع بطرد هاجر وإبنها (تك٢١: ٩-١٤). وما كتب ذلك إلا لنعرف الضرر البالغ من تعدد الزوجات، ويحذر الوقوع فيه.

وزواج يعقوب بابنتى لابان وجاريتهما كان من نتيجته الوخيمة تحاسد الزوجـــات وغيرتهن بعضهن من بعض (تك٢٩: ٣١-٣٥) و (٣٠: ١-٢٠) وتنازع أولادهن وما كان من وراء ذلك هو بيع أخيهم يوسف إلى مصر وغشهم ليعقوب أبيهم بالقميص الملون حتى اعتقد يعقوب أن ابنه يوسف أكله وحش ردئ (تك٣٧: ١-٣٦).

وزواج داود بعدد من الزوجات (٢صم٥: ١٣) فيكفى أن ذكره الكتـــاب المقـــدس بجميع أضراره المريرة، فقد قام النزاع بين أولاد داود المولودين من نسائه العديدات، فقتل كل من أمنون وابشالوم وادونيا! وسبب ذلك أن امنون أذل أخته ثامـــار وكانـــت

شقيقة ابشالوم، فقتل ابشالوم أمنون ثأراً لشقيقته (١صم١٣: ٣٢) وهرب أبشالوم (٢صم ١٣: ٣٧) وثار على داود أبيه وأذل سرارى أبيه العشرة (٢صم١٦: ٢٠-٢٢) فقتل جيش داود ابشالوم بعد حرب طاحنة (٢صم١٨: ١٥) ولما ملك سليمان قتل أخاه ادونيا شقيق ايشالوم (١مل٢: ٢٥).

لقد ذكر الكتاب المقدس أخطاء إبراهيم ويعقوب وداود لكى لا يصيبنا ما أصابهم كما قال الإنجيل، فهذه الأمور أصابتهم مثالاً وكتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور (١كو١٠: ١١).

وقد حبذ سفر النشيد وهو من أسفار العهد القديم الزواج بواحدة فقال " واحدة هى حمامتى كاملتى. الوحيدة لأمها. عقيلة والدتها هى. رأتها البنات فطوبنها " (نش٦: ٩).

سليمان الحكيم والأسرة المثالية

لعل أعظم الشخصيات التى استطاعت أن تقدم لنا وصفاً موجزاً للأسرة المثالية ، كان هو سليمان الحكيم ، فلقد لخص لنا كل جوانب هذه الأسرة الفاضلة فى كلمات قوية وأسلوب عميق يجمع فيها وصفاً للزوجة والزوج والأولاد إسمعوه يقول : " إمرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ ، بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة ، تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها ، تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين ، هى كسفن التاجر تجلب طعامها من بعيد ، وتقوم إذ الليل بعد ، وتعطى أكلاً لأهل بيتها وفريضة لفتياتها ، تتأمل حقلاً فتأخذه ، وبثمر يديها تغرس كرماً ، تمنطق حقويها بالقوة وتشدد ذراعيها ، تشعر أن تجارتها جيدة ، سراجها لا ينطفئ فى الليل ، تمد يديها إلى المغزل وتمسك كفاها بالفلكة ، تبسط كفيها للفقير ، وتمد يديها إلى المسكين ، لا تخشى على بيتها من الثلج لأن كل أهل بيتها لابسون حللاً ، تعمل لنفسها موشيات ، لبسها بوص وأرجوان ، زوجها معروف فى الأبواب حين يجلس بين مشايخ الأرض . تصنع قمصاناً وتبيعها وتعرض مناطق على الكنعانى ، العز والبهاء لباسها ، وتضحك على الزمن الآتى ، تفتح فمها بالحكمة ، وفى لسانها سنة المعروف ، تراقب طرق أهل بيتها ولا تأكل خبز الكسل ، يقوم أولادها ويطوبنها ، زوجها أيضاً فيمدحها ، بنات كثيرات عملن فضلاً أما أنت ففقت عليهن جميعاً ، الحسن غش والجمال باطل أما المرأة المتقية الرب فهى تمدح . أعطوها من ثمر يديها ولتمدحها أعمالها فى الأبواب "

أربعة عشر عاموداً للأسرة والمرأة المثالية

إن ما ذكره سليمان الحكيم في (أمثال ٣١ : ١٠ ــ ٣١) يتمثل في ١٤ عموداً ترتكز عليها الأسره المثاليه و هي:

١ ــ الفضيلة " إمرأة فاضلة ثمنها يفوق اللآلئ "
٢ ــ موضع ثقة " بها يثق قلب زوجها ، فلا يحتاج إلى غنيمة "
٣ ــ سبب بركة " تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها "

٤ ــ حكيمة مدبرة	" تطلب صوفاً وتشتغل بيدين راضيتين "
٥ ــ ساهرة حكيمة	" سراجها لا ينطفئ فى الليل "
٦ ــ تقــدس العمل	" تمد يديها إلى المغزل ، وبثمر يديها تغرس كرماً "
٧ ــ رحيمة كريمة	" تبسط كفيها للفقير وتمد يديها إلى المسكين "
٨ ــ تحترم زوجها	" زوجها معروف فى الأبواب وفى مجالس الشيوخ "
٩ ــ تنظر للمستقبل	" لا تخشى من الثلج لأن أهل بيتها لابسون حللاً "
١٠ ــ حكيمة عاقلة	" تفتح فمها بالحكمة وفى لسانها سنة المعروف "
١١ ــ مفتوحة العينين	" تراقب طرق أهل بيتها ولا تأكل خبز الكسل "
١٢ ــ زوجها يقدرها	" يقوم زوجها أيضاً فيمدحها "
١٣ ــ التقوى جمالها	" الجمال باطل أما المرأة المتقية الرب فهى تمدح "
١٤ ــ موضع تكريم	" أعطوها من ثمر يديها ولتمدحها أعمالها فى الأبواب"

الرجل رأس المرأة والمرأة تاج فوق رأس الرجل!

الرجل رأس المرأة .. هذا حق .. ولكن الكتاب المقدس أيضاً يقول إن " المرأة الفاضلة تاج على رأس رجلها " (حز ١٦ : ١٢).

ولذلك فالمرأة فوق رأس الرجل .. ولكن ليس كل إمراة ، بل المرأة الفاضلة التى عناها سليمان عندما قال " إمرأة فاضلة من يجدها لآن ثمنها يفوق اللآلئ " .

المرأة الفاضلة والحكيمة

المسألة إذن ليست أفضلية رجل على إمرأة إنما المسألة : أى رجل وأية إمرأة ؟ !!

لذلك عندما يتحدث الوحى عن الرجل كأساس للأسرة فإنما يضع شروطاً له اسمعوه يقول " مبارك الرجل الذى يتكل على الرب وكان الرب متكله ، فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه ، وعلى نهر تمد أصولها ولا ترى إذا جاء الحر ويكون ورقها أخضر ، وفى سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار " (أرميا ١٧ : ٧) .

وهذه البركة التى يمنحها الله للرجل كرأس للأسرة يوضحها الرب فيقول " إذا سمعت لصوت الرب إلهك ، مباركاً تكون فى المدينة ، ومباركاً تكون فى الحقل ، ومباركة تكون ثمرة بطنك ، ثمرة أرضك وثمرة بهائمك نتاج بقرك وإناث غنمك ، مباركة سلتك ومعجنك ، مباركاً تكون فى دخولك ومباركاً تكون فى خروجك ، يجعل الرب أعدائك القائمين عليك منهزمين أمامك ... يأمر لك الرب بالبركة فى خزائنك وفى كل ما تمتد إليه يدك ويباركك فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك " (تث ٢٨ : ١ ــ ٨)

ولما كانت المرأة ملكة الأسرة ، لذلك كان لزاماً عليها أن تتصف بالحكمة لأن " الحكمة بنت بيتها نحتت أعمدتها السبعة " . (أم ٩ : ١) ولأن " المرأة الحكيمة تبنى بيتها والمرأة الجاهلة تهدمه بيدها " (أم ١٤ : ١) .

الباب الثالث

المـــــرأة في المســـيحية

الفصل الأول

القديسة مريم العذراء أعظم إمرأة في كل الوجود

ليس من المعقول أن نتحدث عن المرأة ولا نتحدث عن أعظم النساء جميعاً وهـي القديسة مريم العذراء . فإذا كانت المرأة التي سكبت الطيب على قدمي السيد المسيح قد استحقت أن يقال عنها " حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يذكر ما فعلتـه هـذه المرأة تذكاراً لها " . فكم يكون الإكرام اللائق لمن لم تسكب الطيب على قدمي المسيح ، بل سكبت القلب طيباً ثميناً . وقد تنبأت العذراء وقالت : " هوذا منذ الآن كل الأجيال تطوبني " . ولم تبرح عالمنا حتى رأت وسمعت تحقيق هذه النبوة . إذ بامرأة ترفـع صوتها من الجمع وتقول : " طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين رضعتهما ".

ليس للفرد حق اختيار أمه ولكن السيد المسيح إختار أمه

ليس للفرد حق في أن يختار أمه ، وله أن يختار زوجته ، ولكن السيد المسيح لـه المجد إختار أمه لتكون إناءً مقدساً لحلوله " لأنك قد وجدت نعمة عند الله "(لـو ١ : ٤٦). فإذا كانت هذه منزلة القديسة مريم العذراء وكرامتها فكيف تكرمها الكنيسة ؟

الكنيسة تكرم وتطوّب القديسة مريم العذراء

اولا : صوم العذراء.
ثانياً : تسمية الكنائس والأديرة باسمها.
ثالثاً : أعياد بإسم القديسة مريم العذراء.
رابعاً : إطلاق إسمها المبارك علي بناتها.
خامساً :إنارة الشموع أمام الأيقونات المقدسة.
سادساً : التأمل في فضائلها وصفاتها (أنظر كتابنا العذراء . أعظم جميع النساء).

المرأة وجدت فى المرأة محامياً عنها

أخطأت المرأة (حواء الأولي) ولكنها وجدت فى المرأة ـــــ القديســـة مـريم العذراء ـــ (حواء الثانية) محاميـاً عنهـا كمـا يقـول القـديس غريغوريـوس

(الثيئولوغوس) الناطق بالإلهيات . وهكذا صارت العذراء مريم هى شفيعة ومحامية حواء كما قال القديس إيريناوس (إن المخالفة العذراوية عادلتها من الناحية الأخرى طاعة عذراوية أيضاً) . لذلك رفع الله عن المرأة هذه العقوبة التى نالتها نتيجة السقوط " وهو يسود عليك " فصرنا نقرأ فى العهد الجديد أنه " لا فرق بين ذكر وأنثى فى المسيح يسوع " (تك ٣ : ٢٨) . وفى (١ كو ١١) يقول " ليس الرجل من دون المرأة ولا المراة من دون الرجل فى الرب " . بل أن القديس بطرس الرسول يعتبر أن " عدم إعطاء المرأة كرامتها يعيق الصلاة " (١ بط ٣ : ٧) وهكذا أيضاً تكون المساواة فى السماء إذ " هناك يكونون كملائكة الله " والملائكة ليس بينهم ذكراً وأنثى كما تعلمون (مت ٢٢ : ٣٠) .

حواء الأولي وحواء الثانية

دعي القديس بولس الرسول الرب يسوع المسيح له المجد بآدم الثاني أو آدم الأخير وعقد عدة مقارنات بينه وبين آدم الأول في الأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولي والأصحاح الخامس من الرسالة إلى رومية قوله " صار آدم الانسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً.. الانسان الأول من الأرض ترابي . الانسان الثاني الرب من السماء.. لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيا الجميع " (١ كو ٥١: ٢٢، ٥٤ ، ٧٤)

وأساس هذه التسمية أن آدم هو الرأس والأب الأول للبشرية من ناحية الجسد، وأن السيد المسيح يعتبر الرأس والأب الأول للبشرية من ناحية الروح

وعلي ذات القياس نستطيع أن نسمي القديسة مريم العذراء بحواء الثانية باعتبارها الأم الجديدة والروحية للبشرية. وهذه التسمية ليست مبتكرة ولكن لها صدي في أقوال الآباء

أشهر امرأتين في الوجود

ولعل السيدة حواء الأولي ، والسيدة العذراء مريم أو حواء الثانية، هما أهم وأشهر امرأتين في تاريخ العالم . كما أنه لا غني لإحداهن عن الأخري، فلولا حواء الأولي لما وجدت حواء الثانية ، ولولا حواء الثانية لما خلصت حواء الأولي وكل نسلها

أن الخطية والموت واللعنة التي جلبتها حواء الأولي علي الجنس البشري قد أزالتها حواء الثانية إذ قدمت للبشرية مخلص العالم وحسب تعبير القديس اغريغوريوس الثيؤولوغس "إن حواء الأولي وجدت في العذراء خير محام رد للمرأة اعتبارها وكرامتها

تقول الاحصائيات أن هاتين الشخصيتين هما أكثــر الشخصـــيات النســائية التـــي تعرضت لها أقلام الكتاب والأدباء والشعراء والفلاسفة ورجال الدين في أحقاب التاريخ المختلفة وبدرجات تتراوح بين التمجيد والتنديد

أن حواء تمثل المرأة عموما في ملامحها الرئيسية وصفاتها الموروثة والمعروفــة في كل زمان ومكان وان اختلفت بعض الرتوش .

لقد وصفها فيلسوف اليونان الشهير افلاطون بأنها " جاءت بالحب إلى الأرض وأن الحب الذي تزرعه فينا ليس إلا شعاعاً من نور حب الآلهة في السماء

ولكن من الناحية الأخري ندد بها الفيلسوف الألماني شوبنهور الذي عرف بأنه " عدو المرأة " إذ وصفها بكل شر ورذيلة واعتبرها مأساة الوجود التي تركت أبشع الآثار في التاريخ

وهناك من جمع بين التمجيد والتنديد معاً في وصف هذه الكائنة المعقدة فقال : " أن الخالق أودع في حواء جمال القمر، وعمق البحر، وهدير الأمواج ، ولمعان النجوم ، وشعاع النور، وقطرات الندي ، وتقلب الريح ، وعطر الورود ، ورقة النسيم ، وحكمة الحية ، وتلون الحرباء ، شرود الغزال ، وزهو الطاووس ، وشراسة الذئب ، ومكــر الثعلب ، وغدر الزمن ، ولدغة العقرب ، وصوت اليمامة ، وثرثرة الببغاء

ولئن كانت حواء تمثل المرأة في نقصها، فإن العذراء مريم تمثل المرأة في كمالها، وفي صورتها المنقحة ولعلها صورتها الأولي قبل السقوط أو أفضل

أولاً : المــــرأة والحيـــــاة

١ ـ حواء الأولي و الحياة:

حواء اسم عبري معناه (حياة) ، وقد أعطاه آدم لزوجته باعتبارها (أم كل حي) (تك ٣ : ٢٠) وعندما خلق الله الانسان علي صورته ، ذكراً وأنثي خلقهم وبــاركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تك ١ : ٧٢، ٨٣). و مـــن حـــواء خرج ملايين النساء والرجال وامتلأت الأرض كنجوم السماء ورمل البحر من البشر، وصارت حواء الأولي أما لكل إنسان حي جاء أو سيجيء علي ظهــر الأرض حتـــي نهاية العالم ولكن لا يغيب عن البال أن الملايين الذين أعطتهم حواء حياة ، قد استمدوا منها حياة جسدية فقط ــ تحتاج إلى الخلاص . حياة علي الأرض وليست في السماء، لأن الأنسان لا يستطيع أن يعطي أكثر مما يملك ، وفاقد الشيء لا يعطيه. أنها حيـــاة قصيرة سريعة الزوال عتيدة أن تنتهي بموت الجسد والروح معاً ، بموت أدبي وموت أبدي

٢ ـ حواء الثانية والحياة:

أما حواء الثانية فكانت سبب حياة هي الأخري، ولكن حياة أفضل ، حياة روحيـــة أسمي بقدر ما تسمو الروح علي الجسد ، وحياة أعظم بقدر ما تخلد الروح وتعيش إلى الأبد بينما يموت الجسد سريعا ويعود إلى التراب

ومع أن القديسة مريم لم تنجب إلا ابناً وحيداً هو مخلص البشر الذي لـم يتـزوج وينجب ، إلا أن الكتاب يقول عنه بروح النبوة علي فم اشعياء أنه بفدائه " يري نسـلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح" وكان النبي يتحدث هنا عن النسـل الروحـي إذ تبني المسيح ملايين البشر الذين آمنوا به وهكذا قيل أن "كل الـذين قبلـوه أعطـاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس مـن دم ولا مـن مشيئة جسد ولكن من الله ولدوا . (يو ١ : ١٢ ، ١٣) .

ثانياً : المَـرأة والجمـال

١ ـ حواء الأولي والجمال:

كانت حواء الأولي جميلة جداً وتصفها تقاليد اليهود بأنها كانت آيـة رائعـة فـي الجمال أبدع الخالق في صنعها. وهذا مستفاد أيضاً من قول الكتاب أن الله خلقها علي صورته ومثاله قبلما شوهتها الخطية وهناك دليل واقعي ملموس علي جمـال حـواء الفائق، وهو ما نري قبساً منه في جمال معظم بناتها حتي اليوم رغم مـرور ألـوف السنين وعصف الزمن وما أفسدته أمراض الخطية وفقدان الصورة الآلهية الأولي، فكم يكون جمال الأصل قبل النسخ والمسخ

بالسقوط فقدت حواء الجمال الروحي، وربما احتفظت إلى حين بالجمال الجسدي ، ولكن هذا أيضا بدأ يذبل وتدب فيه عوامل التدهور والفناء

٢ ـ حواء الثانية والجمال:

أما جمال العذراء فتحدثنا عنه التقاليد القديمة، كما تصوره ريشة الفنانين المبدعين في رسوماتهم التي اقتبسوها من الصورة التاريخية التي رسمها لها القديس لوقا البشير، وتسابق فنانو عصر النهضة مثل رافاييل وانجلو ودافنشي وموريللـو وغيـرهم فـي إظهار حسنها وروعة جمالها وجلالها، فهي أقرب صور المرأة إلى الأم الأولي حـين كانت في حالة البراءة والطهارة وأقرب الأمثلة للأصل الآلهي المبارك والكامل قيل عنها بروح النبوة " هن عذاري بلا عدد. واحدة هي حمامتي كاملتي . رأتها البنـات فطوبتها الملكات فمدحنها" (نش ٦ : ٨ ، ٩).

غير أن جمال العذراء لم يقتصر علي الجسد ولكن تعداه بالاكثر إلى جمال أفضـل وأمجد هو جمال النفس والروح والصفات والفضائل . أنه جمال النعمة والشركة مـع الله ، جمال العبادة والخدمة وبهاء النقاوة والطهارة والعفة والوداعة وتواضع القلـب والهدوء والوقار والاتزان وحلاوة اللسان وبهجة القلب الفرحان الذي يجعـل الوجـه طلقا. ولذلك قيل عنها إن كل مجد ابنة الملك من داخل "(مـزه٤) وان " الله يجمـل الودعاء بالخلاص" (مز ١٤٩ : ٤) وأن " الحسن غش والجمال باطل وأما المـرأة المتقية الرب فهي تمدح " (ام ٣١ : ٣٠) . انه جمال ملائكي مضيء بتجلي النعمـة التي تملأها

ثالثاً : المرأة والسقوط

١ ـ حواء الأولى (غرقت في الميناء

عاشت حواء في جنة ، أي في أفضل وأقدس جو ومكان وأعطاها الرب السيادة والسلطان مع آدم علي الخليقة ، وكان ذلك كافياً أن يؤهلها لأقدس حياة إذ لم يكن في الجنة شر ولا أشرار ورغم ذلك وعند أول تجربة سقطت حواء ، ومثالها ويا للعجب، مثال السفينة التي تغرق وهي في المنياء وليس في عرض البحر أو في العاصفة العاتية

لقد كانت مسببات السقوط في داخل حواء ، أي في القلب وليست من الوسط الخارجي . ومعني هذا أنه إذا كان الانسان محصناً ومتسلحاً في الداخل فلا تقوي عليه الظروف الخارجية المحيطة مهما كانت شريرة . وبالعكس إذا لم يكن محصناً من الداخل فسوف يسقط ولو كان في أفضل الأوساط

٢ ـ حواء الثانية (انتصرت وسط العواصف):

أما العذراء فقد عاشت أقدس حياة رغم وجودها في الناصرة وكانت مدينة شريرة سيئة السمعة لدرجة أنه عندما دعي فيلبس نثنائيل وقال له " وجدنا الذي كتب عنه موسي في الناموس والأنبياء يسوع الذي من الناصرة " صاح هذا مستتنكراً " أمن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح ؟! "(يو ١ : ٤٦)

فبينما غرقت حواء في الميناء وهي في جنة ، نجت العذراء وانتصرت وسط العاصفة وهي في الناصرة وبذلك تعطينا العذراء درساً هاماً في عدم مسايرة الوسط الشرير وفي امكانية التغلب عليه ، وأنه لا عذر للانسان المتهاون الذي يجاري تيار الشر والخطية معتذراً برداءة الوسط المحيط به . ولا يقبل من الانسان كسر وصايا الله ثم يحتج بالوسط ، كما لا يقبل من المصباح إلا يضيء بحجة ظلام الوسط حوله لأن هذه رسالته أن ينير ويبدد الظلام المحيط

رابعاً : المرأة والسلام

١ ـ حواء الأولى (السلام المفقود):

حواء لم تتلق سلاماً من الشيطان : لقد دخل الشيطان في الحية ، وبدون تحية سأل حواء بخبث مشككا " أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ " (تك ٣: ١) وكما فعل الشيطان مع حواء قديماً ، هكذا لايزال يستعمل نفس السياسة مع اتباعه اولاد حواء الجسديين يجربهم ويحاربهم بدون سلام. " فليس سلام قال الهي للاشرار" (١ ش ٥٧ : ٢١) . الشيطان لا يعرف سلاما وقيل بالمثل عن اولاده واتباعه " طريق السلام لم يعرفوه" (رو ٣:١٧).

٢ - حواء الثانية والسلام الموجود:

العذراء تلقت سلاماً حاراً من الملاك : لقد دخل إليها جبرائيل الملاك وقال لها " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة أنت في النساء.. لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله.. الخ (لو ١: ٢٨ ـــ ٣٠)

وهكذا يتلقي أولاد حواء الثانية سلاماً من الله في كل حين ، فالسيد المسيح هو ملك السلام ورئيس السلام وآله السلام ومانح السلام الذي يفوق كل عقل "(يو ١٤ : ٢٧ ، اش ٩ : ٦ ، رو ١٦ : ٢٠ ، في ٤ : ٦) .

أن سلام الله مبني علي الفداء والمصالحة والغفران (رو ٥ : ١) وهو ثمرة من ثمار الروح القدس التسعة (غل ٥ : ٢٢) .

خامساً : المرأة والإيمـــان

١ - حواء الأولى بين الشك والإيمان:

نجحت الحية في زرع الشك في عقل وقلب حواء عندما قالت لها " كلا لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تك ٣ : ٥). و إذا بحواء تصدق الشيطان وتشك في صدق كلام الله فتكسر وصيته وتأكل بجرأة من الشجرة الممنوعة وتعطي رجلها ايضاً! لقد صدقت الشيطان بأنها لن تموت وستكون مثل الله !! وأدركت بعد فوات الأوان خطأها المميت واعترفت قائلـــة: " إن الحية غرتني " (تك ٣ : ١٣) ولم تصر حواء مثل الله ولكن مثل الشيطان !! وماتت وسط ضحكات ابليس الساخرة منها ، وجلبت الموت علي رجلهـا وعلـي نسـلها . وسوف يظل الشيطان إلى نهاية العالم يضرب الجهلاء بسهام الشكوك في كلام الله وفي استجابة الصلاة وفي قيامة الأموات وفي وجود السماء والجحيم بل في وجود الله نفسه ، وسوف يجد الكثيرين يصدقونه

٢ - حواء الثانية والإيمان:

العذراء تؤمن : وفيما سقطت فيه حواء الأولي ، نجحت حواء الثانية. فقد آمنت بأن الله صادق وأنه قادر علي كل شيء . وتزكي إيمانها واسـتحقت تطويـب القديسـة اليصابات لها بالروح القدس بقولها " طوبي للتي آمنت بأن يتم ما قيل لها مـن قبـل الرب " (لو ١ : ٤٥). يقول الكتاب أنه " بدون إيمان لا يمكن ارضـاء الله "(عـب ١١:٦). وأن أي انسان أو ملاك ينادي بخلاف كلام الله يكون كاذباً محروما وملعوناً (غل ١: ٨) .

وعلي مثال العذراء سيظل أولاد الله يؤمنون بصدق وصحة كل كلمة تخرج من فم الله ويرون ويختبرون فاعليتها في حياتهم

سادساً : المرأة بين الخديعة والإقتناع

١ ـ حواء الأولى تنخدع بمراوغات الشيطان:

من المعروف أن الخطية والموت اللذين دخلا إلى العالم كانا بحسد ابليس للانسان الذي أخذ مكانه ، وأن أول أهداف الشيطان في محاربة الله هو تدمير الانسان الذي خلقه بعده وأحبه ووضعه في الجنة ، ولكن تبقي تساؤلات .. هل عرفت حواء ذلك ؟ وإذا كانت قد عرفت فهل أخفي الشيطان نفسه وتنكر في شكل حية لأنه يستطيع أن يظهر في صور كثيرة خادعة بل ويقدر أن " يغير شكله إلى شبه ملاك نور " ، مثلما كان هو نفسه قبل سقوطه (٢ كو ١١ :١٤) ؟ أم أنه تقمص الحية ونطق بكلماته المسمومة علي فمها كما يتكلم علي ألسنة الأنبياء الكذبة (١ مل ٢٢ : ٢٣، ٢٣) وكما يغير خدامه حتي الآن شكلهم إلى شبه رسل المسيح كخدام للبر؟ (٢كو ١١ : ١٣ ـ ١٥).

ولكن قد يدافع إنسان عن حواء بأنه كان لها بعض العذر إذ لم تر أمامها شيطاناً بل حية ! ولكن هذا العذر مرفوض لأن الحية كانت تحت سلطانها وكان علي حواء أن تشك في كلام الحية وليس في كلام الله خالقها المحب العظيم . نعم أن كل كلام يتعارض مع كلام الله يجب أن يرفض بلا تردد

٢ ـ حواء الثانية تناقش الملاك لتتحقق من إرادة الله:

بينما أخذت حواء الأولي كلام الحية أو الشيطان كقضية مسلمة ، إذا بحواء الثانية ، بكل حكمة وحرص ، تناقش الملاك جبرائيل لتتأكد من مشيئة الله وأنه لا يوجد شيء يتعارض معه . فسألت الملاك واستوضحته " كيف يكون هذا ؟" . وسر الملاك بسؤالها ولم يغضب كما غضب من زكريا الكاهن بل شرح لها بأكثر تفصيل كيفية الميلاد الآلهي المعجزي اللازم لخلاص العالم وشرح لها النبوات الخاصة بذلك (لو ١ ، اش ٧ ، مت ٢١) كما أعطاها العلامة بحبل نسيبتها اليصابات في الشهر السادس وختم رسالته بأنه ليس شيء غير ممكن لدي الله

سابعاً : المرأة وحفظ كلمة الله والثبات فيها

١ ـ حواء الأولى لم تحفظ كلمة الله أو تثبت فيها:

كانت حواء تعرف الوصية وقد ردت بها فعلا علي الحية بالاجمال أو بالتقريب ولكنها زادت عليها كلمة لم يقلها الله، إذ قالت للحية : " من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة ، فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا " (تك ٣:٣). أن الحذف أو الاضافة لكلمة الله هما دليل عدم حفظ وصاياه بجدية ودقة أو الثبوت في وصاياه ، ومن هنا يأتي السقوط، ولذلك يوصي الرب يسوع بالا نحيد عن شريعته يميناً ولا شمالا (يش ١ :٧) ، ويختتم الكتاب المقدس بتحذير مخيف "إن

كان أحد يزيد علي هذا الكتاب يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فيه ، وأن كان أحد يحذف من أقواله يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة "(رؤ ٢٢ : ١٨ ، ١٩) . ولذلك يوصي الرب يسوع أن نثبت فيه ونثبت في محبته ونثبت في كلامه ، وأن ثبتنا في كلامه فبالحقيقة نكون تلاميذه (يو ١٥ : ٤ ، ٧ ، ٨) .

٢ ـ حواء الثانية (العذراء) كانت تحفظ كلمة الله وتلهج فيها:

أما حواء الثانية فكانت تحفظ كلمة الله حفظاً تاماً وتحبها وتلهج فيها وتبتهج بها حتي ان امرأة من الجمع هتفت وقالت للرب يسوع مطوبة أمه العذراء بقولها : " طوبي للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما . أما هو فقال بل طوبي للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه " (لو ١١ : ٢٧ ، ٢٨) .

وكان الرب يؤكد تطويب المرأة لأمه العذراء ليس فقط لحملها إياه في بطنها أو لأرضاعها له ولكن أيضا بسبب حفظها لكلام الله حفظاً رائعاً هو أدري الناس به . ومن أجل حفظ كلام الله اختارها الله للتجسد

أن نشيد العذراء " تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي .. الخ " هو خير دليل علي حفظها لكلمة الله وامتلائها بروحه حتي صار كلامها جزءا من كلمة الله ويسمي نشيدها هذا بمزمور العهد الجديد (لو ١: ٤٦ ـــ ٥٦) .

ثامناً : المرأة والسقوط العظيم

١ ـ حواء الأولى عصت الوصية الوحيدة

لم يذكر الكتاب أن حواء كان لديها أية وصايا أخري خلاف هذه التي كسرتها! ومجرد سماع الوصايا دون العمل بها لا يفيد الانسان بل بالعكس يضره ويدينه

ولذلك شبه السيد المسيح في عظة الجبل الانسان الذي يسمع كلامه ولا يعمل به بالجاهل الذي بني بيته علي الرمل وبمجرد هبوب الريح والأمطار عليه يسقط ويكون سقوطه عظيماً (مت ٧:٦٢، ٧٢) .ويشخص الرسول بولس حالة الانسان الذي اعتاد سماع الوعظ دون العمل به بأنه يكتسب قساوة في القلب وتحجر في المشاعر وضعف في الاحساس بالخطأ وبالتالي يصعب توبته، يقول "عظوا أنفسكم كل يوم، مادام الوقت يدعي اليوم لئلا يتقسي أحد منكم بغرور الخطية" (عب ٣:٣١). مسكين هو الانسان الذي بدون النعمة . انه لا يستطيع حفظ وصية واحدة! ولكنه بالنعمة يستطيع حفظ جميع الوصايا بلا لوم

٢ ـ حواء الثانية (العذراء) حفظت جميع الوصايا بامتياز:

قيل عن زكريا الكاهن وزوجته اليصابات بأن " كانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلالوم " (لو ١:٦) . وهذه شهادة رائعة عن تلك الأسرة ، ولكن كم يكون الأمر أفضل وأروع بالنسبة للفتاة العذراء مريم التي امتدحها الملاك جبرائيل بينما ضرب الكاهن البار زكريا بالخرس تسعة أشهر ؟

مريم التي مجرد سلامها جعل اليصابات تمتلئ بالروح القدس وجعل الجنين (يوحنا المعمدان) أعظم مواليد النساء يسجد بإبتهاج في بطنها تحية للعذراء وإبنها الذي تحمله في بطنها ، وتهتف اليصابات بالروح القدس قائلة : " من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلى ؟ " (لو ١ : ٤٣).

وبينما رسبت حواء الأولي في مادة واحدة ، نجحت حواء الثانية في جميع المواد وأصعب الأمتحانات بامتياز مع مرتبة الشرف مما حاز إعجاب السماء والأرض وتطويب جميع الأجيال لها وكانت وصيتها الذهبية للخدام في عرس قانا الجليل " مهما قال لكم فافعلوه " (يو٢ : ٥).

تاسعاً : المرأة بين الإرتفاع والإتضاع

١ ـ حواء تكبرت فسقطت:

كانت حواء ملكة الجنة وتاج الخليقة بلا منافس، ولكن سموم التجربة الشيطانية سرت في عروقها بمجرد أن أفهمتها الحية بأنه لايزال ينقصها شيء وهو أنها يمكن أن تصير مثل الله نفسه وتكون إلهة بمجرد كسر وصية الله والتمرد عليه والأكل من تلك الشجرة ودفعت الكبرياء حواء بلا تردد إلى إطاعة وتنفيذ التعليمات المضللة لأنها أرادت أن تكون مساوية لله لقد ضرب الشيطان حواء بنفس الضربة التي أسقطته وقضت عليه وهي ضربة الكبرياء عندما قال: " أصير مثل العلي" (اش ٤١ : ٤١) وكان لابد أن تحصد نفس مصير إبليس بالطرد واللعنة والهلاك الأبدي في الظلمة الخارجية ، ومن هنا صارت الكبرياء أشر الرذائل لأنها أسقطت الملائكة والبشر، " وقبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح " (ام ١٦ : ١٨) .

ومتي كانت الكبرياء أول الرذائل وأخطرها، فيكون إلا تضاع أول الفضائل ومفتاح الأمان والبركة والخير والرفعة. فقد كان السيد المسيح كاملا في جميع الفضائل ولكنه لم يقل تعلموا مني إلا في فضيلة التواضع إذ قال: " تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت ١١ : ٢٩)

٢ ـ حواء الثانية العذراء) اتضعت فارتفعت:

من حيث سقطت حواء الأولي بالكبرياء ، نجحت وانتصرت وإرتفعت حواء الثانية بالاتضاع . فقد كانت القديسة مريم تملك قلباً وديعاً متواضعاً يسعد بإتمام مشيئة الله وإرضائه . وبمجرد أن سمعت البشارة العظمي قالت : " هوذا أنا أمة الرب . ليكن لي كقولك " (لو ١: ٣٧) . وقد استهلت نشيدها بالقول : " تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لأنه نظر إلى اتضاع أمته " (لو ١: ٤٦ ـــ ٤٨)
ان القاعدة الذهبية التي وضعها الرب يسوع " من وضع نفسه ارتفع " .

هذه التي بلغت عمق الإتضاع رفعها الله إلى قمة المجد لتطوبها جميع الأجيال وتكرمها السماء والأرض ، وقد رأها الرسول يوحنا في رؤياه " متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلي رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً " (رؤ ١٢٢ : ١)

عاشراً : المرأة بين الشهوة والعفة

١ ـ حواء الأولى إنجذبت من شهوتها:

بعد أن حطم الشيطان حاجز الخوف ـ عند حواء ـ من كسر الوصية الإلهية، وسلط الأضواء علي الثمرة المحرمة ، " رأت أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل " (تك ٣ : ٦) . ويشرح القديس يعقوب الرسول ذلك بصورة عامة بقوله: " لا يقل أحد إذا جرب اني أجرب من قبل الله . لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً ، ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطيئة والخطيئة إذا كملت تنتج موتاً " (يع ١ : ١٣ ـ ١٥) .

حصر الرسول يوحنا أهم تجارب ابليس في هذه الثلاثة " شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة " (١ يو ٢:٦١). بتطبيق ذلك علي موقف حواء نجد

ـ شهوة الجسد ممثلة في القول " جيدة للأكل " .

ـ شهوة العيون في القول " شهية للنظر وبهجة للعيون " .

ـ تعظم المعيشة يظهر في أن غرض الأكل والمخالفة كان أن تصير مثل الله أو مساوية له

٢ ـ حواء الثانية (العذراء) قمة في الطهارة والنعمة والتعفف:

أما قديستنا العذراء مريم فقد اشتهت إرضاء الله فقد توصلت إلى قمة الطهارة والتعفف والنعمة ، وقد شهد لها الملاك جبرائيل في تحيته لها بقوله : " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة . الرب معك . مباركة أنت في النساء "(لو ١ : ٢٨) . وأضاف الملاك الجليل مؤكداً ومطمئناً " لا تخافي يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله " . (لو ١ ٣٠) . وقد امتلأت العذراء بالروح القدس حسب قول الملاك " الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك " (لو ١ : ٣٥).

وعندما يحل الروح القدس علي إنسان ويملأه يجعله يشتهي شهوات روحية وسماوية ويقدس جسده ونفسه وروحه ويرفعه فوق مستوي الإحساس بالتجارب والشهوات الأرضية فيكره الخطية والحيدان عن وصايا الله

حادي عشر : المرأة بين (الأنانية والعثرة) و (الخدمة والقدوة)

١ ـ حواء الأولى الأنانية والعثرة:

كانت حواء أنانية عندما طلبت ما لنفسها وليس ما لله، وكانت معثرة عندما لم تكتف بخطيتها بل قدمت الخطية لآدم وشجعته عليها

أن خطية العثرة خطية مزدوجة أو مركبة لأنه لا يعلم أحد مدي امتداد شرها وضررها واذاها للآخرين، أنها متعبهة لكل من تعثره، ولذلك قال الرب يسوع ويل لمن تأتي من قبله العثرة، خير له أن يطوق عنقه بحجر الرحي ويلقي في لجة البحر" .

٢ ـ حواء الثانية (العذراء) إيثار وخدمة مثالية:

أما حواء الثانية فكانت بعيدة كل البعد عن الأنانية وطلب ما لنفسها وكانت ممتلئة بروح الخدمة المثالية، فيوم سمعت من الملاك أن اليصابات نسيبتها حبلي في الشهر السادس ، أسرعت إلى الجبال إلى مدينة يهوذا وذهبت لتقيم معها ثلاثة أشهر تخدمها وتفرح معها، وفي عرس قانا الجليل رأيناها تخدم وتتشفع لأجل انقاذ الموقف إذ كانت خمرهم قد نفذت ، بل أنها قدمت أعظم خدمة للبشرية إذ حملت أعظم هدية هي عطية الله يسوع مخلص العالم وكانت العذراء قدوة لجميع البشر بكمالها وفضائلها التي لا غبار عليها ولا عيب فيها ولا لوم

ثاني عشر : المرأة بين الثرثرة والحكمة الصامتة

١ ـ حواء الأولى ثرثارة ساذجة متقلبة:

تسلل الشيطان عن طريق الحية واستدرج حواء عن طريق تبادل الحوار، ما كان يمكن للشيطان أن يتسلل إلينا ويغلبنا ما لم نعطه نحن الفرصة بالتراخي والكسل والدخول معه في حوار باطل . كان يجب علي حواء أن تصمت ، وكان يلزمها إلا تبادل الحية الحديث، أنظروا أي شر هذا أن نسلم أنفسنا في أيدي أعدائنا والمتآمرين علينا ؟ ألم يحذرنا السيد المسيح " لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم (مت٦:٧) . لقد أعطت حواء القدس للكلاب والخنازير والحيات فداستها بأرجلها ومزقتها.. كان يليق بالانسان أن يدرك العدو والخصم من هذه الاجابة المناقضة لأقوال الله . كان يليق بحواء أن تهرب في الحال من الطعم وتتراجع عن الشبكة . و لكنها كانت ثرثارة إذ دخلت في نقاش مع الشيطان ، وكانت متقلبة إذ رغم ترديدها للوصية بصورة مبالغ فيها بأن لمس الثمرة أو الأكل منها يؤدي إلى الموت ومع ذلك فقد أمسكتها وأكلت منها بل وأعطت رجلها أيضا!! أي أنها لم تعمل بالوصية بل خالفتها وحطمتها بجميع الطرق الممكنة.

٢ ـ حواء الثانية (العذراء) رزينة حكيمة صامتة:

علي العكس من موقف حواء الأولي ، كانت حواء الثانية رزينة متزنة حكيمة قليلة الكلام وميالة إلى الصمت مع التفكير والتأمل ورفع القلب بالصلاة الدائمة الداخلية وحفظ الوصية عقلا وقلبا وعملا فنقرأ عن القديسة العذراء عقب سماعها سلام الملاك العظيم جبرائيل أنها " اضطربت من كلامه وفكرت ما عسي أن تكون هذه التحية " (لو ١:٩٢) في حين لم تضطرب حواء من كلام الشيطان المخالف لكلام الله وخاصة في صدد مسألة حياة أو موت ،

ومرة أخري نقرأ عن تفكير مريم العميق وصمتها وتأملها في عظائم الله بكل هدوء وعدم افتخار وجدال وثرثرة، وذلك عندما جاءها الرعاة في المذود واخبروا عن ظهورات الملائكة لهم والنور العظيم و ... يقول إنجيل القديس لوقا: " وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة. واما مريم كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها " (لو ٢ :١٨ ، ١٩) .

وعندما ذهبت إلى اورشليم في عيد الفصح مع القديس يوسف والصبي يسوع وكان عمره اثنتا عشرة سنة واكتشفا بعد يوم من رحلة العودة أن الصبي يسوع ليس معهما ـ إذ ظنته مع يوسف وظنه يوسف معها لأن تقاليد الحجاج اليهود تفصل بين الرجال والنساء ، كما ظناه بين الرفقة ـ ولما وجداه في الهيكل جالساً في وسط المعلمين ودار بينهما حديث قصير وأجاب يسوع علي انزعاجهما " الم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي " نقرأ بعد ذلك " وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها " (لو ٢ : ٤٩ ـ ٥١) .

وفيما عدا ذلك لا نسمع للعذراء أية احاديث سوي نشيدها الرائع وتسبحتها للرب في بيت القديسة اليصابات وكلمتها المختصرة الخالدة في عرس قانا الجليل " قالت امه للخدام مهما قال لكم فافعلوه" وهي أعظم عظة، مركزة في وصية الطاعة أو طاعة الوصية وعند الصليب كانت واقفة تبكي في ألم الأم اتماماً لنبوة سمعان الشيخ ولكن ايضا في صمت ووقار. ولما أوصي يوحنا تلميذة بها ساعة موته علي الصليب لم تنبس بكلمة واحدة! كانت العذراء حقاً جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم ، أغراسها فردوس بل ينبوع جنات بئر مياه حيه" (نش ٥ : ١٢ ، ١٥) .

ثالث عشر : المرأة بين الهروب أو الإقتراب من الله

١ ـ حواء الأولى هربت من الله واختبأت:

كان من نتائج العصيان والسقوط أن شعرت حواء بالعري والخجل والخوف والندم وتأنيب الضمير فهربت من الله واختبأت خلف أشجار الجنة عند سماع صوته هذا ما تفعله الخطية، تفصل بين الله والانسان وتلقي الخوف والقلق في قلب الانسان وتتعب ضميره وتجعله يخجل من نفسه ولولم يكن هناك انسان آخر معه

يقول سليمان في أمثاله " الشرير يهرب ولا طارد " (ام ٨٢:١)، ويقول اشعياء " لإسلام قال آلهي للأشرار " (اش ٧٥:١٢).

٢ ـ حواء الثانية (العذراء) عاشت في شركة عميقة مع الله:

أما حواء الثانية (العذراء مريم) فقد عاشت منذ طفولتها المبكرة في شركة مع الله وشبعت من حبه وعبادته وخدمته. لقد اختبرت بهجة خلاصة كما يظهر من نشيدها " تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي " (لو ٦٤:١)، تربت في الهيكل منذ نعومة اظفارها وشاركت الملائكة تسابيحها ولذلك فلم تعرف الخوف ولا الخزي ولا

القلق ولم تفكر في الهرب من الله وإنما الهرب من الشر والخطية والعالم أو الهرب إلى الله والاحتماء فيه والتمتع به. لقد اختارت النصيب الصالح الذي لا ينزع منها (لو ١٠ : ٤٢) وتمتعت بسلام الله الذي يفوق كل عقل . كان الله لها ملجأ وقوة وصخرة خلاص عاشت في حياة البر والطهارة وتعلقت به أكثر وانجذبت إليه وثبتت فيه و كرست حياتها لرضاه واتمام مشيئته الصالحة المرضيةالكاملة .

رابع عشر : المرأة بين السقوط والقيام

١ ـ حواء الأولى أسقطت آدم والجنس البشري معها:

كسرت حواء الوصية الإلهية وأعثرت آدم وأغوته واسقطته معها، وهكذا أسقطت الجنس البشري كله معها في الخطية واللعنة والموت يقول القديس بولس الرسول : "كأنما بانسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " (رو ٥ : ١٢) .

اننا لم نرث نفس خطية حواء وآدم ولم نأخذ عقوبتها، ولكننا ورثنا عنهما الطبيعة الخاطئة وجرثومة السقوط والعصيان التي تنتج نفس ثمار الخطية المريرة مثلهما، فصرنا نخطيء ونتعرض لعقوبة خطايانا الخاصة وأجرة الخطية التي هي الموت، ومثلنا في ذلك مثل الأمراض الوراثية كانت حواء الأولي سبب سقوط للعالم، بينما صارت حواء الثانية سبب قيام وخلاص

٢ ـ حواء الثانية (العذراء) كانت واسطة خلاص للبشر:

القديسة مريم العذراء فهي لم تكسر اية وصايا ولم ينسب إليها الكتاب أية خطايا أو عيوب أو عثرات، وإنما تجاوزت ذلك الحد إلى الامتلاء بالنعمة والاكتمال في الفضائل وصيرورتها قدوة كاملة ، رائعة مثالية لبنات حواء وللجنس البشري كله وليس ذلك فقط بل استحقت ببرها وقداستها أن تحوز اعجاب السماء ورضاء الله أن يتخذها سماء ثانية ، فيتجسد منها الرب يسوع المسيح مخلص العالم ففي العذراء القديسة مريم كان العلاج للبشرية من السقوط والموت الذي جلبته حواء. وكانت مريم هي المرأة الموعودة في إعلان الله لآدم وحواء عقب السقوط أن " نسل المرأة سيسحق رأس الحية " (تك ٣:٥١) وبذلك صارت حاملة وموصلة لخلاص الله للبشر

خامس عشر : المرأة وشجرة الحياة

١ ـ حواء الأولى حرمت من الأكل من شجرة الحياة:

ينتهي الأصحاح الثالث من سفر التكوين ، بطرد حواء ورجلها من الجنة واقامة الكاروبيم بسيفه الناري لحماية طريق شجرة الحياة لمنع الانسان من الأكل منها لئلا يحيا إلى الأبد. (تك ٣ : ٢٢ ـــ ٢٤) . ولم يكن قصد الله من ذلك هو حرمان

الانسان إلى الأبد من الحياة الأبدية ، ولكنه قصد في حكمته وحبه ومراحمه الكثيرة أن يمنعه من الحياة إلى الأبد تحت حكم اللعنة والشقاء والطرد. فكان ذلك المنع مؤقتاً حتي يأتي مليء الزمان وتتم المصالحة والفداء ، فكان الحرمان فيه حسب الظاهر قسوة ولكنه في حقيقتته كان عمق الرحمة والحب والاحسان

وبمقارنة فترة الحرمان من شجرة الحياة مع فترة التمتع بها بطول الأبدية نستطيع أن نقول مع المرنم " للحظة غضبه، حياة في رضاه " (مز ٣٠ : ٥) .

٢ ـ حواء الثانية (العذراء) أعادت شجرة الحياة للبشر:

ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة تحت الناموس ليفتدي الذين هم تحت الناموس لننال التبني.. وبما أننا أولاد فنحن ورثة"(غل ٤:٤، ٧) . وكان تابوت العهد الموضوع في قدس الأقداس في خيمة الاجتماع وهيكل سليمان بمحتوياته الثلاثة ، من كلمة الله وقسط المن وعصا هرون التي أفرخت ، رمزاً للعذراء القديسة مريم ، وكانت كلمة الله الممثلة في لوحي الشريعة المكتوبين بأصبع الله وقسط المن الذي يشير إلى جسد المسيح ودمه هما مفتاح شجرة الحياة بل شجرة الحياة نفسها ، فيقول الكتاب " طوبي للذين يعملون وصاياه لكي يكون لهم سلطان علي شجرة الحياة ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة

كما يقول الرب يسوع له المجد لليهود: " آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا.. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء ، أن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد "(يو ٦: ٤٩ ـــ ٥١) ، وقال أيضا " جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق من يأكل جسدي ويشرب دمي تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو ٦: ٥٤ ، ٥٥) .

لقد أكلت حواء الثانية من شجرة الحياة وقدمتها للبشر من جديد في مليء الزمان في صورة ابن الله الحي واهب الحياة الأبدية لكل من يؤمن به والذي كانت ترمز إليه شجرة الحياة في سفر التكوين اصحاح ٣. ولذلك فقد رأيناها تعود في اورشليم الجديدة حيث مسكن الله مع الناس علي شاطيء نهر الحياة البللوري الخارج من عرش الله ولا تكون لعنة ولا موت فيما بعد". (رؤ ٢٢: ١ ـــ ٣) .



الفصل الثاني

المــــرأة .. تقديـــــر وإجـــلال

بعد أن كانت محتقرة ومرذولة جاء المسيح مولوداً من إمرأة فنقلــت المســيحية المرأة من الحضيض ورفعتها إلى السمائيين فيقول القديس بولس الرسول " وأما المرأة فهي مجد الرجل "(١كو ١١:٧) .

" يجب علي الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم " (أف ٥:٨٢) .

" من يحب إمرأته يحب نفسه " (أف ٥:٨٢) .

" فليحب كل واحد إمرأته هكذا كنفسه "(أف ٥:٣٣) .

" أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضــعف معطــين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة " (١بط ٣:٧).

مســــاواة المـــرأة للرجـــال

" لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع " (غل ٣:٦٢) .

" ليس ذكر ولا أنثي لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع " (غل ٣:٨٢) .

" ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضاً الرجل " (١كو ٧:٣) .

" ليس للمرأة تسلط علي جسدها بل للرجل وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط علي جسده بل للمرأة "(١كو ٧:٤).

"ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثي خلقهما الله " (مر ١:٦٠) و " يكــون الاثنــان جسداً واحداً "(مر ١:٨) .

القديسة (مكرينا) إمرأة تتولي القيادة الروحية

القديسة (مكرينا) التى كانت أماً روحية للقديس باسيليوس الكبير وهــى أختــه ، وكانت مرشدة روحية له ، وكانت مرشدة روحية لأخيها القديس غريغوريوس أسقف نيصص الذى كتب سيرتها . ونفس الروح القيادية كانت لجدتها (مكرينا الكبرى) . وهذه الأسرة تتميز بثلاث نساء في درجة روحية عالية الأولى مكرينا الجدة ، وإميليا الأم ومكرينا الإبنة . ولعل إميليا من أبرز الأمّهات لأنه كان من أبنائها أربعــة فــى قيادات روحية : القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كبادوكيا ، والقــديس غريغوريوس أسقف نيس والقديس بطرس أسقف سباستيا . والقديسة مكرينا رئيسة دير ومرشدة روحية . أربعة فى قيادات روحية عديدة أولاد إمرأة قديسة هى إميليــا إبنــة مكرينا .

المرأة فى مجال العمل الروحى والعبادة والخدمة

ـــ فى سفر الأعمال وقفت المرأة إلى جانب الرجل فى العبادة فى العلية (أع ١) .
ـــ كانت ليديا قائدة اجتماع و كان بيتها أول كنيسة فى أوروبا (أع ١٦) .
ـــ فى مجال التبشير والكرازة تقف مريم المجدلية التى بشرت الرسل بالقيامة وكانت إرساليتها من قبل الرب يسوع نفسه ، و ايضا بريسكلا التى بشرت أبولس (أع ١٨ : ٢٦) ونراها نبية كالعذارى وحنة النبية .

الشماسات فى الكنيسة الأولى

وإذا كانت الكنيسة اليوم تقوم بدراسة جادة بإعادة خدمة الشماسات وطقس رسامتهن فإننا نجد فى الكنيسة الأولى شخصية فيبى الشماسة بكنيسة كورنثوس . ولم تكن فيبى صغيرة لأننا نقرأ عنها أنها كانت تسافر بمفردها أسفاراً كثيرة ولم تكن عجوزاً ، وإنما كانت فى سن تمكنها من احتمال مشاق السفر من كورنثوس إلى رومية وغيرها . ويدعو الرسول بولس فيبى اختاً ويصفها إنها كانت زميلة له و لوقا وتيموثاوس وسيلا .

لقد اختلفوا فى معنى كلمة خادمة وقيل أن الكلمة معناها شماسة وهى الكلمة التى أطلقت على الشمامسة السبعة الذين اختيروا لخدمة الموائد. وقيل أنها تعنى أكثر من ذلك أنها الكلمة التى أطلقها الرب يسوع له المجد على نفسه حين قال : " أن إبن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم " . وسواء كان المعنى هذا أم ذاك ، فإن فيبى كانت تخدم كنيسة كورنثوس بالوزنات التى حباها الله بها ولابد أن خدمتها كانت ذات تأثير عظيم وفعال حتى أن الرسول بولس إئتمنها على حمل رسالته إلى كنيسة رومية . ويذكر القديس بولس الرسول فيبى فى تقديم رسالته إلى رومية على أنها صارت مساعدة لكثيرين وله هو أيضاً (رومية ١٦ : ٢) والكلمة الإنجليزية وهى الأقرب لليونانية تعنى أنها كانت مغيثة أو منجدة . ولم يذكر بولس شيئاً من المؤهلات العالمية لفيبى بل ذكر أعظم شئ تميزت به هذه المرأة الفاضلة فيبى الأخت المحبوبة .. فيبى خادمة الكنيسة .. فيبى المساعدة والمنجدة للمؤمنين والخدام .

نساء كانت تقود الرجال روحياً

من النساء اللواتى كانت لهن قيادة بالنسبة للرجال أيضا :
القديسة (ميلانيا) الراهبة المعروفة التى كانت مرشدة روحية للقديس ماراوغريس.
القديسة (سارا) الراهبة .
الأم (سارا) وكان الرهبان يأتون إليها للإسترشاد بها بعدما يكشفون لها أفكارهم .

القديسة (دميانا) كانت مرشدة لأبيها، فعندما خاف من دقلديانوس وأنكر المسيح ، وبخته وقادته مرة أخرى إلى الإيمان وإلى الإستشهاد .

هناك قديسة أخرى خاطئة ، لكن لاشك إنها كانت قديسة وكان لها روح القيادة ، راحاب التى من أريحا ، هى قادت الجاسوسين وكانت أممية فدخلت فى الإيمان وكوفئت بأن صارت جدة للسيد المسيح حسب الجسد ، وكانت لها روح القيادة .

القديسة (مونيكا) وتأثيرها على أغسطينوس إبنها . يعوزنا الوقت إن تكلمنا عن القيادات النسائية التى كان لهن تأثير حتى على الرجال .

المرأة لا تنقصها الشجاعة ولا روح القيادة ولا الشخصية القائدة

ليس معني ذلك اننا نطالب المرأة أن تقود الرجل لكننا نقصد أن المرأة لا تنقصها روح القيادة ولا الشخصية القائدة . كما لا تنقصهاأيضاً الشجاعة . نسمع عن شهيدات عجيبات جداً احتملن عذاباً لا يطاق . والمرأة مشهورة بالتحمل أكثر من الرجل . يكفى أنها تحتمل الرجل نفسه ! بكل ما فى الرجل من حب القيادة وحب للعظمة وحب للرئاسة . طبعاً الذى يحتمل السيطرة أقوى من الذى يتصف بالسيطرة .

القديسة (سرداتو) الشهيدة : ألقيت إلى الوحوش المفترسة ولم تنقصها الشجاعة . القديسة الشجاعة الأم (دولاجى) : التى ذبحوا أربعة من أولادها على حجرها وهى تشجعهم على الإستشهاد . انها من أعظم الأمثله فى كنيستنا .

القديسة (كاترين) وتأثيرها حتى على الفلاسفة وبواسطتها آمنت زوجة مكسيميانوس الإمبراطور .

المرأة لا تنقصها الهيبة وروح الخدمة

نسمع فى الكنيسة الأولى عن مجموعات من الخادمات .

نظام الشماسات

نظام العذارى

نظام الأرامل ، وهذه الأنظمة الثلاثة كانت لها أهميتها فى خدمة الكنيسة . المرأة لم تكن تنقصها القيادة ولا الشجاعة التى هى من صفات الرجال ، ولا الخدمة التى أخذ الرجال نصيباً كبيراً منها . ولم تكن تنقصها الهيبة والوقار التى يتصف بها الرجال .

القديسة (يوستينا)

من أبرز الأمثلة فى تاريخ الكنيسة ــ غير العذراء مريم ــ القديسة (يوستينا) وقصتها مع كبريانوس الساحر . أحبها شاب ولم يستطع أن يصل إليها فلجأ للسحر لكى يصل إليها . وكلما أرسل الساحر كبريانوس شيطاناً من شياطينه ، إلى يوستينا ، يجدها تصلى فيفزع منها ولا يقوى عليها الشيطان . وأخيراً ظهر ضعف السحر أمام

هيبة يوستينا . فكبريانوس لمعالجة خجله جعل أحد الشياطين يتزين بشكل يوستينا وقال للشاب احضر لك يوستينا . وظهر الشيطان فى شكل يوستينا فالشاب أول ما رآها ناداها يوستينا . و بمجرد أن سمع الشيطان اسم يوستينا ، انحل كالدخان وهرب . لم يستطع أن يحتمل مجرد ذكر اسم يوستينا . ما اعظم هيبة هذه الفتاة التى بمجرد ذكر إسمها يجعل الشياطين تنحل وتهرب .

السيد المسيح رفع قيمة المرأة

النساء وجدن حول السيد المسيح بشكل ظاهر جداً . لم يرفع أحد من قيمة المرأة مثلما رفعها السيد المسيح نفسه . رفع قيمة المرأة فى السيدة العذراء التى نسميها ، الملكة القائمة عن يمين الملك (مز ٤٥) . ونقول فى التسابيح فى الكنيسة : " ارتفعت يا مريم فوق السرافيم " . ونذكرها فى صلواتنا مثل رؤساء الملائكة . ففى طفولة السيد المسيح نسمع عن ثلاث نساء يمثلن كل أنواع المرأة : العذراء تمثل البتولية ، إليصابات تمثل الزواج ، حنة تمثل الترمل . وحول الصليب أيضاً نجد ثلاث نساء . ثلاث مريمات . مريم العذراء ، ومريم أختها ، ومريم المجدلية (يو ١٩ : ٢٥) . وفى حياة المسيح نجد نساء كثيرات خدمته وكن يتعبنه (لو ٨ : ٢ ، ٣) . بل حتى النساء الخاطئات لم يجدن مدافعاً عنهن أكثر من المسيح (يو ٨ : ٢ ـ ١١) .

نساء كثيرات طوبهن المسيح

هناك نساء كثيرات طوبهن السيد المسيح كثيراً مثل الكنعانية التى قال لها : " عظيم إيمانك " . والمرأة التى سكبت الطيب وقال لها عبارة يمكن أن تدافع بها النساء ضد الرجال القساة ، عبارة : " لماذا تزعجون المرأة عملاً حسناً قد عملت بى ؟ " فبينما يحاول الرجال مضايقة النساء فذكروهم بهذه الآية . لست أدرى إن كانت هذه الآية تعليقاً عن حادثة معينة أم هى نبوءة . من الأمور العجيبة فى رفع قيمة المرأة ، بواسطة المسيح واهتمامه بها ، أنه فى الأسبوع الأخير وهو فى الطريق إلى الصليب ذهب ليقضى وقتاً فى بيت مريم ومرثا . والمسيح الذى لم يجد راحته فى أورشليم والذى لم يجد راحته عند الكهنة ورؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وجد راحته فى بيت مريم ومرثا . وكانت مريم ترمز إلى حياة التأمل ومرثا ترمز إلى حياة الخدمة . وللآن نستعمل هذا الرمز .

المرأة في العهد الجديد

في العهد الجديد نري القديسة مريم والدة الإله . ونري أيضاً أنها عندما ذهبت بالمسيح مع يوسف إلى الهيكل لتقديم الذبيحة . أستقبلهم إثنان : رجل وإمرأة : سمعان الشيخ . والنبية حنة بنت فنوئيل التي قضت نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وصلوات ليلاً ونهاراً (لو ٢:٦٣- ٩٣) وكما بارك سمعان الله ترنمت حنة أيضاً بالفداء

ويحدثنا الإنجيل عن نسوة كثيرات كن يتبعن الرب ويخدمنه من أموالهن (مر ٥١:٤١) كما يحدثنا عن مريم ومرثا ومحبة الرب لهما (يو ١١:٥) والمرأة السامرية التي كانت واحدة ممن أرسلهن المسيح له المجد ليكرزن بأسمه (يو ٤).

وهناك رسولة أخري هي مريم المجدلية التي تبعت المسيح ووقفت إلى جوار صليبه حتي أستودع روحه يدي الآب السماوي وذهبت باكراً إلى القبر مع النسوة وظلت واقفة أمام القبر الفارغ مع أن الرسولين بطرس ويوحنا عادا أدراجهما بعد أن رأيا الأكفان الموضوعة ، وقد كافأها الرب بأن ظهر لها أولاً قبل ظهورة لغيرها (مر ٦:٩ ، مت ٨٢: ٠١) وأكمل المكافأة بأن جعلها رسولة إلى رسله إذ قال لها " إذهبي وأعلمي إخوتي " ويقول التقليد الكنسي اليوناني إنها ذهبت بعد ذلك إلى رومية حيث أشتكت بيلاطس البنطي إلى قيصر - بينما يستكمل التقليد الكنسي اللاتيني هذه الرحلة فيروي أن اليهود شاءوا الأنتقام منها فوضعوها مع مرثا ولعازر وإثنين من السبعين تلميذاً في مركب من غير دفة ولا مجداف فدفعتها التيارات المائية إلى شواطئ مرسيليا . وهناك حملت مريم البشارة المسيحية إلى أهل المنطقة الجنوبية من فرنسا المعروفة بمنطقة بروفونس

نقرأ أيضاً عن (طابيثا) التي كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات. (أع ٩) كما نقرا عن (بريسكلا) وكانت مع زوجها في رومية وأفسس وكورنثوس قد جعلت من بيتها مكاناً للإجتماع . وفي كورنثوس أخذت علي عاتقها أن تعلم أبلوس الذي يوصف بانه فصيح مقتدر في الكتب وتقديراً لها ذكر بولس اسمها قبل أسم زوجها عند إرسال السلام إليها وكان مقيماً في بيتها (أع ٨١) .

وكثيرات هن النساء اللآئي ذكرهن القديس بولس الرسول في رسائله واللآئي قابلهن في أسفاره . ففي رسالته إلى رومية يوصي علي فيبي خادمة كنيسة كنخريا. إذ يشهد لها أنها ساعدت الكثيرين كما ساعدته هو شخصياً - ويسلم علي ثماني سيدات أخريات يصف ثلاثاً منهم بأنهم تعبن في الرب وواحدة تعبت لأجله بينما يقول علي واحدة أخري منهن أنها أمه (رو ١٦)

وفي رسالته إلى فيلبي يشير إلى سيدتين يقول أنهما " جاهدتا معي في الإنجيل " (في ٤ : ١؛ ٣)

وفي رسالته الثانية إلى تيموثاوس يذكره بانه أخذ الإيمان عن جدته وأمه (٢تي ١ : ٥) وفي رسالته الأولي إلى كورنثوس يقول " غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب "(١كو ١١ : ١١و ١٢)

المرأة في العصور الأولى

قال أكليمنضس الأسكندري - مدير المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية - الذي عاش في أواخر القرن الميلادي الثاني (إن مسيحيتنا فلسفة للنساء كما أنها فلسفة للرجال . فالجنس أمر يزول بزوال الحياة علي الأرض وما قيمة السنوات مهما طالت إذا قيست بالأبدية)

لقد فتح هذا المعلم الأسكندري الكبير أبواب مدرسته للجميع بلا استثناء بل أنه لم يقبل النساء فحسب وإنما قبل حتي المترفهات منهن أيضاً إذ قال (إن الشخصية المهيأة للأبدية يجب أن تتدرب من الآن علي تلك الحياة الباقية. سواء في ذلك الرجل والمرأة)

خادمات الرب

" وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسي وأم ابني زبدي " (مت ٢٧ : ٥٥ ــ ٥٦)

أمثلة الضيافة

" وفيما هم سائرون دخل قرية فقبلته إمرأة اسمها مرثا في بيتها " (لوقا ١٠ : ٣٨ ــ ٤٢).

" فكانت تسمع إمرأة اسمها ليدية بياعة أرجوان من مدينة ثياتيرا متعبدة لله ففتح الرب قلبها لتصغي إلى ما كان يقوله بولس . فلما اعتمدت هي وأهل بيتها طلبت قائلة إن كنتم قد حكمتم إني مؤمنة بالرب فادخلوا بيتي وامكثوا " (أع ١٦ : ١٤ ــ ١٥).

فضائل القديسات

" وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثا الذي ترجمته غزالة هذه كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها "(أع ٩ : ٣٦ ــ ٣٩).

" مشهوداً لها في أعمال صالحة أن تكن قد ربت الأولاد أضافت الغرباء غسلت أرجل القديسين ساعدت المتضايقين إتبعت كل عمل صالح "(١تي ٥ : ١٠).

المرأة في تاريخ الكنيسة

أم مارمرقس مؤسس كنيستنا

أول أم يجب أن نتحدث عنها، أو أول سيدة بالأحري بعد القديسة مريم العذراء هي أم مارمرقس مؤسس كنيستنا. إن هذه السيدة عرفت كيف تربي إبنها التربية التي تجعل منه تلميذاً من تلاميذ المسيح. ففي منزلها أو في الغرفة التي أكل المسيح والرسل فيها العشاء السري، وفي الغرفة ذاتها بعد صلب المسيح، عندما كان التلامذة في ذعر وخوف واضطراب، في تلك الغرفة بالذات، حل عليهم الروح القدس. فأصبحت تلك الغرفة الكنيسة الأولي في عرف المؤمنين. لقد استطاعت أم مرقس أن تجعل من

منزلها مركزا لاجتماع المؤمنين في العصور الأولي. وربت إبنها تربية حسنة فأعطت العالم تلميذاً تنقل في بلاد كثيرة لينشر فيها كلمة المسيح وخصوصاً في البلاد الافريقية إذ أنه اتجه في بادئ الأمر نحو قبرص ثم انتقل إلى المدن الخمس الغربية التي هي من مدن ليبيا في الوقت الحاضر، ثم استقر في الاسكندرية وأسس هذه الكنيسة التي مازالت حتي أيامنا هذه. ولاشك أن أم مرقس كان لها تأثير كبير جداً، وأن الكتاب المقدس أعطانا درساً حول أثر الأم في حياة أولادها، ونجد في سفري أخبار الملوك الأول وسفري صموئيل أنه في اثنتين وعشرين مرة ذكرت أم الملك قبل الملك ، وعشرون مرة نجد أن الملك مشابه لأمه فيقولون أن الأم تخاف الله فيكون ابنها الملك يخاف الله. وإن قالوا أنها لم تخف الله وأنها كانت تعبد العجل فولدها لم يخف الله وعبد العجل أيضاً. فقط مرتان اختلف الإبن عن أمه وعشرون مرة تبع أمه رغم أن الملك هو الذي يحمل الصولجان.

الكتاب المقدس أعطانا شهادة عن أثر الأم في حياة أولادها ونري هذا الأثر واضحاً في حياة مارمرقس حيث جعلت منه تلميذا وحاملاً لكلمة المسيح، وفي النهاية شهيداً

أم القديس البابا أثناسيوس الرسولي

أم القديس اثناسيوس الرسولي، البابا الاسكندري العشرين، هذا الرجل حمل لقباً، رسوليا نتيجة للجهاد العنيف الذي جاهده بلا هوادة في تاريخ حياته كلها، في سبيل التوكيد علي لاهوت المسيح. فالكنيسة أعطته لقب ثالث عشر الرسل الأطهار أو باختصار الرسولي العجيب. وهو ولد وثنياً ووالده توفي وهولا يزال طفلاً صغيرا، لذا تولت أمه تربيته، و رغم أنها وثنية إلا أنها عندما وصل ابنها إلى سن الدراسة أرسلته إلى المدرسة التابعة للبطريركية

وكان البابا في ذلك الوقت – الأنبا ألكسندروس، البابا التاسع عشر – يتفقد المدرسة شخصياً ليري إذا كانت الدراسة جيدة. ومن الأخبار الطريفة التي تروي عن أثناسيوس أن البابا، في زيارته للمدرسة، وجد في ممر من الممرات صفاً في غاية السكوت، فنظر من النافذة فرأي أن المعلم كان غائباً والتلاميذ يمثلون كأنهم في قداس. أحدهم يمثل دور الأسقف والبعض كهنة والبعض الآخر شمامسة، والبعض الآخر شعب. فراقبهم بصمت تام إلى أن انتهوا من تمثيلهم، فدخل إلى الصف وسألهم ماذا كانوا يفعلون فتقدم منه ولد صغير وقال له أن الذي كان يمثل دور الأسقف عرض عليهم أن يمثلوا هذه اللعبة، فاتضح أنه أثناسيوس، ويقول المؤرخون أن البابا عندما رأي أثناسيوس أحبه علي الفور. وفرح جداً وقال لهم: "صدقوني يا أولادي، كل واحد منكم مثل دوراً سوف يكون في حياته فيما بعد. والذي حصل أن أم أثناسيوس بالرغم أنها أرسلته إلى مدرسة مسيحية، وبوصفها وثنية وهو إبنها الوحيد، وهي أرملة، كانت تريد أن تزوجه، وكلما تكلمت معه في الزواج يهرب منها. ولاحظت أنه كان منهمكا جداً في دراسته، يذهب إلى المدرسة ويعود إلى غرفته ليدرس. طبعا لو كانت أماً مسيحية، لفرحت كثيراً بولد كهذا، لكنها كانت قلقة عليه لأنه لا يفكر بالزواج؟ ففي حيرتها، ذهبت لتستشر عرافاً مشهوراً في المدينة وهذا العراف قال لها أن تسمح له أن يتناول

الغذاء مع ابنها فيعرف ما مشكلته ويحلها. فكان له ما أراده. وبعد الغذاء قام أثناسيوس كالمعتاد ودخل إلى غرفته وأقفل علي نفسه. وبما أن لله أغراضاً خاصة لهذا الولد، جعل العراف نفسه ينطق بالحق فقال للأم : " لا تتعبي نفسك إطلاقاً، إن ولدك لابد أن يتبع الجليلي. وسيرته سوف تكون كرائحة بخور ذكية في وسط الشعوب". أما الأم ففكرت وقالت لنفسها، إذا كان سوف يتبع الجليلي، فلماذا أقف في طريقه وأسد عليه الباب. لذا علي أن أساعده إلى الوصول إلى هدفه لأني إذا عرقلت مسيرته سوف ينطوي علي نفسه ولن يبوح لي بأسراره ، ومن الممكن أيضا أن يهرب إلى عند الآب انطونيوس ، لذا فلماذا أسمح له بالانطواء والهرب. يجب أن أساعده. وعندما وصلت إلى هذا القرار اخذت ابنها وذهبت إلى البابا شخصيا وقصت عليه قصتها كاملسه ، وقالت له: "انت المسئول عن تربية هذا الولد، أنا سلمته لك وأنت المسئول". وطبعا فرح البابا جدا إذ رأي الولد الذي كان يمثل القداس. أصبح تحت مسئوليته الشخصية. واعتني بتربيته مع اعظم المعلمين في الاسكندرية وارسله ليعيش مع القديس انطونيوس ثلاث سنوات في البرية. لذا نري أما حكيمة، استطاعت بحكمتها وحسن تصرفها أن تجعل من ابنها خادما كبيرا للمسسيح . وأصبح هذا الولد الوثني المولد حامي الايمان القويم وثالث عشر الرسل الاطهار لأنه وجد أما ربته التربية المسيحية الحقيقية التي اوصلته إلى الطريق الصحيح.

أم البابا الإسكندري الأنبا مكاري الأول

عاش البابا الإسكندري الأنبا مكاري الأول في أوائل القرن العاشر. خرج في شبابه وترهب في دير أنبا مقار في البرية الغربية وشاء الله أن ينتخب بابا الاسكندرية. وعندما رأي نفسه البابا الإسكندري خطرت بباله أن يقوم برحلة رعوية يتفقد بها هذا الشعب الذي أصبح مسؤولا عنه. وأول زيارة كانت لأمه التي ربته، وعندما دخل عليها رآها أمام الباب تغسل وقال لها: "سلام لك يا أمي. فردت عليه السلام ولم تنظر إليه فتصور في خياله أنها كبرت في العمر ولم تعد تري ولم تعرفه. فقال لها : يا أمي، أنا ابنك. ألم تتعرفي علي؟. لقد تركتك لكي أترهب في الدير وشاءت العناية الإلهية أن تجعلني بابا الإسكندرية وخليفة مارمرقس. ألم تفرحي لكوني هكذا؟ فرفعت عينيها بصمت فرأي فيهما دموعاً فقال لها: أنت تبكين يا أمي لماذا البكاء؟ فقالت له : صراحة، أنني أبكي عليك. فقال: ولماذا تبكين علي وأنا أصبحت البابا؟ فقالت له: نعم، إذ أنك عندما كنت راهباً بسيطاً كما تقول، كنت مسؤولا عن نفسك فقط أما الآن فقد أصبحت مسؤولا عن رعية المسيح ومطالباً بهذه الرعية. فأنا أبكي عن هذه المسؤولية. دموعي هذه أسكبها وأصلي كي يعطيك ربنا القدرة علي تحمل هذه المسؤولية". ودخل هذا الكلام في نفسه وحفظه طوال سني بابويته وكلما كان يؤدي عملا أو يرسم شخصاً للكهنوت أو للأسقفية أو حتي شماسا، كان يصلي أياما طويلة ويطلب من الله إرشاده لأن كلام أمه كان يرن في أذنيه. فحتي وهو بابا، استطاعت أمه أن توجهه وأن تذكره بان البابوية وأن كانت مقاماً عظيماً وشرفاً كبيراً إلا لأنها أيضا مسؤولية عظمي.

وراء كل عظيم إمـــرأة

قالوا أن وراء كل عظيم إمرأة ، وهو قول صدق وحق..

فوراء (أديسون) المفكر الأمريكي العظيم ، (نانسي) الأم النابهة اللامعة التي يوم فصل ولدها من المدرسة أضحت له هي مدرسته ،

وراء (موسي) الكليم ، (يوكابد) الأم الحكيمة المؤمنة التي نقلته من فساد قصر فرعون إلى قداسة شعب الله ، وكان من تأثيرها عليه أنه أبي أن يـدعي أبـن ابنـة فرعون مفضلاً بالأخري أن يذل مع شعب الله علي أن يكون له تمتع وقتي بالخطيـة حاسباً عار المسيح أفضل من جميع خزائن مصر (عب ١١:٤٢) ،

وراء (يوحنا ذهبي الفم) الحبر العلامة والخطيـب الألمعـي الـذي لا يبـاري ، (أنثوسا) الأم المضحية القديسة التي آثرت أن تكرس شبابها وجمالها من أجـل إبنهـا يوحنا .

وراء (أوغسطينوس) اللاهوتي البارع ، (مونيكا) الأم المصلحة المصـلية التـي كانت دموعها سبباً في إنقاذ إبنها العظيم ،

وهكذا كان وراء (يوحنا) إمرأة قديسة وهي (أليصابات)

من أقوال قداسة البابا شنوده عن المرأة

ـــ المرأة كالقيثارة ـــ إن لم يحسن الرجل العزف عليها أسمعته أنغاماً لا ترضيه

ـــ إن كان لا يليق بالأسد أن يقلد الحمامة في هديلها الرقيق، فإنه لا يليق بالحمامـة أن تستأسد وتزأر كالأسد

ـــ بخلق المرأة تحول غير الحسن إلى حسن جداً.

ـــ وجود إمرأة في أي اجتماع، يعطي الاجتماع طابعاً ألطف فيخفف من حدة الرجل

ـــ المرأة مشهورة بالتحمل أكثر من الرجل ، ويكفي أنها تحتمل الرجل نفسه ، فالذي يحتمل السيطرة أقوي من الذي يتصف بالسيطرة .

ـــ النساء يخدمن في الكنيسة كل منهن حسب اختصاصها ، ليقمن بعمل الأخت مرثا مع احتفاظهن بطابع مريم أيضاً ! ـــ نحن لا ننسي أن أول علاقة كانت لنا في الحياة هي مع المرأة ، في بطون النساء وعلي أثداء النساء ، عاش الرجـال أول مراحل العمر

ـــ إذا كان أطفال العالم كله في أيديكم ، فأنتم تستطيعون أن تشكلوا العـالم تشـكيلاً جديداً لأن في أيديكم الأجيال المقبلة. ويمكنكم أن تديروا الكنيسة بطريقـة غيـر مباشرة لأن رجال العالم كله من تربيتكم

ـــ إن كان لابد من توبيخ البعض أو توجيهه ، فأننا نحتاج إلى الروح الذي تكلمت به أبيجابل مع داود.. حيث خلطت التوبيخ غير المباشر بالتقدير والاحترام والمديح الذي فتح قلبه لها مع التواضع وعدم جرح شعوره ، وهكذا استحقت أن يقول لها: " مباركة أنت، ومبارك هو عقلك " (١صم ٨:٥٢).

نخاف من أن تكون المرأة مظلومة

جاء السيد المسيح من نسل (ليئة) المكروهة ولم يأتى من نسل (راحيل) المحبوبة . وليس هذا فقط وإنما من نسل (ليئة) المكروهة جاء سبط يهوذا ، سبط الملوك ، وسبط لاوى أى سبط الكهنوت . فأصبح من نسلها كل القيادات الملكية والكهنوتية . وعوضها الرب كثيراً . وعوضها بكثرة البنين حتى أن أختها المحبوبة أصبحت تغار منها . غارت الأخت وقالت ليعقوب : " هب لى بنين وإلا أموت " . أى أنها تموت حزناً من كبير إكرام المسيح لليئة المكروهة . تأكدوا أن الله إذا وجد إمرأة مظلومة فى العالم سيكرمها أكثر .

لذلك نحن نخاف من أن تكون المرأة مظلومة . المرأة لم تنقصها أية فضيلة .

فى العبادة ، نرى مثالاً عجيباً من حنة النبية التى قضت أربعاً وثمانين سنة فى ترملها ، لم تفارق الهيكل . فى الرهبنة ،

فى حياة النساء ، نرى أمثلة عديدة

فى التاريخ نرى فتيات رفضت الزواج من أباطرة ومن أمراء لكى يصرن للمسيح نفسه ، فى البذل والعطاء أمثلة عديدة . وفى الوفاء كانت النساء فى منتهى الوفاء وخاصة عند صلب المسيح وعند أحداث القيامة .



الفصل الثالث

حقوق المرأة فى القانون المصرى

القانون المصرى أنصف المراة بوجه عام فى مختلف المجالات وساواها بالرجل فى الحقوق والإلتزامات وأعطاها كافة الحقوق االسياسية والمدنية ، فدخلت المرأة الوزارة وكادت تتخصص فى وزارة الشؤون الإجتماعية ، كما دخلت مجلس الشعب وجميع الوظائف فى الدولة تقريباً ما عدا القضاء . ولم تشعر المرأة بمرارة الظلم والإجحاف فى ظل القانون المصرى الحالى ، إلا فى مجالين أساسيين هما الميراث والأحوال الشخصية .

المرأة المسيحية والميراث

فيما يختص بالميراث فيحكمه قواعد الشريعة الإسلامية التى تطبق على جميع المواطنين المصريين مسلمين وغير مسلمين ، وهذه جعلت نصيب الذكر مثل حظ الأنثيين ، بمعنى أن يكون للمرأة نصف ما للرجل !

المرأة المسيحية والأحوال الشخصية

فى مجال الأحوال الشخصية ــ ولعلها أهم ما يعنى المرأة ــ فقد كانت المحاكم الشرعية تطبق الشريعة الإسلامية على المسلمين ، كما كان لكل طائفة أو ملة مسيحية مجموعة من الأحكام الخاصة بها التى لم ترْق لمرتبة القانون إذ لم يقرها مجلس الشعب والسلطة التشريعية فى البلاد وإنما جرت مجرى العرف فقط ، و كانت المجالس الملية المنتخبة تعمل على تطبيقها ، بالنسبة لأبناء كل طائفة أو ملة معترف بها فى مصر . وعرف ذلك بالنظام الملى برئاسة كاهن يمثل الكنيسة والسلطة الروحية . وكانت تفصل فى منازعات الزواج والطلاق والنفقة والحضانة وما إلى ذلك وتصدر أحكاماً تعترف بها الدولة وتشمل بالنفاذ . وقد استمر هذا الوضع حتى سنة ١٩٥٥ حيث ألغى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر المحاكم الملية والشرعية بالقانون رقم ٤٦٢ سنة ١٩٥٥ الذى أحال جميع قضايا الأحوال الشخصية إلى المحاكم الوطنية .

نص هذا القانون ــ فيما يختص بالمسيحيين ــ ، على أنه فى حالة اتحادهم فى الطائفة والملة تطبق المحاكم الوطنية عليهم شريعتهم المشتركة وذلك وفقاً لمذهب الإمام أبى حنيفة الذى جرى على (ترك الذميين وما يدينون) . ولكن فى حالة اختلاف الطرفين فى الطائفة أو الملة تطبق عليهم الشريعة الإسلامية بأحكامها الموضوعية والتى تطبق على المسلمين أنفسهم !!

لا لطلاق الزوجة بالإرادة المنفردة للزوج

مثلاً أن تكون العصمة فى يد الرجل ويكون له الحق فى طلاق زوجته بإرادته المنفردة ، بكلمة واحدة فى أى وقت حسب هواه ، وهنا تكمن المشكلة والخطورة . والتبرير الذى يقولونه ، حسماً للنزاع ، أى القانونين يطبق ؟ ! .. قانون طائفة الزوج أم قانون طائفة الزوجة ، وما أساس تغليب أحدهما على الآخر ؟ ! لذلك عند اختلاف الطائفة يستبعد القاضى قانون الطائفتين معاً ، ويطبق على الطرفين قانون الشريعة الإسلامية باعتبارها القانون العام فى البلاد . وعلينا أن لا ننسى هنا أنه فى حالة تطبيق قانون أى الطائفتين المسيحيتين فسوف يكون ذلك أفضل بالنسبة للطرفين المسيحيين ، من تطبيق الشريعة الإسلامية فى قضية الطلاق . فحل النزاع بين الطرفين لا يحكم بإرادة الرجل منفردة لأن جميع الطوائف المسيحية تحرمه وتحاربه .

ثغرة خطيرة وباباً متسعاً للتحايل على الطلاق

وقد فتح قانون الطلاق هذا ثغرة خطيرة وباباً متسعاً للتحايل على الطلاق بأسهل الطرق ، وذلك عن طريق تغيير أى رجل ــ منحرف أو مسيحى بالإسم ــ طائفته أو ملته وذلك بالإنضمام إلى طائفة أخرى ، إنضماماً صورياً وذلك بقصد الحصول على شهادة من الطائفة الجديدة . ويرفع بالتالى دعوى إثبات الطلاق . ولا تملك الزوجة المسكينة سلاحاً تدافع به عن نفسها بل ولا تملك المحكمة نفسها سلطة تقديرية للتحقيق فى أسباب الطلاق أو جدية تغيير الطائفة فتضطر حينئذ أن تقضى بإثبات الطلاق المزعوم الذى وقع فعلاً فى نظرها !!

موقف الكنيسة من قانون الطلاق وتنفيذه

الكنيسة المسيحية على مختلف طوائفها بمصر لا توافق على هذا الطلاق ولا تقره بل تعتبره جريمة وخطية كبرى ضد شريعة الله والحق والعدالة والأسرة المسيحية والأطفال . والله يقول فى آخر أسفار العهد القديم : " الرب هو الشاهد بينك وبين إمرأة شبابك التى أنت غدرت بها وهى قرينتك وإمرأة عهدك .. فإحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بإمرأة شبابه لأنه يكره الطلاق قال الرب " (ملا ٢ : ١٤ ــ ١٦) . وفى العهد الجديد يقول السيد المسيح : " الذى جمعه الله لا يفرقه إنسان " (متى ١٩ : ٦) . إذن فالله طرف ثالث ورئيسى فى الزواج المسيحى الذى هو سر مقدس ، ولذلك ترفض الكنيسة القبطية الأرثوذكسية منح ، من يطلق إمرأته بهذه الطريقة الملتوية ، تصريح زواج ثان ، وإلا يكون زانياً . إذ يعتبر أنه قد جمع بين زوجتين فى وقت واحد ، على أساس أن الزواج الأول ما يزال قائماً .

لوائح المجلس الملى للأقباط الأرثوذكس في مصر سنة ١٩٣٨

كانت لوائح المجلس الملى للأقباط الأرثوذكس فى مصر سنة ١٩٣٨ تسمح بالطلاق فى نحو سبع حالات ، أما سنة ١٩٥٥ فقد توسعت ، وذلك مسايرة لروح العصر . ومنح الطلاق فى حالات أهمها :

– حالة جنون أحد الزوجين جنوناً مطبقاً استمر خمس سنوات وثبت أنه غير قابل للشفاء .
– حالة صدور حكم بالسجن المؤبد على أحد الزوجين .
– الإعتداء الجسيم المتكرر من أحد الزوجين الذى يعرض حياة الآخر أو صحته للخطر .
– المرض المعدى غير القابل للشفاء .
– الفرقة بين الزوجين لمدة ثلاث سنوات متوالية بسبب إساءة أحد الزوجين معاشرة الآخر واستحكام النفور بينهما وفشل مساعى الصلح وإنعدام الأمل فى معاودة الحياة الزوجية .

وكانت حجة أصحاب هذه اللائحة أن السيد المسيح عندما حرّم الطلاق لغير علة الزنا ، لم يكن يشرّع للأرض وإنما كان كعادته يضع مبادئ الكمال .

لا طلاق إلا لعلة الزنا أو للإرتداد عن المسيحية أو الموت

عندما ارتقى قداسة البابا شنوده رئاسة الكنيسة المرقسية بمصر بدأ يعمل على تصحيح هذا الوضع غير السليم وينادى بمبدأ الإنجيل أن لا طلاق إلا لعلة الزنا أو للإرتداد عن المسيحية باعتباره نوعاً من الزنى الحكمى أو الموت . وأوضح قداسته أن السيد المسيح إنما كان يشرّع فى هذه الحالة بالذات بأقوال صريحة واضحة قوية متكررة فى جميع الأناجيل ، واعتبار الطلاق لغير علة الزنا محرماً تماماً ومن يرتكبه ليتزوج بأخرى يزنى ومن يتزوج بمطلقة – لغير العلة – يجعلها تزنى . وأن المحافظة على حقوق المرأة وإعلاء كلمة الإنجيل يقتضيان التمسك بهذا المبدأ . وعلى ذات المبدأ سار قانون الأقباط الإنجيليين أيضاً ، وكذلك قانون الكاثوليك الذى هو أكثر تشدداً والذى يحرم الطلاق نهائياً حتى ولو لعلة الزنا .

وسائل العلاج المقترحة للقضاء على ظاهرة الطلاق

أما وسائل العلاج المقترحة ، والتى تتجه إليها الكنيسة فى مصر حالياً للقضاء على ظاهرة الطلاق ، أو التحايل للتوصل إليه بطرق خاطئة ، ومن أجل صيانة حقوق المرأة وكيان الأسرة ، فيمكن تلخيصها كالتالى :

- أصدر غبطة البابا شنوده الثالث قراراً بابوياً بتحريم الطلاق لغير علة الزنا ويمنع زواج المطلقين استناداً إلى سبب آخر سواها . ومن يخالف القرار المذكور ، لا تعطية الكنيسة تصريحاً بالزواج . فلا يستطيع أن يتزوج ثانية ، ومن ثم لا يستفيد من حكم الطلاق الذى يحصل عليه ، فيفكر عندها جدياً بالتصالح مع الزوجة أو لا يقدم على رفع دعوى الطلاق من الأصل ، طالما هو على علم مسبق بأن دعواه لن توصله إلى غرضه .

- تم فعلاً تشكيل هذه اللجنة المشتركة لوضه مشروع قانون موّحد للأحوال الشخصية لجميع الكنائس المسيحية ـ لأول مرة فى مصر ـ وقد باشرت عملها وانتهت منه فى أغسطس ١٩٧٨ برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث ، وسكرتارية ماهر راغب حنا المحامى وحضور الأعضاء من رجال الدين والقانون بجميع الطوائف المسيحية فى مصر . وقدمت مشروع القانون المسيحى الموّحد للحكومة التى وعدت بإصداره وشكلت لجنة من وزارة العدل لمراجعته ووافقت على معظم مواده باستثناء ثلاث مواد قالت أن الأزهر اعترض عليها ! وهى الخاصة بالتبنى ، وتدخل الكنيسة فى لجنة المصالحات ، وتطبيق شريعة العقد (حتى لو غيّر أحد الزوجين طائفته أو دينه فيما بعد) . ثم جاءت أحداث الزاوية الحمراء وسبتمبر سنة ٨١ المشئومة ، وظل هذا القانون الحيوى معطلاً فى أرشيف وزارة العدل ولم يرَ النور حتى هذه اللحظة ! ويجب على الأقباط وعلى الكنيسة ، بل كل الكنائس المسيحية مداومة تذكير رئيس الجمهوريه ومجلس الشعب والحكومة بضرورة إصدار ذلك القانون (الجاهز) والمتأخر كثيراً عن موعده رغم وعود الرئيس السابق المتكررة بإصداره . ولا يليق أن قطاعاً ضخماً قوامه ملايين من المواطنين الأقباط لا يكون لهم قانون رسمى من الدولة يحكم أحوالهم الشخصية حتى الآن .

- إجماع الطوائف المسيحية فى مصر تقريباً ، على محاربة بدعة الطلاق بالإرادة المنفردة عن طريق التلاعب بالمذاهب وتغيير الطوائف أو الملة توصلاً لجلب تطبيق الشريعة الإسلامية ، وإقتراح عدم إعطاء من ينضم إلى طائفة أخرى شهادة بذلك حتى لا يسئ إستخدامها .

- تقديس كنسية الزواج وعدم الإعتراف بالزواج المدنى أو العرفى ، واشتراط إنعقاد الزواج داخل الكنيسة بإعتباره سراً مقدساً شأنه مثل باقى أسرار الكنيسة كالمعمودية والإفخارستيا التى لا تتم خارج الكنيسة إلا لسبب خطير أو عذر قهرى ... فيتسلم الزوج عروسه من بيت الله ومن يده وأمام هيكله المقدس وليس حتى من أسرتها أو أبيها الجسدى بل الآب السماوى للطرفين وبحلول الروح القدس عليهما ليصيرا واحداً وليس بعد اثنين .

- تحريم ومنع الزواج المختلط بين المسيحيين وعير المسيحيين ، بسبب آثاره الضارة الملهكة ، والتى تعود على الطرف المسيحى بالضرر لمخالفة الوصايا الإلهية وضياع الحياة الروحية وإنكار المسيح ، من أجل مجاملات رخيصة أو شهوات عارضة . فضلاً عن حتمية ضياع الجيل الجديد الذى سينشأ . خاصة

وأن الشريعة الإسلامية التى تطبق فى مصر فى هذه الحالة توجب أن يصير الطفل مسلماً ، يتبع خير الأبوين ديناً ، وهو فى نظرها الإسلام ، بداهة ..

- منع الزواج بالتوكيل ، وهو الأمر الذى انتشر بسبب كثرة الهجرة . وقد ثبت أن لهذا الزواج مشاكل كثيرة ومخاطر عديدة ، إذ كثيراً ما تنشب الخلافات بين الطرفين بعد توثيق عقد الزواج وقبل الموعد المحدد لصلاة الإكليل الكنسى ، الأمر الذى كان يضطر أحد الزوجين لرفع الدعوى ببطلان الزواج غير الكنسى ، أو الطعن على عقد الزواج بالتزوير ، لإثبات عدم إجراء المراسم الدينية به .
- مراعاة الكنيسة لحالات بطلان الزواج للعجز الجنسى أو الغش أو الإكراه أو الجنون ...ألخ .
- المطالبة باحترام شريعة العقد أو تطبيق نظرية الغش تجاه القانون ، لمنع التحايل مهما غيّر الإنسان طائفته أو ملته أو حتى دينه .
- عقد لقاءات ومحاضرات وفصول لتوعية المقدمين على الزواج فى مختلف الكنائس والمعاهد ودراسة كل ما يلزم معرفته عن الحياة الزوجية المسيحية الناجحة والسعيدة والمشاكل التى يمكن أن تنشأ ، ووضع الحلول المناسبة .
- تم تكوين مجلس أكليريكى ببطريريكة الأقباط الأرثوذكس بكل من القاهرة والإسكندرية ، تعرض عليه مشاكل الأحوال الشخصية والقضايا بعد إنتهائها من المحاكم للنظر فيها بالروح المسيحية وتجتمع يوماً فى كل أسبوع .
- أنشئت لجان للمصالحات بالمقر البابوى وكان الأمر يستلزم أحياناً تدخل البابا شخصياً لفض النزاع بين الزوجين ورسم طريق الصلح لهما ومباركتهما ، وجعلهما يتنازلان عن القضايا المتبادلة بينهما .

لعل هذا أهم ما يتعلق بالأحوال الشخصية فى مصر ولا يبقى غير المسائل التنفيذية الأخرى مثل حقوق المرأة فى النفقة وحضانة الأولاد وهى متقاربة فى معظم قوانين الأحوال الشخصية ، فى بلاد الشرق الوسط .. وأما نظام (بيت الطاعة) فقد بطل العمل به حتى بالنسبة للمرأة المسلمة ذاتها ، بسبب الإحتجاج الشديد عليه كنظام متخلف لا يتفق مع روح العصر ولا مع كرامة المرأة ، فلم تعد المرأة تُجبر بقوة البوليس على العيش فى منزل الزوجية عند الخلاف ، وإنما تُخير . فإذا ثبت أنها ناشز ومتجنية يسقط حقها فى النفقة .. لأن الطاعة يجب أن تكون إختيارية نابعة عن المحبة أولاً وقبل كل شئ .

المسيحية نهت عن الطلاق وتعدد الزوجات

" من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته. ويكون الإثنان جسداً واحداً. إذاً ليس بعد اثنين بل جسد واحد. فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان " (مر١٠: ٧ – ٩).

الباب الرابع

المــرأة في المجالات المختلفــة

مكانة المرأة فى المسيحية والكتاب المقدس

من الأهمية بمكان أن نوضح باستمرار مكانة المرأة فى المسيحية ، كما يعلنها لنا الكتاب المقدس . لأننا فيما نحن نعمل من أجل قضايا المرأة نجد أنفسنا أمام حواجز ، بل أقول أنها أمراض متوطنة ، صنعتها قرون وأجيال من الجهالة ، فى تجميد الأذهان وشل قدرتها على التحرك والتقدم لمسايرة حركة الحياة المتجددة . وذلك باعتبار الكتاب المقدس ، الدستور الأزلى الأبدى الذى يعلن فكر الله . وهو ميزان الحق الكامل والسلاح الرئيسى الذى نستطيع به أن ندحض كل المفاهيم الخاطئة .

مساواة المركز والفرصة والسلطان والعمل

عندما جاءت المسيحية أضافت إلى المرأة مساواة المركز والفرصة والسلطان والعمل . والكتاب المقدس ملئ بالصور التى تمثل المرأة فى مركزها المشرّف.

فى مجال الخدمة الإجتماعية

لقد كانت المرأة رائدة فى هذا المجال فنقرأ فى الكتاب المقدس عن طابيثا (أعمال ٩ : ٣٩) " فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين ويرينه أقمصة وثياباً مما كانت تعمل غزالة " .

كانت مواطنة فى مدينة يافا هداها تفكيرها أن تقدم جزاء من جهدها لسيدها ربما بدأت بخياطة قميص بسيط قدمته لطفل عار فى البرد . ثم قدمت ثوبا من قماش رخيص لإمرأة ثم اكتشفت فيما بعد أنها تستطيع أن تقدم أكثر من ذلك ففكرت فى ان تستعين بنساء أخريات . و قمَن بتكوين أول جمعية خيرية فى يافا ووسعت الجمعية دائرة أعمالها فصنعت أقمشة وثياباً ، كانت توزع على الرجال والنساء والأولاد والبنات . وكانت طابيثا تدير العمل بحماسة منقطعة النظير ، فأحست المدينة كلها أن غزالة كانت بركة فى المدينة . وسمع الناس عن الكنيسة المسيحية التى توزع الثياب على الفقراء والمعوزين . وسمع العالم المحيط رسالة المسيح مقدمة فى تلك الثياب التى سترت العرى وسببت الدفء لمن يعانون من البرد وربطت بين الإنسان والإنسان . ثم أنه جاء يوم مرضت فيه غزالة وماتت . فاهتزت كنيسة يافا بل اهتزت مدينة يافا وكنت تسمع الناس يتحدثون بتأثر ، كما لم يتحدثوا عن إنسان آخر " ماتت غزالة " .. وإن كان بطرس الرسول قد أقامها لكنها بدون شك جاء وقتها وانتقلت بعد ذلك

ولكنها فى الحق لم تمت ولا يمكن أن تموت . لقد ظلت حية فى سيرتها العطرة وفى خدمتها الخالدة وفى محبتها للناس والمحبة لا تموت .

فى مجال الأمومة الرائعة

إذا كانوا قد قالوا أن وراء كل عظيم إمراة فهذه نراها فى كثير من الامهات اللواتى قدسن أبطالاً فى الإيمان ، أمثال يوكابد التى جعلت من موسى الوطنى المعتز بجنسه ودينه وربت إبنتها مريم النبية وهرون رئيس الكهنة (خر ٢) .

إمرأة أخرجت الثلاثة العظام فى تاريخ الشعب وبعد سنين طويلة نقرأ للنبى ميخا قوله : " يا شعبى ماذا صنعت بك وبماذا أضجرتك أشهد علىّ . أنى أصعدتك من أرض مصر وفككتك من بيت العبودية وأرسلت أمامك موسى وهرون ومريم " (ميخا ٦ : ٣ ، ٤) . أمامنا أيضاً حنة أم صموئيل (١ صم ١ ــ ٣) ولوئيس وافنيكى (٢ تى ١ : ٥) و غيرهن الكثيرات و الكثيرات .

بيوتهن كنائس وأسفار بأسمائهن

سبق أن قلنا عن أهمية دور المرأة فى الكتاب المقدس وعن وجود أسفار كاملة بأسماء سيدات في العهد القديم مثل راعوث واستير ويهودت . وهنا نقول أيضاً أن رسالة يوحنا الثانية وجهت إلى كيرية المختارة .

كما تخلل سلسلة نسب السيد المسيح أسماء سيدات مثل ثامار وراحاب وراعوث ومريم العذراء.

ونساء كانت بيوتهن كنائس مثل بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس حيث صنع السيد المسيح فيه سر الإفخارستيا (أع ١٢ : ١٢ مع ١٤ : ١٢ ــ ١٦). وليديا بائعة الأرجوان التى كان بيتها أول كنيسة فى أوروبا (أع ١٦ : ١٥) . وبريسكلا وخادمات أخريات كثيرات مثل تريفينا وتريفوسا وبرسيس المحبوبة وأم روفس المختار وجوليا (رومية ١٦) .

هذه هى الصورة التى نرجو أن تكون عليها المراة المسيحية اليوم لأن الكتاب لا يخطط لعصر واحد ولكنه يضع مبادئ الكمال التى تناسب كل عصر فالله يقول للجميع " إلى الشريعة وإلى الشهادة إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر " (أش ٨ : ٢٠) .

بعض آيات الكتاب المقدس عن المرأة

ــ " يجب علي الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم، من يحب امرأته يحب نفسه" (افسس ٥:٨٢).

ـــ " ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها" (١ كو ٧:٢) ويلاحظ أن هذه الآية تمنع تعدد الزوجات وتعدد الأزواج وتشير إلى امرأة واحدة ورجل واحد

ـــ "أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب ان لا تفارق المرأة رجلها. وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها. ولا يترك الرجل امرأتـــه" (١ كـــو ٧ : ١٠، ١١).

ـــ "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه، افتقاد اليتامي والأرامل في ضيقتهم وحفظ الانسان نفسه بلا دنس من العالم" (يعقوب ١ :٢٧).

دعابة : لماذا ظهر المسيح بعد القيامة لإمرأة أولاً ؟

قال أحد الظرفاء (من باب الدعابة) أن المسيح ظهر بعد القيامة لمريم المجدليـــة أولا، لأن النساء أقدر من الرجال علي نشر الأخبار في الدنيا كلها بسرعة مذهلة !

دعابة : هل صحيح لا نساء في السماء؟

إستنتج أحدهم ـــ علي سبيل الدعابة ـــ من الآية التي تقول: " وحدث سكوت فـــي السماء نحو نصف ساعة" (رؤ ٨:١)، أنه لا وجود للنساء فـــي الســـماء، وإلا لمـــا استطعن السكوت عن الكلام والثرثرة نصف ساعة كاملة !

أجمل وردة في الحديقـــة

قال لي محدثي أن والدي كان يخرج في الصباح الباكر كل يوم ليقطف أجمل وردة في الحديقة ثم يضعها علي مائدة الإفطار . حيث كانت أمي تجلس كملكـــة متوجـــة وأميرة معززة . كانت الوردة هي تحية أبى عند الإفطار لأمي الغالية . وكـــان حـــين يقف أبى خلف كرسيها عند نهاية الإفطار ويحييها تحية الصباح يتكلل اليوم كله بالفرح . وحين كنا ونحن أطفال نستيقظ ونصيح ونتنازع . كنا نخجل لأننا كنا نشـــم عطـــر المحبة النقية الصادقة وهو يعبق كل جنبات البيت . ومع أن الأسرة كانت تعيش فـــي دائرة الفقر العميق . إلا أن البيت كان مليئاً بالإشراق البهيج بسبب سلوك هـــذا الأب المحب.

الحـــزن القبطـــي

من المألوف في مجتمعنا القبطي أن نرى زوجات شابات يترملن مبكراً ويرفضـــن الزواج ثانية ويتمسكن في إصرار بارتداء ملابس السواد والحداد عشـــرات الســـنوات وأحياناً مدي الحياة بدافع الوفاء للأزواج الراحلين. وهذه الظاهرة تحير العالم الغربـــي الذي لا يعرف هذا النوع من الحزن الشديد الدائم، والذي عبر عنـــه أحـــد الأطبـــاء

النفسيين بأنه معروف "بالحزن القبطي". ويرجح البعض بأنه حزن مصري فرعوني قديم الجذور مشهور بالعمق والطول والشدة فيذكر الأصحاح الأخير من سفر التكوين أنه كملت أيام تحنيط يعقوب إسرائيل أربعين يوما، وبكي عليه المصريون سبعين يوماً، ثم عمل يوسف لأبيه مناحة سبعة أيام وناحوا نوحاً عظيماً وشديداً جداً حتي قال الكنعانيون"هذه مناحة ثقيلة للمصريين" (تك ٥٠).

أمهات صنعن التاريخ

قال الرئيس ابراهام لنكلن: "إني مدين في كل ما وصلت إليه لذلك الملاك الذي هو أمي". وقال نابليون: "إنى مدين لأمي في كل ما حزته لأن نجاحي وفخاري كان ثمرة مبادئها

إن ما غرسته يوكابد أم موسي في ابنها الطفل لم تقو أربعون سنة في قصر فرعون علي انتزاعه

فصلت المدرسة الصبي أديسون بحجة الغباء الشديد. وكرست أمه جهدها لتعليمه في البيت حتي نبغ واخترع ستون إختراعاً كان المصباح الكهربائي أحدها.

والعالم مدين ليس فقط لأم أديسون الذي أنار العالم المادي، ولكن أيضاً لأم أغسطينوس وأم يوحنا ذهبي الفم وأم صموئيل وأم تيموثاوس اللواتي أنرن العالم الروحي

في المسيحية لا حجاب بل عفة واحتشام

الكتاب المقدس يحض علي الحشمة و يؤكد أن زينة المرأة لا تكن بالبهرجة وإنما بزينة الروح . فيقول القديس بطرس الرسول " أيتها النساء لا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر ولبس الثياب . بل إنسان القلب الخفي في العديمة الفساد . زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن . فإنه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكلات علي الله يزين انفسهن " (١ بطرس ٣ :٣) .

يقول القديس بولس الرسول " النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل . لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن . بل كما يليق بنساء متعاهدات لتقوي الله بأعمال صالحة " (١ تيموثاوس ٢ : ٩) .

كم من النساء يسترن أجسادهن تماماً في الطريق ولكنهن يسلكن في الخفاء بعكس ما يظهرن . فالعبرة بما في داخل قلب الإنسان مع الحشمة والوقار في المظهر الخارجي .

المسيحية تطلب من المرأة أن تغطي رأسها وقت الصلاة، فيقول القديس بولس الرسول " كل إمرأة تصلي أو تتنبأ و رأسها غير مغطي فتشين رأسها " (١ كو ١١ : ٥) . وأيضاً " المرأة إن كانت ترخي شعرها فهو مجد لها لأن الشعر قد أعطي لها عوض برقع " (١ كو١١ : ١٠) .

جاء في سفر الأمثال " الشعر تاج جمال " (أم ١٦ : ٣١) . ومن المعـــروف أن النساء يتميزن بالشعر الطويل وقد قيل عن المرأة التي دهنت قـــدمي الســـيد المســـيح بالطيب أنها " وقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالـــدموع وكانـــت تمسحهما بشعر رأسها . و تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب " (لو ٧ : ٣٨) . وقد قال السيد المسيح لسمعان الفريسي بخصوص هذه المرأة " أتنظر هذه المرأة . أني دخلت بيتك وماء لأجل رجلي لم تعط . وأما هذه فقد غسلت رجلي بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها " (لو ٧ : ٤٤) . و قد أشار إنجيل يوحنا أيضاً إلى مريم أخت لعازر قائلاً " فأخذت مريم منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومســـحت قدميه بشعرها " (يو ١٢ : ٣) .

المـــــرأة ودموعهـــا

لقد بكت (حنة) وهى مرة النفس كما يقول الوحى وإذا بدموعها تصعد إلى مقادس العلى فيرزقها بصموئيل نسلاً مباركاً !

وبكت (هاجر) فسمع الرب مذلتها " وقال لها ملاك الرب قومى واحملى الغـــلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة) !

وبكت (راعوث) الغريبة بعد وفاة زوجها فافتقدها الرب فأرسل لها بوعز فوجدت نعمة فى عينيه !

وبكت (مريم المجدلية) فاخترقت دموعها قلب المخلص فخلصـــها مـــن شـــنيع خطاياها !

ثم بكت (مرثا ومريم) ولما بكتا " بكى يسوع " من أجلهما وأقام لعازر

وبكت (جميع الأرامل) على (طابيثا) التى ماتت فكانت دمـــوعهن ســـبباً فـــى إعادتها ثانية إلى الحياة !

وبكت (بسوس) ناقة لها قتلها (كليب) فأثارت دموعها حرباً ضروساً كادت تفنى العرب زهاء أربعين عاماً !

وبكت (فلورانس نايتنجيل) فى حرب القرم فاهتزت لبكائها بريطانيا العظمى !

وبكت (جوزفين) الزوجة الأمينة المخلصة يوم طلقها (نـــابليون) القاســـى ، لا لذنب سوى أنها لم تنجب له أولاداً فبكت لبكائها فرنسا بأسرها !

تلك هـــى المـــرأة ، وذلك هو ســـلاحها الصـــارم القـــوى .

المرأة فى المسيحية ترتقي سلم المجد

لقد تغير مركز المرأة فى العالم كله يوم كرمها المسيح وأصبح (الســـلم) الـــذى استطاعت أن ترقى عليه نحو المجد والرقى . ذلك السلم هو السيد المسيح له المجد ، فلقد كان المسيح فاصلاً بين عهد وعهد ، بين عهد الإذلال وعهد الحرية والإستقلال ،

عهد كانت المراة فيه سلعة تعرض فى السوق ، وعهد أصبحت فيه مساوية للرجل فى كل الحقوق .

بضدها تتميز الأشياء

حتى نتيقن من عظمة المسيحية نقول أنه إلى اليوم فى بعض الجهات التى لم تقبل نور المسيح بعد ، والتى لا تزال تغمرها ظلمة حالكة من سواد الوثنية واللادينية ، نرى المرأة تعامل تماماً كما يعامل البهيم . وإليك ما يسجله شاهد عيان فى جريدة (صوت الفرات) وفى سنة ١٩٣٨ يقول (شاهدت اليوم فى عودتى من خيمة المدرسة إلى كوخى منظراً هالنى وهزنى واقشعر له بدنى : رأيت رجلاً وراء محراث يسوقه حمار من جانب النير ، وإمرأة من الجانب الآخر ، يا للهول ! أيقرن الحمار بالمرأة ليحرثا الأرض سوياً ؟ وفى القرن العشرين !!أن هذا من العجب العجاب) !!

محرر المرأة يسوع الناصرى وليس سواه

لئن قالوا أن (فلان) أو (فلان) هو محرر المرأة ، فالواقع يقرر أن المحرر الأول للمرأة من أغلال الجهالة وسلاسل الذل والإحتقار هو (يسوع الناصرى) فلقد أحب المرأة التي صنعها و خلقها ورفع قدرها وسما بمركزها ، لقد كانت صفراً على اليسار فنقله إلى اليمين ، ذلك لأنه (ولد من إمرأة) !!

كم هو رائع وعظيم حقاً موقف المسيحية تجاه المرأة ، اسمعوا بعض شرائعها ومبادئها فى هذا الصدد :

" وأما المراة فهى مجد الرجل " (١ كو ١١ : ٧) ،

" يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم " (أف ٥ : ٢٨) ،

" من يحب إمرأته يحب نفسه " (أف ٥ : ٢٨) ،

" فليحب كل واحد إمراته هكذا كنفسه (أف ٥ : ٣٣) ،

" أيها الرجال كنوا سالكين بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة " (١ بط ٣ : ٧) .

البابا كيرلس الرابع والمرأة

لقد كان البابا كيرلس الرابع أبو الإصلاح من أعظم أنصار المرأة فهو أول من شجع على تعليم البنات وأسس لهن المدارس ، وكان من مبادئه أيضاً نظرية مساواة المرأة للرجل حتى فى الحقوق المدنية والمواريث ، فلقد قام فى عهده خلاف تقسيم ميراث أسرة مسيحية كبيرة ، فرفعوا الأمر إلى سعيد باشا والى مصر وارتضت الأسرة حكم البابا كيرلس ، فاستدعى سعيد باشا البطريرك إليه وسأله رأيه فى هذه المشكلة ، وهل تعطى المرأة مثل ما يعطى الرجل من الميراث ؟

أجاب البطريرك قائلاً (إذا عمل كل من الرجل والمرأة عملاً صالحاً وكان عملهما من نوع واحد هل يجزى الله المرأة عليه بأقل مما يجزى الرجل ؟) .

قال سعيد باشا حاشا لله من ذلك ،

قال البطريرك (إذا كانت المرأة تأخذ نصيبها كنصيب الرجل فى الأمور السماوية الخالدة ، فبالأولى تنال نصيبها الحق فى الأمور الأرضية الزائلة) .

فاقتنع الباشا وحكم بالمساواة !! .

بركات السيد المسيح للجنسين

إن مواهب الشفاء التى أجراها السيد المسيح كانت للرجال والنساء معاً ، ومعجزاته وخيراته وبركاته جميعها غمرت المرأة كما غمرت الرجل ، إن تعاليمه وعظاته كانت لكلا الجنسين ، لقد أحب المسيح المراة فسمح لها أن تجلس بين يديه وأن يعطيها نفسه (النصيب الصالح) ولقد كان بين الجمع الذى تبع يسوع وشبع من يسوع فى البرية عدد كبير من النساء كما يحدثنا البشيرون . ولقد أخذ رب المجد على الأخص بناصر البائسات واليائسات والساقطات من النساء .

لقد انتشل المراة السامرية من بئر الخطية وسقاها ماء الحياة ،

أنقذ مريم المجدلية من جملة أرواح نجسة ،

انتصر للمرأة التى زلت وأمسكت فى ذات الفعل ، وورط المشتكين عليها إذ أمر الذى بلا خطية أن يرميها بحجر أولاً ، لم يفعل ذلك ليشجع الشر بل ليخذل الرجال الظالمين لأنه رأى فيهم روح التشفى والإنتقام إذ لو كانت الغيرة على الفضيلة هدفهم ، لكانوا جاءوا إلى المسيح أيضاً بالرجل الذى " أمسك فى ذات الفعل " !!

المرأة ترد الجميل

إذ شعرت المرأة بهذا المقام الرفيع يخلعه عليها يسوع ، أظهرت عواطفها نحوه فى كل المناسبات و ردت له الجميل فخدمته..

بمالها: " كانت نساء كثيرات يخدمنه من أموالهن

بعواطفها : عند قدمي الصليب كانت المرأة تتعبد وتبكي بينما كان التلاميذ قد هربوا

وبينما بطرس أنكر ويهوذا خان وسلم ، رأينا " نساء كثيرات .. تبعن يسوع من الجليل يخدمنه " وبعد الصلب " تبعنه نساء كن قد اتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً " ، ثم " فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن إناس " .

كل معيشتها للمسيح

لقد أعطت المرأة كل ما عندها للمسيح ، وبهذا ضربت الرقم القياسى فى الوفاء والإخلاص إذ " جاءت أرملة فقيرة وألقت فلسين .. فدعا السيد المسيح تلاميذه وقال لهم الحق أقول لكم أن هذه الأرمله الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة ، لأن الجميع من فضلتهم القوا وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل ما عندها كل معيشتها " .

إبداعات المرأة فى المسيحية

لقد أشاعت المرأة فى ميادين الخدمة الإنسانية نوراً وهاجاً ..

(فطابيثا) شهد لها الوحى إنها " كانت ممتلئة أعمالاً صالحة " .

(فيبى) خادمة أمينة للرب قلما نذكرها مع أن بولس الرسول قال عنها " أوصى إليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين .. لأنها صارت مساعدة للكثيرين ولى أنا أيضاً " ..

(بريسكلا) جندية مجاهدة فى جيش المسيح ذكرها بولس بكلمات مؤثرة إذ قال " سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى الذين لست أنا وحدى أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم " .

وإن ننس فلن ننسى (تريفينا) ، (تريفوسا) التاعبتين فى الرب ،

(برسيس) المحبوبة التى تعبت كثيراً فى الرب ،

(جوليا) وغيرهن (راجع رومية ١٦) هذا فى الكتاب المقدس ،

أما التاريخ فقد حدثنا عن كثيرات و كثيرات منهن :

جان دارك التى كانت تصوم وتصلى وكانت آخر عباراتها وهى تحترق (يا يسوع المسيح) .

(دميانة) التى كانت كوكب البرية .

(فبرونيا) و (بوطاميانة) و (هيلانة) .

(اليزابيث فراى) تلك التى جالت بين المسجونين تنقذهم وتخفف آلامهم ، فاستطاعت أن تفتح فتحاً جديداً فى إصلاح السجون .

(رامابى) الفتاة الهندية التى تتكلم سبع لغات وتعد من أعظم قادة الحركة الفكرية والخدمة الإنسانية فى بلاد الهند ، إذ بنت عدة ملاجئ للمتشردين من الأطفال آوت فيها بادئ ذى بدء ألفى طفلة . !!

كل ذلك شعاع من المسيح " نور العالم " وقبس من " شمس البر " وضياء من " كوكب الصبح المنير " نصير المرأة الحقيقى الكبير .

ملاك الرحمة في حرب القرم

كانت فلورنس نيتنجال غنية وجميلة ووحيدة لوالديها وينتظرها مستقبل مشرق بكل الترف والتنعمات، ولكنها رأت المجروحين في حرب القرم وليس لهم من يعتني بهم، فقامت وأنكرت نفسها وضحت براحتها وثروتها وجمالها وذهبت إلى ساحة الحـــرب وجمعت حولها جيشاً من الفتيات والسيدات وصارت تشتغل ليلا ونهاراً وسط الخطر. وعندما كانت تمر بأسرة الجرحي من الجنود كانوا يركعون لهـــا إعترافـــاً بفضـــلها ويلقبونها بملاك الرحمة، وصارت ملكة التمريض وسبباً في تأسيس جمعية الصـــليب الأحمر التي عمت المسكونة كلها وقلدتها حتي البلاد غير المسيحية



الباب الخامس

نمــــاذج لنســــاء فاضــــلات

الفصل الأول

من العهـــد الجديـــد

أليصابات زوجة زكريا الكاهن

"وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم " (لو ١ : ٦)

مريـــم أخت لعــــازر

وفيما هم سائرون دخل قرية فقبلته إمرأة أسمها مرثا في بيتها وكانت لهذه أخت تدعي مريم التي جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه . وأمــا مرثــا فكانت مرتبكة في خدمة كثيرة . فوقفت وقالت يارب أما تبالي بأن أختي قد تركتني أخدم وحدي فقل لها أن تعينني . فأجاب يسوع وقال لها مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة . ولكن الحاجة إلى واحد فأختارت مريم النصيب الصالح الذي لم ينزع منها (لو ١٠ : ٣٨ ـــ ٤٢) .

زوجــــة بيلاطــس

علمت بأن المسيح يحاكم أمام زوجها فى كرسى الولاية فلم تنم بالليل بـل قلقت وتألمت وفى قلقها رأت رؤيا خطيرة وأحست بالخطر يحدق بزوجها " فأرسلت إليه إمراته قائلة إياك وذلك البار لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله " (مت ٢٧ :١١) لقد قامت بواجبها وأراحت ضميرها وكانت شفيعة لذلك الذى يترأى ويشفع فينا !!

مريــــم المجدليــة

أحبها يسوع وخلصها من مجموعة شياطين جبارة كانت تعذبها .. لـذلك كانـت محبتها له محبة فريدة من نوعها ، ولذلك لم تتأخر عن زيارته بالقبر وافتقاده عنـدما علمت بصلبه وتبعته بعد أن هجره بقية التلاميذ !!

ليديـــة الكارزة الناجحة

كانت تسمع بولس فى تبشيره فقبلت الكلمة بسرور ولم تقبلها وتسكت ، بل قبلتهـــا وبشرت ، وكانت أول مبشر لأوربا بالمسيحية ، وإذا كانت أوربا وأمريكا اليوم قلاعاً حصينة للمسيحية فالفضل الأكبر فى هذا لهذه المرأة (ليديه) وكانت إمرأة تاجرة تبيع الأرجوان يقول عنها الرسول : " فكانت تسمع إمرأة اسمها ليدية بياعة أرجوان مـــن مدينة ثياتيرا متعبدة لله ففتح الرب قلبها لتصغى إلى ما كان يقوله بولس " ولما أصغت وفتح الرب قلبها كانت سبب بركة لألاف وملايين " !!

أفوديه وسنتيخي دخلتا التاريخ ولكن كصانعتي خصام!

كانت أفوديه وسنتيخي سيدتين بارزتين في كنيسة فيلبي، ويقـــال أن الاجتماعـــات الدينية كانت تعقد في بيتيهما. كان لكل منهما خدماتها ومواهبهـــا الكثيـــرة حتـــي أن الرسول بولس قال عنها في رسالة فيلبي " أنهما جاهدتا معه في الإنجيل وأن إسميهما في سفر الحياة " (في ٤ :٣) .

ولكن المؤلم أن افوديه وسنتيخي كانتا علي الدوام تتشـــاجران معـــاً، لدرجـــة أن منازعاتهما وخلافاتهما في الرأي تحولت إلى خصومات وانقسامات محزنة لا تنتهـــي وغطت علي كل الجهاد الذي كان لهما في خدمة الإنجيل! وقد اضطر الرسول بولس أن يشير إلى هذه النقطة السوداء لتعليم جميع الكنائس درساً منها، فقال : " أطلب إلى افوديه واطلب إلى سنتيخي أن تفتكرا فكراً واحداً في الرب. نعم أسألك أنت أيضاً يَـــا شريكي المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتنا معي في الإنجيل" (في ٤ : ٢ ، ٣
ما أكثر الكنائس اليوم التي فيها افوديه وسنتيخي ، لكل منهما مواهبه وخدماته الممتازة علي انفراد، ولكن معاً يحدث التنافر والنشاز بدل الانسجام والهارموني! وكان لزاماً أن يحاول الرسول بولس فض الاشتباكات وتصفية الخلافات قبل أن يقول للكنيســـة " افرحوا في الرب كل حين " (في ٤ : ٤) لأن الخلافات تطرد الفرح بـــل وتطـــرد المسيح نفسه من الكنيسة!!

نعم لقد دخلت افوديه وسنتيخي التاريخ لأن بولس الرسول ذكر اسميهما في رسالة فيلبي التي يقرأها الملايين في كل مكان علي مدي اكثر من الفـــي عـــام حتـــي الآن، ولكنها كانت شهرة سيئة.. شهرة خلافـــات ومنازعـــات ومشـــاجرات وخصـــومات وإنقسامات وإذا كنا نستطيع أن نلخص حياة كل انسان في كلمة واحدة هي أهـــم مـــا يطغي علي غيرها من صفات، كأن نلخص حياة الرسول يوحنا فـــي كلمـــة المحبـــة، وأيوب في الصبر، وداود في التسبيح، والمعمدان في الشجاعة، وتومـــا فـــي الشـــك، ويهوذا في الخيانة، وافتيخوس في النوم ـــ فأننا نستطيع أن نلخـــص حيـــاة افوديـــه وسنتيخي في الخصام والعكننة! فما هي الكلمة التي تصف حياه كل منا

نمـــاذج من المــرأة القبطيـــة !!

بعد أن عرضنا عينات من السيدات المثاليات فى الكتاب المقدس ، لا مناص من أن نقدم إلى جانب هؤلاء ، نماذج من المرأة القبطية فى التاريخ ، وإذا تحدثنا عن المرأة القبطية فإنما نتحدث عن الجلال والروعة ، نتحدث عن البطولة فى التاريخ ، نتحدث عن الجلد والكفاح فى سبيل الإيمان والثبات على العقيدة ، نتحدث عن (الرجولة) فى الأنوثة القبطية !! . أجل نتحدث عن كل أولئك ، فمن من البشر يجرؤ على نكران هذه العظمة ؟ أن التاريخ خير شاهد على أن المراة القبطية كانت تسير جنباً إلى جنب مع الرجل فى طريقها إلى الجلاد أو إلى المشانق أو إلى آتون النار ، فكم من أمراة مزقت أوصالها فى سبيل الإيمان ، وكم من إمراة أبت ألا أن تضع رأسها على كفهـا بغيــة الإستشهاد الشريف ، أما أولئك اللواتى ارتضين عن طيب خاطر أن يهجرن زخـرف العالم ويطلقن جمال الدنيا ويعشقن جمال المسيح ، فحدث عنهن ولا حــرج ، فمئــات وآلاف فضلن كهوف الدير عن قصور العالم ، وشظف العيش وسط الصــومعة عــن رغد الحياة ولهو الدنيا . إليك ايهاالقاريء الحبيب نقدم لمحات سريعةً لحيــاة المــراة القبطية .

ســـــارة قاهرة الشيطان !!

هل ننسى (سارة) تلك القديسة البارة التى عشقت الرهبنة واشتاقت إلـــى الحيــاة النسكية فشدت رحالها إلى دير العذارى ، حيث ناضلت وحاربت شــيطان ، الشـــهوة الشبابية زهاء ثلاثة عشر سنة حتى كلّ الشيطان من ثباتها وعفافهــا ، فقصــد إلـــى إسقاطها فى رزيلة الكبرياء والغرور ، فظهر لها وهى قائمة تصلى على سطح قلايتها وقال : بشراك يا سارة يا قديسة الله لقد غلبت الشيطان فاجابته " أنا ما أنا بــل نعمــة المسيح العاملة فى " فتوارى من أمامها هارباً . وأقامت هذه المجاهده الكبيــره علـــي حافه النهر مده ستين سنه تكافح كفاح الأبطال ، كفاحاً تنوء تحته الجبال ، ويخجل منه الرجال .

مريـــم القبطيـــة

ومن سارة إلى (مريم) القبطية التى انتصرت على الخطية ، انتصــاراً عظيمــا قويا، وكان انتصارها هذا إبان زيارتها للقدس حيث وقفــت أمـــام أيقونـــة العـــذراء تستلهمها طريق الخلاص فجاءها صوت يقول (إذا عبــرت الأردن تجــدى راحـــة وطمائنينة) فنهضت سريعاً وعبرت الأردن إلى البرية حيث مكثت بها سبعاً وأربعين سنة وكانت تقتات بحشائش الصحراء ، وفى نهاية حياتها خرج (القس زوسيما) إلى

البرية حسب عادة الرهبان للخلوة فى صوم الأربعين ، فرأى مريم القبطية هذه وناولها من الأسرار المقدسة وقدم لها ما معه من التمر والعدس فتناولت بضع حبات منها ، وبعد شهور زارها هذا القس فإذا بها قد تنيحت وإذا بأسد واقف بجوار جثتها وعند رأسها مكتوب (أدفن مريم المسكينة فى التراب الذى أخذت منه) وفيما هو مفكر فى كيفية حفر الأرض لدفنها ، تقدم الأسد وحفر الأرض بمخالبه ، وصلى الآب عليها ودفنها بسلام ، ورجع إلى مكانه متعجباً مما رأى .

أوفيمية الزوجة الوفية (قاهرة الشيطان)!!

ولا ننسى (أوفيمية) تلك القديسة التقية والزوجة الوفية ، كم حسدها الشيطان ودبر لها مؤامراته الجهنمية ، ونصب لها شباكه الخفية القوية ، وبرغم ذلك كله صمدت وكان صمودها وثباتها معجزياً . فلقد أتاها الشيطان فى شكل راهب وجعل يحدثها ويؤكد لها أنه مشفق عليها بعد وفاة زوجها ، وينصح لها بالزواج لترزق أولاداً ، فقالت له (أننى قد قطعت عهداً على نفسى ألا ألتصق برجل بعد زوجى ، فإذا كانت الطيور كاليمام والغربان لا تعرف ذكراً آخر بعد الأول ، فبالأولى بالبشر الذين خلقوا على صورة الله أن يكونوا هكذا) فتركها الشيطان غاضباً .

ولما تم يوم عيد الملاك وقد اهتمت بما يلزم كعادتها ، ظهر لها الشيطان مرة أخرى فى زى ملاك وأعطاها السلام وقال لها (أنا الملاك ميخائيل أرسلنى الله إليك آمرك أن تتركى الصدقات وتتزوجى برجل ، فإمرأة من غير رجل كسفينة بغير ربان) ..

فأجابته (إن كنت ملاك الله حقاً فأين الصليب علامة جنديتك ؟) فلما سمع هذا الكلام عاد لى شكله الحقيقى ووثب عليها يخنقها ، فاستغاثت بالملاك ميخائيل صاحب العيد ، فحضر إليها وخلصها من يديه لأن "ملائكة الرب حالة حول خائفية لتنجيهم "!!

أفرونيه المرأة الثابتة على الإيمان !!

أفرونيه المراة الثابتة علي الإيمان .. تلك التى جاهدت ضد قوات العالم واستهانت بالمشانق والسيوف .. تلك العذراء العفيفة والقديسة الشريفة نذرت نفسها للمسيح فدخلت الدير وجاهدت الجهاد الحسن بالنسك والصوم والعبادة الحارة ولما صدر أمر دقلديانوس بعبادة الأوثان ، واستشهد كثيرون من المسيحيين على يديه هجم الجبابرة على دير العذارى ، وكن قد اعددن عدتهن للهروب فهربن جميعا إلا أفرونيه هذه فقبض الجند عليها وأهانوها وأخذوها مكبلة بالحديد إلى الوالى ، وكان عمرها فى ذلك الوقت عشرين سنة غضة الأهاب جميلة المنظر ، فتبعتها أمها العجوز ، ولما أن عرض عليها الوالى عبادة الأوثان ووعدها وعوداً مغرية كثيرة ، رفضت بثبات وحزم فأمر بضربها وشق ثوبها عنها فصرخت فيه الأم قائلة (يشقك الرب أيها الوحش المفترس لأنك قصدت إشهار هذه الصبية اليتيمة فاغتاظ الوالى وأمر أن تشد أفرونيه

بالهنبازين ويمشط جسدها بأمشاط حديدية محماة بالنار ، إلى أن تهرأ جسمها وتساقط لحمها ، وكانت إذ ذاك تصلى طالبة عون السماء . ثم قطع لسانها وقلع أسنانها ومزق أعضائها وأخيراً أمر بذبحها فنالت إكليل المجد ولسان حالها قول رسول الجهاد " جاهدت الجهاد الحسن وأكملت السعى وحفظت الإيمان وأخيراً وضع لى إكليل البر " .

تيودورا شهيدة الشرف والعفة

(تيودورا) تلك الفتاة البارعة الجمال ذات الحسن الرفيع . لقد آثرت العفة فنذرتها لله وفى سن السابعة عشر اضطهدها الوالى بركولوس لأنها رفضت تسليم جسدها إليه ، فلقد خطف بصره جمالها وروعة جلالها فسألها أن ترضى به بعلاً ، وامهلها ثلاثة أيام أن أصرت على رفضها نكل بها شر تنكيل فقالت له برباطة جأش : (هب أن الثلاثة أيام انقضت فأفعل بى ما تشاء وقرر لى المصير) ومن ثم أرسلها الوالى إلى بيوت البغاء ، ليفسد عفتها ، ولشدة إيمانها كانت مطمئنة أن الله سيرسل إليها ملاكه لينقذها .

وها هوذا ملاك الرب قادم ، لكنه ملاك آدمى يدعى (ديديمس) شاب مسيحى شهم، لبس ثوب جندى وتقلد سيفاً وطلب الدخول إليها فى بيوت الدعارة فسمح له الحراس تلقاء بعض دريهمات ، فلما رأته تيودورا ارتجفت وفزعت فقال لها : لا تجزعى الرب قد أرسلنى إليك لأنقذ عفتك ، هيا اسرعى البسى ثوبى واعطنى ثيابك ، فتنكرت فى ثياب ديديمس وخرجت بها بشجاعة أمام الحرس فعميت عيونهم عنها !!

وبعد أيام انكشفت حيلة ديديمس الشاب الجرئ فنكل به الوالى كثيراً وطلب إليه ارشاده عن مكان العذراء فقال له (لا أعلم سوى أنها خرجت من بيوت الدعارة بكل عفاف وطهارة) !!

قدم ديديمس إلى الموت الشنيع فسمعت بذلك الفتاة تيودورا فما كان منها إلا أن أسرعت تجرى خلفه وقالت له فى لهفه (لماذا هكذا يا أخى تختلس إكليلى ؟ أنى وأن كنت رضيت لك أن تنقذ عفافى إلا أنى لن أرضى لك بأن تأخذ إكليل الإستشهاد منى ، فدعنى على الأقل أسبقك إلى أخذه) . وهكذا أخذا يتجادلان بحرارة وحماس فبعثا الحيرة والعجب فى نفوس المشاهدين حتى أن منهم من زرف الدمع سخيناً لهذا المشهد المؤثر . .. ثم قطعت رأساهما معاً شهيدين كريمين ، الأولى شهيدة الشرف والثانى شهيد المروءة .

دميانة بطلة الإيمان

أبان القرن الرابع للميلاد برز كوكب لامع براق ، أضاء جنبات العالم المسيحى ببريق نوره وساطع ضيائه ، انها العذراء الجميله الشهيده المجيدة دميانه ، لقد كانت

غنية ثرية ، لكن الثروة لم تستطع أن تثنيها عن الحق ، والجاه لم يستطع أن يفتن قلبها ويغرر بها . اختارت لنفسها العزلة والزهد ، وارتضت أن تتعكف عن المدينة وابهتها والقصور وعظمتها ، تركت أسرة العاج وفراش الدمقس ، ورغبت في التقشف والنسك، وهناك فى خلوة من المدينة وضوضائها طلبت إلى والدها أن يبنى لها بيتاً أشبه الأشياء بالعلية فى صهيون ، وفى تلك العزلة كانت دميانة كالقمر يتوسط أربعين من (الكواكب المقدسة) .

أربعون من العذارى الطهارى اشتممن رائحة دميانة الذكية فأنعشت نفوسهن الأبيه، وأيقظت ضمائرهن الحية ، وإذ بهن يرتضين عن طيب خاطر ، أن ينتظمن فى عقد دميانة الثمين الطاهر ، ولكن ... من أين لقوات الشر أن تهدأ وتصمت وإبليس خصمنا كأسد زائر يجول حولنا ، لقد استطاع دقلديانوس الإمبراطور الجبار أن يخدع مرقس والد دميانة ، وهناك أمام هيكل أبلون وأرطاميس قدم والدها المسكين بخور الطاعة والخضوع .

ثورة ، لكنها ليست ثورة دموية ، إنما هى ثورة فكرية قلبية ، اشتعلت بين جنبات دميانة النقية ، ثارت ثائرتها وجن جنونها ، وأرسلت لأبيها الخانع المرتد تقول (أبى ! أعلم أن الحياة والموت بيد الله ، وأن الجبن والإستسلام وعدم الثبات على الإيمان ، إنما هذا هو الموت الأدبى الذى لا يوجد أشنع منه فى الحياة ، فاحذر على نفسك لئلا تباع للشيطان ، والشيطان غادر أثيم لا يشفق ولا يرحم . أعلم يا أبت أن الرتب والنياشين والدرجات والعلاوات ما كانت يوماً ثمناً للإيمان الغالى المسستقيم فرفعتك فى الدنيا من هذا السبيل هى عين الإنحطاط) .

ولم تكتف بهذه الرسالة بل قصدته ، ولما التقت به قالت له على الفور (ما هذا الذى اسمع عنك يا أبى ، أصحيح إنك رفضت سيدك الحبيب يسوع المسيح الذى مات من أجلك ومن أجلى ، وفضلت عليه أمجاد العالم الباطلة والتمتع بالشهوات الزائلة لتنال الإكرام من ملك عظمته أحلام وأمانيه كلها أوهام ؟؟

ثم قالت (ليتنى سمعت بخبر موتك يا أبى قبل أن أسمع إنك رفضت السيد المسيح ألا فأسرع إلى الملك واعترف أمامه بكل شجاعة بإنك مسيحى وإنك لا تعبد غير المسيح وإلا فلن تكون أبى ، ولن أكون إبنتك وأكون بريئة منك إلى يوم الدين) .

لقد مست هذه الأحاديث البنوية عاطفة مرقس الأبوية وأصابت منه الصميم فعاد و تاب ورجع رجوع الإبن الضال فثار عليه الإمبراطور وعلم سر رجوعه والباعث عليه فقتله وأرسل إلى بيت دميانة جنوده الغاشمين فعذبوها آشد عذاب وقتلوها مع العذارى الأربعين .

تلك صورة للإيمان المكين والثبات على المبدأ إلى النفس الأخير . طراز نحتاج إلى من ينسجن على منواله ، ونموذج نريد الجميع على مثاله ، فيا فتيات الكنيسة اتخذن من دميانة أحسن الأمثلة فى الطهارة والإيمان والثبات ، فتسجلن اسماءكن فى صفوف العذارى الحكيمات .

بوطاميانة : نموذج العفاف

لقد لمع تاج العفاف أروع لمعان فوق رأس فتاة يقال لها بوطاميانة ، كانت خادمة عند أحد الأنذال الأوغاد ، إذ سولت له نفسه الخبيثة،بالاعتداء على عفاف خادمته مستغلاً سلطته عليها وضعفها ، فحاول جهده استمالتها لكنه عبثاً حاول . فلقد كانت أحرص الناس على عفافها ، وإذ خاب أمله انتهز فرصة اضطهاد المسيحيين فذهب إلى الوالى يشكوها راجياً إياه أن يساعده على إتمام رغبته الدنيئة ووعده بمبلغ وافر من المال ، فاستعمل الوالى معها شتى أنواع الإغراء تارة بالوعد وطوراً بالوعيد ، ولما أن نفذت حيلته أمر الجند بأن يعروها ويلقونها فى قدر من الزيت المغلى ، فتوسلت إليهم أن يسمحوا بألا تنزع ثيابها كما تقتضى الحشمة ، فى مقابل أن ينزلوها فى القدر الملتهب شيئاً فشيئاً حتى يطول عذابها ، فارتضى الجلادون وأخذوا فى تعذيبها ببطء استغرق نحو ثلاث ساعات وهى رابطة الجأش قوية العزيمة ثابتة المبدأ لا تميل ولا تلين ، حتى ذهل الجلادون وكان من بينهم جلاد اسمه (بازيليد) إذ شاهد ثبات الفتاة تأثرت نفسه واعترف بالمسيح على رؤوس الإشهاد فقبضوا عليه وطرحوه في أعماق السجون المظلمة فجاءه كاهن وعمده ، وفى ثانى يوم قطعت رأسه ونال إكليل الشهادة الجليل .



الفصل الثالث

القديسة كلية الطهر والعفاف العذراء مريم في الإسلام

كتبنا في بداية حديثنا عن المرأة في المسيحية تأملات عن السيدة العذراء (حـــواء الثانية) التي أصلحت ما أفسدته أمنا الجسدية (حـــواء الأولـــى) . والآن وقبـــل أن نتحدث عن المرأة في الإسلام ، نختتم هذا الباب بما قاله القـــرآن الكريم عن ســـيدة البشرية القديسة العظيمة البتول مريم العذراء أم السيد المسيح والتي تحـــدث عـــــنها الـــكتاب الـــمـــقدس بـــعـــهديه القديم (كتاب اليهودية) والعهد الجيد (إنجيل ربنـــا يسوع المسيح) .

القرآن الكريم والعذراء مريم

يذكر القرآن مريم إحدى عشرة مرّة ولا يذكرإسم أنثى غيرها وقد إختص ســـورة بإسمها (سورة مريم) ولا يستنبئ القرآن أنثى سواها : وحدها بـــين النســـاء خاطبهـــا الملائكة وخاطبتهم . فهى تهيئة لإبنها ذروة الذرية المصـــطفاة علـــى العـــالمين (آل عمران ٣٣- ٤٥).

فى حين الحبل بها تقول أمها وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الـــرجيم (آل عمران٣٦) وأم مريم إمرأة عمران هى حنة بنت فاقوذا جدة عيسى ...

وزكريا كان معاصراً بن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيســـى عليهمـــا السلام إبنى خالة من الأب (البيضاوى).

وتقول : إنى سميتها مريم ... فسره البيضاوى : وإنما ذكرت ذلك لربها تقرباً إليه وطلبا لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لإسمها ومريم فى لغتهم تعنـــى العابدة .

وينقل البيضاوى مثل سائر المفسرين بيانا لعصمة مريم فى الحبل بها هذا الحديث : وعن النبى ما من مولود يولد وإلا الشيطان يمسه حين يولد فيستهل يصرخ من مســـه إلا مريم وإبنها لأن الله عصمها ببركة الإستعاذة فمريم أم المسيح معصومة من مـــس الشيطان عند الحبل بها والولادة .

وهذا التلقين القرآنى الذى يؤيده ويفسره الحديث دليل علـــى عصـــمة مـــريم مـــن الخطيئة فى الحبل بها ودليل على أن هذه العقيدة كانت شائعة بين المسيحيين فى مطلع القرن السابع كما نزل بها القرآن والقرآن حجة على من ينكر ذلك فى عصرنا هذا .

مريم أم المسيح إذاً مصطفاة على العالمين بنسبها ومصطفاة على العالمين بعصمتها فى خلقها ومولدها ومصطفاة على العالمين فى نشأتها .

وهى نذيرة الله منذ الحبل بها : رب إنى نذرت لك ما فـــى بطنـــى محـــرراً (آل عمران ٣٥) فتقبلها ربها بقبول حسن فى نذرها وأنبتها نباتاً حسناً وهذا مجاز عـــن تربيتها بما يصلحها فى جميع أحوالها (البيضاوى) .

وإنقطعت مريم للعبادة منذ صغرها فى محراب الهيكل وكفلها زكريا وتنافس الأحبار فى كفالتها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم (البيضاوى) .

وهكذا كان عمران أو يواكيم كما يقول الإنجيل من الأحبار وهى مصطفاة على العالمين فى إنقطاعها صغيرة للعبادة .

وأيضاً مصطفاة على العالمين فى معيشتها فى الهيكل : كلما دخل زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم : أنى لكِ هذا ؟ قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب (آل عمران ٣٧).

فسره البيضاوى : المحراب الغرفة التى بنيت لها أو المسجد وأشرف مواضعه ... كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس ... روى أنه كان لايدخل عليها غيره وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس ... وقيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة .

وتقضى مريم حداثتها فى الهيكل فى حديث مع الملائكة وإذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله إصطفاكِ وطهرك واصطفاكِ على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين (آل عمران ٤٢).

فسره البيضاوى : كلموها شفاها ، كرامة لها .. والإصطفاء الأول : تقبلها من أمها ولم تقبل أنثى قبلها فى الهيكل وتفريغها للعبادة وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء وبعصمتها أيضا من الخطيئة .

والإصطفاء الثانى : هدايتها وإرسال الملائكة لها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها من قذف اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وإبنها آية للعالمين.

وفسره الزمخشرى : إصطفاك أولا حين تقبلك من أمك ورباك وإختصك بالكرامات السنية واصطفاك آخراً بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء.

وقال الرازى : الاصطفاء الأول : ما حصل لها من الامور الحسنة فى أول عمرها والثانى ما حصل لها فى آخر عمرها .

أما النوع الأول من الاصطفاء فهو أمور : أنه تعالى قبل تحررها ..

- نسكها فى الهيكل مع أنها كانت أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى من الاناث .
- قال الحسن : أن أمها لما وضعتها ما غذتها طرفة عين بل ألقتها إلى زكريا وكان رزقها يأتيها من الجنة .
- أنه تعالى فرغها لعبادته وخصها فى هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة
- أنه كفاها أمر معيشتها وكان يأتيها رزقها من عند الله .
- أنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاهاً ولم يتفق ذلك لأنثى غيرها .

والإصطفاء الثانى : هدايتها ...

- وإرسال الملائكة إليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفته اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وإبنها آية للعالمين .

ومريم أم المسيح معجزة فى ذاتها وفى سيرتها وجعلناها وأبنها آية للعالمين (الانبياء ٩١).

الباب السادس

المـــرأة في الإســـلام

ليس لنا في هذا الموضوع رأي أو تعليق، ولكننا ننقل عن أصـحاب المؤلفـات الأخري . وهي غالباً مؤلفات إسلامية متداولة في المكتبات، ونحن ننقل عنهـا بـلا تفسير أو شرح . ولكننا نعلق عند الضرورة فقط بتعليقات بسيطة ومقتضبة ومـأخوذة أيضاً من الكتب المنشورة(١) .

---

(١) من بين المراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة..

أ - تفاسير القرآن:

ابن عباس: تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (ضمن مجمع التفاسـير ١-٥ اسـطنبول) ـــ الطبري: محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن. تحقيق محمود محمد شاكر ـــ الزمخشري: محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـــ فخر الرازي: حسين بن علي: مفاتيح الغيب ـــ الخازن: علاء الدين علي بن محمـد: لبـاب التأويل في معاني التفسير (ضمن مجمع التفاسير) ـــ ابن كثير: أبو الفداء إسـماعيل: تفسـير القرآن العظيم ـــ محمد عبده: تفسير المنارـــ سيد قطب: في ظلال القرآن ـــ الصـابوني: محمد علي: تفسير آيات القرآن.

ب - كتب الحديث:

البخاري: محمد بن إسماعيل: الصحيح تحقيق مصطفى ديب البغا ـــ مسـلم: مسـلم بـن الحجاج، صحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـــ أبو داود: سليمان بن الأشعث، تحقيق محمـد محيي الدين عبد الحميد ـــ الترمذي، أبو عبد الله بن محمد، سنن ـــ النَّسائي، أبو عبد الرحمن محمد، سنن ١-٢ ـــ لنفس المؤلف، كتاب عِشرة النساء، ـــ ابن ماجة، أبو عبد الله محمـد: سنن ١-٢ ـــ الدارقطني، أبو الحسن علي: سنن ١-٢ ـــ أحمد بن حنبل: مسند ١-٦ ـــ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن: سنن، ١-٢ ، ـــ كنز العمال، علاء الدين متقي الهنـدي ، حيدر آباد ـــ الكليني، أبو جعفر محمد: الفروع من الكافي، ١-٩

جـ - كتب السير والطبقات:

البلاذري، أنساب الأشراف، المجلد الأول تحقيق محمد حميد الله ـــ ابـن هشـام، السـيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ـــ ابن سعد، الطبقات الكبرى ـــ ابن عبد البر، أسـد الغابة في معرفة الصحابة .

د - كتب الفقـه:

الشافعي، أحكام القرآن ١-٢ ـــ بدائع - لعلاء الدين أبي بكر الكاساني، بدائع الصنائع فـي ترتيب الشرائع، ١-٦ ـــ الجصاص - أبو بكر بن علي: أحكام القرآن، ١-٣ ـــ الجزيري - عبد الرحمن الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، ١-٥ ـــ الفتاوى الهندية، ١-٩ ـــ ابن عابدين، محمد أمين: رد المحتار على الدر المختار، ١-٧ ـــ ابن همام، كمال الدين محمد: شرح فتح القدير، ١-٨ ـــ الاختيار لعبد الله بن محمود الموصلي: الاختيار في تعليل المختار، ١-٤ ـــ المبسوط لشمس الدين السرخسي: كتاب المبسوط، ـــ المـردوي شـمس الـدين المقدسي: كتاب الفروع، ١-٦ ـــ المغنى لموفق الدين ابن قدامة: المغنى على مثنى المقنع ـــ المحقق الحلى: شرائع الإسلام ١-٤ . =

مكانة المرأة في الإسلام

مكانة المرأة في الإسلام من أكثر المواضيع خلافاً وخطورة ، ليس فقط لدى المسلمات ومن يمثل حقوقهن في إطار حقوق المرأة في العالم الإسلامي ، بل إنها مادة اهتمام ودراسة عند المسلمين الأصوليين أيضاً (مكانة المرأة في الإسلام حمدون داغر)

قد يجد القارئ العادي نفسه في ارتباك نظراً للمؤلفات الكثيرة التي عالجت وما تزال تُعالج هذا الموضوع . فهناك من يتحدث عما أنجز الإسلام بحق المرأة (١) وهناك من يقول أن الإسلام هو الذي منح المرأة حقوقها وكرامتها (صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص٤٤٢) وهناك من ينسب جميع السلبيات في وضع المرأة المسلمة إلى الإسلام .

= هـ - المراجع العامة:

ابن الأثير: الكامل في التاريخ تحقيق ـــــ ابن الجوزي، أبو الفرج: كتاب أحكام النساء ـــ ابن عبد ربه، العقد الفريد ـــ ابن قتيبة: عيون الأخبار ـــ ابن قيم الجوزية: الطرق الحكيمة ـــ الجاحظ ، أبو عمرو: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ـــ لنفس المؤلف: رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ـــ الخولي، أبو عبد العزيز: مفتاح كنوز السنة ـــ الذهبي تاريخ الإسلام، تحقيق محمد عبد السلام تدمري ـــ الزركلي: الأعلام ـــ الشريف المرتضي: رسائل ١-٣ ـــ راغب الأصفهاني: معجم مفردات القرآن، تحقيق منير البعلبكي ـــ شلتوت محمود: الإسلام عقيدة وشريعة ـــ صبحي الصالح: النظم الإسلامية ـــ العقاد، عباس محمود، المرأة في الإسلام ـــ الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، ١-٤ ـــ عبد الحميد عيسي غازي : أجمل ما قيل في المرأة ـــ حمدون داغر : مكانة المرأة في الإسلام ـــ قاسم أمين: المرأة الجديدة ـــ لنفس المؤلف: تحرير المرأة ـــ مجدي سيد إبراهيم: بدع وخرافات النساء ـــ محمد رشيد رضا: فتاوى الإمام، تحقيق يوسف خوري ـــ محمود أبو ريا: جمال الدين أفغاني ـــ هيكل، محمد حسين: حياة محمد (الطبعة السابعة عشرة)

(١) قاسم أمين، تحرير المرأة، ص ٩ ، القاهرة (١٩٨٢) .
محمد رشيد رضا، نداء للجنس اللطيف ص ١١١ ، القاهرة (١٩٣٢) .
محمد على الصابوني، تفسير القرآن، ٢:٢٥ ، ٣٥ و٩٦١-٤٧١ ، بيروت ١٩٨٠ .
محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ٣٣٦ ، القاهرة (١٩٨٧) .
عباس محمود العقاد ، المرأة في القرآن، ص ٢١ بيروت (١٩٧٥) .

يعتمد أكثر الكتاب المعاصرين على مقارنات سطحية بين ما أتت به الشريعة الإسلامية من تشريعات ووضع المرأة في العصر الجاهلي ، أو بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني كبرهان على أن وضع المرأة في الإسلام أفضل بكثير مما كانت عليه في تلك الأنظمة والشرائع (صبحي الصالح، النظم الإسلامية ، هيكل (حياة محمد) ، عبد الله شحاتة، الدعوة الإسلامية والإعلام الديني .

حقوق المرأة فى الإسلام

مما لا شك فيه أن مسألة حقوق المرأة ومكانتها في الإسلام . تعتبر من المسائل الحساسة والمهمة .

يقدم بعض الكتاب المسلمين صورة المرأة المسلمة كما لو أنها نالت كافه الحقوق ، يعملون علي إظهار مكانة المرأة في الإسلام ما بعدها مكانة، وأن الإسلام هو المدافع الأول والمشرع العادل لحقوق وواجبات المرأة، وأن هذا الدين الحنيف هو الذي عزز من جانب المرأة فجعلها عزيزة شريفة محترمة وموقرة، لها مكانتها المرموقة في المجتمع. فهي الأم والجدة والابنة والأخت والعمة والخالة، هي شقيقة الرجل وهي نصف المجتمع. و يقولون أن الإسلام أثبت للمرأة حقوقاً تناسبها وتليق بها، فليست المرأة في الإسلام مظلومة ولا مهضومة ، بل هي عزيزة وموقرة، المرأة مظلومة في غير الإسلام ، المرأة مظلومة قبل الإسلام . مظلومة ومهضومة ومبخوسة الحقوق ومعدودة من سقط المتاع ، عند العرب قبل الإسلام وفي غير الإسلام . الإسلام احترم المرأة ، احترمها أما واحترمها بنتا واحترمها زوجة واحترمها كبيرة وصغيرة حاضرة وغائبة حرة ومملوكة حيا وميتة.

و في نفس الوقت يقول كتاب آخرون مسلمون وغير مسلمون أن الإسلام ألبس المرأة اللباس الذي يريده وحدد لها الدور الذي يرتئيه ، وفرض عليها عزلة ما بعدها عزلة، بحجة حمايتها وصون عرضها. و يتسألون : ممن يريدون حماية المرأة المسلمة ؟ أليس يحمونها من الذكر المسلم . أي من (أبناء مجتمعها) أليس غريباً أن لا يؤثر القران وتعاليمه الكريمة ، في سلوك ونفسية الذكر المسلم . لدرجة أنهم وضعوا كل هذه التحصينات حول المرأة المسلمة لحمايتها من الذكر المسلم .

و يقولون أن الإسلام حرم المرأة من أبسط حقوقها وأفرغها من قيمها الإنسانية وحولها إلى كائن ناقص تابع ، وجدت فقط من أجل التفريغ والتفريخ والخدمة. ويضيفون قائلين : أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع رجال في ظاهره وواقعه ، وما دور المرأة فيه إلا هامشي لا أساسي ، تقوم ومن خلاله بأدوار معدة لها سابقاً ، لا يحق لها الخروج عنها أو تخطيها ، والقرآن والسنة المحمدية في مجملها قد تطرقوا إلى نواحي عديدة تهم المرأة في كثير من أمور حياتها الخاصة قبل العامة ، وكانت هذه الأمور ، هذه التشريعات الحكيمة ، هذه التحصينات المنيعة ، في مجملها تقيدية جائرة متحجرة لا حياة ولا حركة فيها .

المـــرأة في القـــرآن

جاء في كتاب مكانة المرأة في الإسلام لحمدون داغر " تظهر المرأة في القرآن في ثلاثة جوانب:

أولاً: ككائن بيولوجي واجتماعي .

ثانياً: كمؤمنة.

ثالثاً: بكونها من شخصيات القصص القرآنية عن سير الأنبياء ومصير نسائهم .

وبغض النظر عن زوجة أبي لهب عم محمد ، وزينب إحدى زوجات محمد التي يشير إليها القرآن تلميحاً (١) ، فإن مريم أهم شخصية أنثوية في القرآن ، حيث يُطلق اسمها على السورة التاسعة عشرة ، ولا يذكر القرآن امرأة قط باسمها سوى مريم. أما النساء الأخريات التي ترد قصصهن في القرآن فلا يذكر أسماءهن، بل يضيفهن إلى أزواجهن، وهن: حواء (٢) وامرأة عمران (آل عمران ٣:٥٣) وامرأة العزيز (يوسف ٢١:٠٣) وامرأة فرعون (القصص ٨٢:٩) وامرأة لوط (التحريم ٦٦:٠١) وامرأة إبراهيم (هود ١١:١٧) وامرأة نوح (التحريم ٦٦:٠١).

ما يقوله القرآن عن المرأة ككائن بيولوجي واجتماعي

إن ما يقوله القرآن عن المرأة ككائن بيولوجي واجتماعي يمكن اعتباره موضوعيا ، وليس من شأنه أن يبخسها حقوقها ، رغم أن الشعار السائد هو: الرجال قوَّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم (النساء). ويجعل القرآن في السورة الثالثة أم مريم المكتئبة لولادتها أنثى تتكلم: رب إني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى (آل عمران) .أما فيما يتعلق بالخلق فإننا لا نجد في القرآن أي تمييز في الرُتبة بين الرجل والمرأة ، وإن كان آدم هنا هو الإنسان الأول ، كما ذكر الكتاب المقدس إنه خلق الزوجين الذكر والأنثى (النجم). ويا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليم خبير (الحجرات). يخاطب الله في أوامره ونواهيه وما فرضه من تشريعات كلا الجنسين (٣).

---

(١) في السورة ١١١ (والتي تُدعى أيضاً سورة أبي لهب) يلعن القرآن أبا لهب وامرأته. وهناك إشارة خاطفة إلى زينب نجدها في التحريم

(٢) إنها معروفة في الأدب العربي باسم حواء غير أن القرآن يسميها زوج آدم (البقرة والأعراف وطه).

(٣) التوبة والأحزاب والبروج . بما أن القرآن يفرض التكاليف العبادية على الذكر والأنثى على السواء، يزعم بعض العلماء المعاصرين مساواة الرجل والمرأة في الإسلام (شلتوت،).

إن القرآن الذي يدين وأد البنات عند العرب المشركين يحيطنا في نفس الوقت علماً بالتصور السائد حينذاك عن المرأة: وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به أيمسكه على هُون أم يدسه في التراب. ألا ساء ما يحكمون (النحل).

النفـــــــاق

جاء فى كتاب أحلى ما قيل فى المرأة فى صـــ١٠٨ تحت عنوان النفــــــــاق :
يقول عز وجل :

" ضرب الله مثلاً للذين كفروا إمرأة نوح وإمرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النـــار مـــع الـــداخلين " . (التحريم ١٠).

فى هذه الآية نجد ما يدلنا على صفة نجدها سائدة أو غائبة فى عالم المرأة تلك هى صفة النفاق ، فالأستاذ محمد فريد وجدى يفسر لفظة { فخانتاهما } بالنفاق فرغم أنهما كانتا تحت نبيين رسولين وفى صحبتهما ليلاً ونهاراً يؤاكلانهمـــا ويعاشـــرانهما أشـــد العشر والاختلاط خانتاهما .

ويقول ابن عباس فى { فخانتاهما } مازنتا ، أما خيانة إمرأة نوح فكانت تخبر أنـــه مجنون ، وأما خيانة إمرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافة ، وقال العوفى عن ابن عباس قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت إمرأة نوح تطلع علـــى سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء

وهكذا إذن كانت تظهر كل منهما أمام زوجها غير ما تبطن وتتصرف على خلاف ما تستلزمه العشرة من الوفاء خاصة وهى عشرة نبيين وليسا أحداً من عامة البشر .

إذن فقد كان النفاق صفة مشتركة بين إمرأة لوط وإمرأة نوح ، وهى صفة مشتركة بين كثير من النساء ولسنا ننفى أن النفاق صفة منتشرة بين الرجال أيضاً ، لكنها فـــى عالم المرأة تبدو أبرز منها فى عالم الرجال ، كما أنها ألصق بطبيعتها .

حسن عشرتها واجب ((الله .. الله .. فى النساء))

جاء فى ص ٢٨٦ من كتاب أحلى ما قيل فى المرأة تحت عنوان (حسن عشرتها واجب) :

كانت المرأة فى الجاهلية جماداً بارداً لا روح فيها ولا حياة ولا حس ولا حركة لها فإنها قطعة من أثاث البيت .. كانوا لا ينظرون إليها الا على أنها كذلك .. لا رأى لها ولا اعتبار على الإطلاق .. مجرد كم مهمل لا يؤبه له .

وجاء الإسلام فأعطاها حقها مستوفياً وأرسى قواعد هذا الحق فـــى عمـــق الحيـــاة الزوجية فأوصى بها مراراً وشدد على ذلك حتى أن نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام ، لم ينس وهو فى الرمق الأخير، تتردد فى صدره الشريف أخر أنفاس الحياة .. لـــم ينس وهو فى ذلك الموقف أن يوصى بالنساء رغم أنه سبق وأوصى بهـــن كثيـــراً .. وانظر معى إلى الأسلوب واللهجة والكلمات التى أوصى بها بالنساء رغم الموقـــف : ((الله .. الله .. فى النساء)) .

النســــاء و البغـــاء

يقول القرآن أن الله قد يغفر لمن يجبر جاريته علي البغاء." ... ولا تكرهوا فتياتكم علي البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا. ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم"... (سورة النور) .

تطبيق شريعة الإسلام من الأحاديث

"الأحاديث" هي سجل لأقوال وأعمال رسول الإسلام طبقا لما رواه أزواجه وأقرباؤه وأصحابه ويعتبر المسلمون الأحاديث وحي من الله ، وهي فى نظرهم أهـم مصـادر التشريع الإسلامي بعد القرآن ، وأحكامها ملزمة للمسلم كالقرآن ذاته.

أغلب إقتباساتنا هنا من "صحيح البخارى" الذى صدر في تسع مجلـدات ويشـتمل على آلاف من الأحاديث . ولكن ، نظراً لمحدودية المكان في الصفحات القادمة ، فإننا سنقتصر على مجرد إيراد القليل من الأمثلة ..

يقول صاحب كتاب مكانة المرأة في الإسلام : والذي يدرس الأحاديث المتصـلة بالنساء لا يسعه إلا طرح السؤال عن الحكمة من وراء خلق المرأة إذ:

من تسع وتسعين امرأة واحدة في الجنة وبقيتهن في النار (-كنز العمال) .

إلا أن النار خُلقت للسفهاء وهن النساء إلا التي أطاعت بعلها (كنـز العمـال) . هلكت الرجال حين أطاعت النساء . وما تزال الرجال بخير ما لم يطيعـوا النسـاء (نفس المصدر).

وما نجده في مجموعات الأحاديث عن المرأة ليس إيجابياً بحقها: هناك آثار مروية عن محمد يصف فيها النساء كمن ينقصهنَّ العقل والفهم :

عن أبي سعيد الجندي قال: خرج رسول الله ص في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمرَّ على النساء فقال (يا معشر النساء تصدَّقن فإني أُريتكن أكثر أهل النار) فقلن: فيم يا رسول الله: قال (تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير . ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبّ الرجل الحازم من إحداكن) فقلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟) فقلن بلى. قال (فذلك من نقصـان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصُم؟) قلن: بلى. قال: (فـذلك مـن نقصـان دينها) (البخاري، حيض ، مسلم، إيمان ، أبو داود، ، الترمذي، إيمان ، سنن ابـن ماجة ، كتاب الفتن ، أحمد بن حنبل) .

في المصادر الكلامية يذكر كدليل على نقصان عقل المرأة أنه لا يوجد بينهن مـن اشتهرت بالعلم والمعرفة وأما نقصان العقل فمعلوم أن النساء أندر عقولاً من الرجال ؟ أن النجابة واللُّبابة إنما يوجدان فيهن في النادر الشاذ ، وعقلاء النساء وذوات الحـزم

والفطنة منهن معدودات. ومن بهذه الصفة من الرجال لا تحصى كثرة (رسائل الشريف المرتضى) .

ويقول صاحب كتاب مكانة المرأة في الإسلام (كان بإمكان الفقيه والعلامة الذي أتى بهذه الحجة الباهرة على نقصان العقل لدى المرأة أن يجد السبب الأساسي في الأخبار المروية عن رسول الإسلام : لا تعلموهن الكتابة (يعني النساء) وعلموهن الغزل (كنز العمال)أو: لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتاب، واستعينوا عليهن بالعريب وأكثروا لهن من قول لا فإن نعم تغريهن على المسألة (عيون الأخبار).

إيـــاكم والنســـاء

ويخبرنا محمد بسبب آخر يدفع الرجل إلى أن يخاف ويحترز من المرأة : إياكم والنساء، فإن أول فتنة بين بني إسرائيل كانت بسببهن (نهاية الأرب) .

وما أخاف على أمتي فتنة أخوف عليها من النساء والخمر (كنز العمال) .

لولا المرأة لدخل الرجل الجنة (كنز العمال).

لا يسمح للمرأة أن تتكلم إلا بأذن زوجها

وليس للمرأة أن تتصرف وكأن لها بجانب الرجال ما يوحي بنفوذ أو قدرة، فإن محمداً نهى النساء أن يتكلمن إلا بإذن أزواجهن (كنز العمال) .

وليس للنساء نصيب في الخروج إلا مضطرة، إلا في العيدين: الأضحى والفطر. وليس لهن نصيب في الطرق إلا الحواشي (كنز العمال) .

و ليس للنساء وسط الطريق. وليس للنساء سلام ولا عليهن سلام .

المرأة في الإسلام نجسة. أكثر من نجاسة الخنزير

(روى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :- اياك والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ماخلا رجل بامرأة الا دخل الشيطان بينهما ، ولا يزحم رجل خنزيرا متلطخا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له .. حديث الخنزير لم يروه إلا المنذري والطبراني .

الغَائِطُ (التبرُّز)- يتساوى مع لمس المرأة

ومن دلائل نجاسة المرأة المسلمة ، قوله في سورة النساء : وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ (التبرز) أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا .. لقد ساوت الآية ما بين الغَائِطَ - (كناية عن التبرُّز)- وبين لمس المرأة . كلاهما يوجبان على الرجل الغسل من النجاسة.

المرأة المؤمنة في النساء كالغراب الأعصم

المرأة المؤمنة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان . فإن النار خُلقت للسفهاء ، وإن النساء أسفه السفهاء (أحمد بن حنبل، كنز العمال) وإذا أرادت المرأة أن تبرئ نفسها من هذه التهمة عليها أن تخدم زوجها .

النساء خلق نجس ويذكرن مع الحيوانات

وصف محمد المرأة (في روايات مختلفة عنه) بأنها خلق نجس.

وفي حديث عند مسلم أنه ثلاث يفسدن الصلاة: المرأة والكلب والحمار (١) قال رسول الله: يقطع صلاة الرجل إذا لم يكن بين يديه قيد آخرة الرجل ،الحمار والكلب الأسود والمرأة. فقلتُ: ما بال الأسود من الأحمر والأصفر والأبيض ؟ فقال : يا أخي سألت رسول الله كما سألتني فقال: الكلب الأسود شيطان (٢) .

في رواية لابن عباس يُذكَر المجوسي واليهودي والخنزير بجانب المرأة من مفسدات الصلاة ، وصلاة المسلم تفسد إذا مروا بين يديه على قذفة حجر (٣) .

ولدينا عدة أحاديث حيث يذكر محمد النساء مع الحيوانات في نفس السياق .

إن المرأة دابة سوء (٤) .

ولا أحسب النساء خُلقن إلا للشر (٥) .

الشؤم في ثلاث: الفرس والمرأة والبيت (٦) .

للمرأة ستران: القبر والزوج. قيل: فأيهما أفضل؟ قال: القبر (٧) .

---

(١) مسلم، صلاة ، أبو داود، صلاة ،الترمذي، صلاة ، صيد ، النسائي ، قبلة وابن ماجة، إقامة ، أحمد بن حنبل.

(٢) أبو داود، صلاة ، الأحاديث القائلة بأن الكلب الأسود شيطان وردت في مسلم، صلاة (٢٦٥) ، أبو داود، صلاة (١٠٩) ، الترمذي، صلاة (١٣٦) ، صيد ١٦ ، النسائي ، قبلة ٧ ، ابن ماجة اقامة ،٣٨ أحمد بن حنبل (٥ : ١٤٩) .
، ١٥١ ، ٢٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٦ : ١٥٧ ، ٢٨٠ .

(٣) أبو داود، صلاة ٩٠١.

(٤) مسلم، صلاة ٢٦٩.

(٥) أحمد بن حنبل (٦ : ٨٦).

(٦) البخاري ، جهاد ، نكاح ، طب ، مسلم ، سلام ، أبو داود ، طب ، الترمذي ، أدب ، النسائي، خيل ٥ ، ابن ماجه، نكاح ٥٥ ، الموطأ، استئذان ٢٢ ، أحمد بن حنبل .

(٧) -كنز العمال ، ٢١:٢٢.

الرجال قوامون على النساء

إن أهم آية قرآنية يوردها الفقهاء برهاناً على أن المرأة دون الرجل هي : الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وما أنفقوا من أموالهم (النساء) .

يقول الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه (الرجال قوامون على النساء) الرجال أهل قيام على نسائهم في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم (الطبري، جامع البيان) .

ويذكر عدة روايات نورد بعضها: عن ابن عباس قال هم (أي الرجال) أمراء ، عليها أن تطيعه فيما يأمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة إلى أهله. وعن الضحاك قال: الرجل قائم على المرأة يأمرها بطاعة الله ، فإن أبت فله أن يضربها ضرباً غير مبرح ، وله عليها الفضل بنفقته وسعيه.

وقال السدي: يأخذون على أيديهن ويؤدبونهن (الطبري، جامع البيان).

أما سبب نزول هذه الآية فيُذكر أن رجلاً لطم امرأة فأتت النبي تلتمس القصاص ، فجعل النبي بينهما القصاص فنزلت ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه (طه). ونزلت (الرجال قوامون على النساء) .

يذكر ابن عباس في رواية عما يعنيه القرآن بـ ربما فضل الله بعضهم على بعض فيقول إن الله فضل الرجال على النساء بالعقل والقسمة في الغنائم والميراث (الخازن، لبابُ التأويل).

يقول نصر الدين الطوسي إن قوامة الرجل على المرأة تظهر في عقله وفهمه وتأديبه إياها (التبيان ٣).

الشيخ محمد عبده ومظاهر جديدة لتفوُّق الرجل على المرأة

والشيخ محمد عبده الشهير بموقفه المعادي للتقليد الأعمى والملقَّب بـ المصلح يكتشف في هذه الآية مظاهر جديدة لتفوُّق الرجل على المرأة: وما به الفضل قسمان فطري وكسبي..

الفطري : هو أن مزاج الرجل أقوى وأكمل وأتم وأجمل ، وإنكم لتجدون من الغرابة أن أقول إن الرجل أجمل من المرأة ، وإنما الجمال تابع لتمام الخلقة وكمالها ، وما الإنسان في جسمه الحي إلا نوع من أنواع الحيوانات ، فنظام الخلقة فيها واحد . وإننا نرى ذكور جميع الحيوانات أكمل وأجمل من إناثها كما ترون في الديك والدجاجة والكبش والنعجة والأسد واللبؤة.

ومن كمال خلقة الرجال وجمالها شعر اللحية والشاربين، ولذلك يُعد الأجرد ناقص الخلقة ويتمنى لو يجد دواء ينبت الشعر وإن كان ممن اعتادوا حلق اللحية. ويتبع قوة

المزاج وكمال الخلقة وقوة العقل وصحة النظر في مبادئ الأمور وغاياتها، ومن أمثال الأطباء والعلماء: العقل السليم في الجسم السليم

الكسبي : يتبع ذلك الكمال في الأعمال الكسبية ، فالرجال أقدر على الكسب والاختراع والتصرف في الأمور. فلأجل هذا كانوا هم المكلفين أن يقفوا على النساء وأن يحموهن ، ويقوموا بأمر الرئاسة العامة في مجتمع العشيرة التي يضعها المنزل، إذ لا بد في كل مجتمع من رئيس يرجع إليه في توحيد المصلحة العامة (الزركلي ، الأعلام).

كمال الرجل ونقصان المرأة

يقول أحد الكتاب : أن الخطاب القرآني الموجه للمرأة واضح وصريح . " الرجال قوامون على النساء " (النساء ٣٤) هذه القوامة ، او هذا التفضيل الإسلامي للرجل يرجع سببه لكمال الرجل ولنقصان المرأة . فالمرأة من وجهة نظر إسلامية مخلوقاً ناقص . والرجل كائناً كاملاً بعكس المرأة .. ومن أجل هذا النقصان الأنثوي ، جعل الإسلام شهادة المرأة أمام القانون تعادل نصف شهادة الرجل . ومن أجل هذا لا تقبل شهادة امرأة لوحدها . في أي قضية ، لأن شهادتها ناقصة بناء على نقصانها . من هنا : " فاستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتين " (البقرة آية ٢٨٢) .

تخيلوا معي أن شهادة أستاذة في الجامعة لا تساوي ولا تعادل شهادة رجل أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة !!!!!

وترجع أيضاً قوامة أي (تفضيل) الرجل على المرأة في الإسلام إلى نقصان عقلها وكمال عقل الرجل . وهذا ما دل عليه الحديث الصحيح : النساء ناقصات عقل ودين.

ونقصان عقل المرأة يرجع سببه عند الغزالي ، إلى الدورة الشهرية التي تؤثر في الأعصاب والأفكار ولذا فإن النساء ناقصات عقل ، ويؤكد على نقصان عقل المرأة ، بما يعنى فقدانها السيطرة على الأعصاب والأفكار في زمن الدورة الشهرية . فالحديث كما رواه البخاري: (صحيح البخاري ج: ١ ص: ١١٦): ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال فذلك نقصان من عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك من نقصان دينها".

أقول : كرّره البخاري في كتابه سبعة عشرة مرة! وعلى كل حال انّ عائشة تبغض علياً بحيث تتنقر من إسمه فلا تذكره، ولا لوم عليها فإنّ عاطفة النساء أكثر من عقلها، وقد ورد عنه : يا معشر النساء... تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن» صحيح البخاري ــــ كتاب الزكاة.

صوت المرأة في الإنتخابات وفي الشهادة

سأل أحد الكتاب سؤال فقال : أريد أن أعرف لماذا كان تصويت المرأة في الانتخابات مساوياً لصوت الرجل ، وفي الشهادة على النصف ؟؟ كيف تتم المساواه بين الرجل والمرأة في الصوت الانتخابي ، وتفارق بين الرجل والمرأة في الشهادة ؟!

عضلات ومخ وعظام

يقول أحمد شلبي في ما تفوَّق به الرجل على المرأة: إنه أطول منها، وعظامه أضخم من عظامها، وهو أثقل وزناً منها، وعضلاته أقوى، ومخه أكبر من مخها وكذلك قلبهذ (شلبي ص ٢٤).

عباس محمود العقاد : المرأة تشتغل بإعداد الطعام منذ طبخ الناس طعاماً قبل فجر التاريخ

ويحرز عباس محمود العقاد وهو من أشهر الأدباء العرب في القرن العشرين ، في هجماته على المرأة ، عداءً قياسياً فيقول:

المرأة تشتغل بإعداد الطعام منذ طبخ الناس طعاماً قبل فجر التاريخ ، وتتعلمه منذ طفولتها في مساكن الأسرة والقبيلة ، وتحب الطعام وتشتهيه. ولكنها بعد توارث هذه الصناعة آلاف السنين لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذي يتفرغ لها بضع سنوات ، ولا تجاريه في إجادة الأصناف المعروفة ولا في ابتداع الأصناف والافتنان في تنويعها وتحسينها ، ولا تقدر على إدارة مطبخ يتعدد العاملون فيه من بنات جنسها أو من الرجال . كذلك الأمر بالنسبة لصناعة التطريز وعمل الملابس ، إنها من صناعات النساء القديمة في البيوت ، ولكنها تعول على الرجال في أزيائها ولا تعول فيها على نفسها .

إن المرأة في زعم العقاد ليس لها نصيب من العلم أو التفكير العلمي ، حتى النساء الشهيرات في ميدان العلم لم يكن بوسعهن إحراز أي نجاح في العلوم لو لم يكن هناك إرشاد وتأييد رجالهن : إن اسم السيدة ماري كوري ، أول الأسماء التي يذكرها القائلون بالمساواة التامة بين الجنسين ، ولو صح أن هذه السيدة تضارع علماء الطبقة الأولى من الرجال ، لما كان في هذا الاستثناء النادر ما ينفي أنه استثناء نادر . إلا أن الواقع في حالة هذه السيدة خاصة بعيدة من أن تُحسب بين حالات الاستثناء في مباحث العلم ، لأنها لم تعمل مستقلة بعيدة عن زوجها، ولم يكن عملها من قبيل الاختراع والابتداع (محمد رشيد رضا، تفسير المنار، لمزيد من الحجج انظر رد رضا على دعاة حقوق المرأة: النداء للجنس اللطيف،).

الرياء والكيد صفتان أصليتان للمرأة

يستكمل العقاد حديثه فيقول في كتابه المرأة في القرآن : (أما الرياء والكيد فهما صفتان أصليتان للمرأة: إن الرياء الأنثوي الذي يصح أن يُقال فيه إنه رياء المرأة خاصة ، إنما يرجع إلى طبيعة في الأنوثة تلزمها في كل مجتمع ولا تفرضها عليها الآداب والشرائع ، ولا تفارقها باختيارها أو بغير اختيارها ، بل لعلها هي تأبى أن تفارقها لو وُكل إليها الاختيار فيه .. فارق أساسي بين الرجل والمرأة يوجد في العلاقة الجنسية. إن الرغبة الجنسية عندها تنفصل عن الغريزة النوعية في معظم أيامها، فليست الرغبة الجنسية بحكم الطبيعة عبثاً في وقت من الأوقات عند الرجل وقت التفكير .. فعقلها مشغول بنكتة بارعة تعدها أو قصة طريفة تحوكها .. إلخ ..

الكيد

جاء فى كتاب أحلى ما قيل فى المرأة فى ص ٩٢ ، ٩٣ تحت عنوان (الكيد):

قال تعالى : { فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم } ومما يعين على أن الكيد لون من ألوان طبيعة المرأة ، أن الله أورد الحكم به عليهن على لسان من شهد به لهن فى صورة قانون عام ، يصدق على النساء ، ولم يورده خاصاً بإمرأة العزيز التى هى صاحبة الوقعة ، الأمر الذى يدل على أن الكيد عام فيهن .

ومما يؤيد كون الكيد طبيعة فى المرأة ، ما أورده الله مرة أخرى على لسان يوسف وهو يضرع إلى ربه ويناشده إلى إنقاذه من إغراء النسوة إذ قال : { رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين } [يوسف ٣٣] .

وأكبر الظن أن يوسف يناشد ربه أن يصرف عنه كيد جميع النسوة لا كيد طائفة خاصة منهن وليكن كيد النسوة اللائى جمعتهن إمرأة العزيز للقاء يوسف أوضح عنوان على كيد الجنس كله ، يضاف إلى ذلك أن الله سبحانه وسمهن بالكيد مرة ثالثة فى قوله { فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم } . [يوسف ٣٤] .

فكان ذلك إيذاناً من الله بأن الكيد من سجايا المرأة اللازمة ، وطباعها الأصيلة ذلك بأن قوله تعالى { فصرف عنه كيدهن } . [يوسف ٥٠] .

ان إقرار يوسف على نسبه الكيد إلى النسوة يعد دليلاً على أن يوسف لم يكن مدعياً ولا متجنياً حين نسب الكيد إليهن وفر إلى الله منهن . والله أعلم وقد جرى وصف النساء بالكيد على لسان يوسف فيما حكاه الله عنه من قوله { إن ربى بكيدهن عليم} .

وكأنى بيوسف وهو من هو كياسة وسياسة قد أعياه كيد النساء ففوض إلى الله وحده العلم به ، كما يشعر هذا القول الذى ساقه الله على لسانه بأن الإستعانة على النحو الذى رسمه الله أمنوا كيدهن .

.... ومما يلفت النظر أنه لم يرد وصف كيد الرجال بالعظيم مع أن لهم منه ولا ريب حظاً يقل أو يكثر . وأحسب مرد ذلك إلى ما بين طبيعة الرجل والمرأة من فروق إذ يعهد فى المرأة لون خاص من ألوان الكيد يكاد يقصر عليها ولا ينسب إلى غيرها ذلك بأن لها من طبائعها ما يساعدها عليه كالغيرة وحدة العاطفة والضعف النوعى الذى يجعلها تعمد إلى الكيد والإلتواء حذراً حيث لا تقوى على المواجهة ولا تطيق المنازلة ، ولم تعهد منها مقارعة الحجة بالحجة فتستعيض بالكيد عن كل ذلك وربما دفعها الكيد لإجادة الرياء والتفنن فيه (١) أ . هـ .

مقارنة بين كيد النساء وكيد الشيطان

ويقول د . عبد المنعم سيد حسن فى مقارنة بين كيد النساء وكيد الشيطان :

وصف القرآن كيد النساء بالعظيم فى قوله { إن كيدهن عظيم } فى حين وصف كيد الشيطان بالضعف فى قوله تعالى { إن كيد الشيطان كان ضعيفا } فأقول ... لا تعنى المقارنة بين كيد الشيطان وكيد النساء أن حظ النساء من الشر أوفر من حظ الشيطان ، بل إن الأمر فى هذه المقارنة يدور فيما أحسب على أن من شأن المؤمنين أن يحذروا الشيطان وكيده فخطر كيده على نفوسهم مأمون المغبة حيث يستعيذون منه بالقول والعمل ، وهذا هو منشأ ضعف كيده ويعين على هذا أن قوله تعالى : { إن كيد الشيطان كان ضعيفا } متفرع على قوله قبل هذه الفقرة من الآية { فقاتلوا أولياء الشيطان } .

والمعنى فيما أعتقد أن الله سبحانه وتعالى يعد المؤمنين بالتغلب على كيد الشيطان ويبشرهم بعدم صموده فى مواجهة إيمانهم ، أما كيد النساء فقد اكتسب العظم وقوة الخطر من جراء ما ألف من حيلهن التى قد لا يؤخذ منها الحذر ، حيث لا تحمل ظواهرهن على أخذ الحذر من بواطنهن وحيث تطبع أعمالهن فى الأغلب بما ينسى الحيطة ، ويلهى عن الأناة .

---

(١) كتاب طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة د . عبد المنعم سيد حسن .

الله يستجيب لرغبة عمر ويأمر النساء بالتحجب

" كان عمر يقول للنبي ... إحجب نساءك ، فلم يكن يفعل ، فخرجت ســودة بنــت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء. وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمــر : ألا قــد عرفناك يا سودة حرصا (رغبة) علي أن ينــزل الحجــاب. فــأنزل الله الحجــاب". (البخــــاري).

النساء ناقصات عقــلاً وديـنــاً

قال محمد لبعض النساء " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلنا بلي ، قال: فذلك من نقصان عقلها ". (البخاري)

قال محمد لبعض النساء "ما رأيت من ناقصات عقل ودين... من إحداكن يا معشر النساء" (البخاري)

معظم أهل الجحيم من النساء

قال محمد "أرأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن". (البخاري).

المــــــرأة شـــــؤم

قال محمد "الشؤم في المرأة، والدار، والفرس" (البخاري).

المرأة ضـــارة بالرجل

قال محمد "ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء".(البخاري).

لبس الباروكة حـــرام

"إمرأة من الأنصار زوجت إبنتها فتمعط (سقط) شعر رأسها، فجاءت إلــى النبــي فذكرت ذلك له ، فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها، فقال: لا، إنه قد لعن المواصلات (تطويل الشعر)". (البخاري) .

صورة المرأة في الأدب العربي

أثرت تصورات الإسلام والفقهاء القدامى عن المرأة في الأدب العربي ، وشاركت في تكوين صورة خيالية للمرأة في أدب المسامرة. وخاصة ما يعود إلى العهد العباسي وما بعده و لم يفقد من شعبيته شيئا.

المرأة شر كلها

يُنسَب إلى علي بن أبي طالب قوله: المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لا بد منها (نهج البلاغة ، شرح محمد عبده).

مشورة النساء من علامات الساعة

وأما مشورة النساء فهي من علامات الساعة (نهج البلاغــه) و ورد فــي تحفــة الوزراء: لا ينبغي أن تستشار النساء ولا الصبيان لنقص عقولهم وضعف اثرائهم ، وقلّ من حكّم النساء إلا وانقاد إلى الخطأ (تحفة الوزراء).

. لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانــة، ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في أن تشفع بغيرها. وإياك والتغاير فــي غيــر موضع غيرة (نهج البلاغه) و ينسب هذا القول إلى ابن المقفع أيضاً (عيون الأخبار)

الجاحظ والنساء والحمقي

ويذهب الجاحظ (المتوفي ٨٦٨) إلى ما ذهب إليه رسول الإســلام فيمــا يتعلــق بنقصان عقل النساء فيقول: وقد رأينا النساء، والنساء أضعف من الرجــال عقــولاً ، والصبيان أضعف عقولاً منهم ، وهم أبخل من النساء ، والنساء أضعف عقــولاً مــن الرجال . ولا نعلم في الأرض شراً من صبي : هو أكذب الناس وأنمّ النــاس وأشــرّ الناس وأبخل الناس وأقل الناس خيراً وأقسى الناس قسوة (رسائل الجاحظ).

وفي البيان والتبيين للجاحظ تذكر النساء، في نفس الباب مع النوكى (الحمقــى) وأصحاب العي والحمق والصبيان (البيان والتبيين القاهرة ١٩٨٥) .

النســـاء والحيـــات

يقارن الشاعر الأموي الفرزدق النساء بالحيات:

يأنسن عند بعولهن إذا خلوا وإذا هُمُ خرجوا فهن خفارُ (عيون الأخبار، ٤:٤)

خبير في أمور النساء

ينقل ابن عبد ربه من عبدة الخبير في أمور النساء الأبيات التالية:

فإن تســـألوني بالنســـاء فإنني عليم بأدواء النســـاء طبـيـب

إذا شاب رأسُ المرء أو قلَّ ماله فليس له في ودّهن نصـــيب

يردن ثراء المال حيث علمته وشرخ الشباب عندهن حجيب (العقد الفريـد نشــر محمد سعيد العريان، القاهرة بدون تاريخ)

ولا يكتفي ابن عبد ربه بنقل ما ورد في أشعار العرب وأخبارهم ، بل يورد أيضاً من حِكم الأنبياء: في حكمة داود عليه السلام. وجدت من الرجال واحداً في ألف ولــم أجد واحدة في النساء جميعاً (العقد الفريد تحت عنوان النساء غدرهن ومكرهن).

النساء والإماء متاعاً لا يمكن للرجال التخلي عنه

بالرغم من غدرها ومكرها وما إليه من الصفات المذمومة تبقى المــرأة: النســاء والإماء منهن على وجه الخصوص متاعاً لا يمكن للرجال التخلي عنه. وصف الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الأمَة المفضلة بقوله: من أراد أن يتخذ جاريـــة للخدمــة فليتخذها رومية (العقد الفريد) .

الرجل والمرأة في نهاية الأيام

ونختبر من حِكَم الأدباء أن المرأة تزداد شرا في شيخوختها: وقالوا: آخــر عمــر الرجل خير من أوله، يثوب حلمه، وتثقل حصاته، وتخمد شرارته، وتكمــل تجارتــه. وآخر عمر المرأة شر من أوله، يذهب جمالها، ويندب لسانها، ويعقم رحمها، ويســوء خلقها (العقد الفريد تحت عنوان شرور النساء).

جمـــال المـــرأة

قالوا عن جمال المرأة ا: إن الجارية الحسناء تتلوَّن بلون الشمس، فهي بالضـــحى بيضاء وبالعشي صفراء (العقد الفريد) .غير أن الجمال وحده لا يكفي، بل يجب أن

تكون حليمة مبتسمة، عزيزة في قومها ذليلة عند زوجها وولوداً. وأما من أراد إنجاب صبي قوي البنية فعليه أن يُغضبها فثمَّ يقع عليها (نفس المصدر).

حــب السـخرية

يقول صاحب كتاب أجمل ما قيل في المرأة في صفحة ٦٦ " السخرية طبع في النساء فمتي اجتمع منهن عدد وجدتهن يسخرن ويتهكمن علي كثير من خلق الله . وعديد من الأشياء ثم يطلقن الضحكات المدوية أما سخرية المرأة من المرأة فهي أشد وأمر ، بحكم الغيرة ، التي تأكل قلوبهن من بعضهن البعض وبحكم ما استحكم بينهن من تنافس ، وتناحر ، وصراع يقول رب العزة في كتابه الكريم من سورة الحجرات، الآية : ١١ (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسي أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) بالبحث في مختار الصحاح عن معني " قوم " وجدنا ق و م .. القوم الرجال دون النساء . وقال الله تعالي (لا يسخر قوم من قوم) ثم قال : (ولا نساء من نساء) ولا يلبث صاحب مختار الصحاح أن يقول (وربما دخل النساء فيه (أي في لفظ قوم) علي سبيل التبع، لأن قوم كل نبي رجال ونساء) . أ.هـ

وبناء عليه ، وعلي أنه سبحانه وتعالي قد بدأ الخطاب في الآية (يا أيها الذين آمنوا ..) وهو نداء يشمل الرجال والنساء ، وأيضاً بناء علي أن النهي عن السخرية أمر ينهي عنه الرجال ، وتنهي عنه أيضا النساء ، فإننا نري أن لفظ قوم هنا وفي ذلك الموضع بالذات ! إنما يعني ويشمل الرجال والنساء إذن فالنهي هنا عن السخرية موجه إلى كليهما بمجرد قوله تعالي (لا يسخر قوم من قوم) الآية ولكننا نلحظ أن القرآن الكريم لم يكتف بذلك فرجع وخصص النساء فخاطبهن مرة أخري علي حدة قائلا (ولا نساء من نساء عسي أن يكن خيرا منهن) وبذلك يكون القرآن الكريم قد ركز علي المرأة بشأن النهي عن السخرية فلقد خاطبها في ذلك مرتين المرة الأولي حين خاطبها بصفتها من القوم في قوله : (لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيرا منهم) ـ المرة الثانية حينما خاطبها علي حدة واختصها بالنهي موجها إليها الخطاب مباشرة غير مكتف بالمرة الأولي وذلك في قوله ولا نساء من نساء عسي أن يكن خيرا منهن) وفي تركيز القرآن الكريم علي المرأة بالنسبة لهذه الناحية (السخرية) ما يدلنا علي أن السخرية طبيعية في المرأة تجنح إليها غالبا ، وهي من القوة بحيث استلزم الأمر توجيه النهي إليها مرتين مرة بصيغة العموم ضمن لفظ "قوم" ومرة بصيغة الخصوص حينما صرح بقوله : (ولا نساء من نساء ..) فالله سبحانه

وتعالي لم يكتف بنهي النساء الذي جاء ضمنا في نهي القوم ولكنه نهي النساء بذكرهن وحدهن بعد أن ذكرهن ضمنا ، وهذا يدلنا علي أن النساء أميل إلى السخرية من بعضهن البعض الآخر ، وهي صفة عامة وغالبة فيهن وعلامة من علاماتهن

المرأة شر لابد منه

العقاد الذي يراه الكثيرون في الشرق والغرب مفكراً عبقرياً ، يعتقد أن المرأة شر لابد منه ، وهي لا تملك موهبة ولا فضيلة أبداً: وليس في أخلاق المرأة المحمودة خلق أخص بها وألصق بأنوثتها من هذه الخلائق الثلاث وهي : الحياء والحنان والنظافة ، ومعوّلها فيها على وحي الطبع أو على وحي الرجل ، وأحرى أن يكون ذلك ديدنها في جملة الصفات التي تولاها الرجال منذ القدم .. فليس الحنان الطبيعي بصالح التقدير خلق الرحمة في المرأة حين يتصل بإملاء الوجدان الأدبي وسلطان الضمير، وإنما يصلح لتقدير هذا الخلق فيها أن تقارن بين عطف الرجال وعطف النساء على الأطفال من أبناء الآخرين، فربما شوهد الرجل وهو يعطف على أبناء زوجته من غيره كما يعطف على أبنائه ، ويسوّي بينهم في البر والمعاملة ولو من قبيل التجمل ورعاية الشعور. وتملك المرأة غير هذا السلوك في معاملة أبناء الزوج من غيرها، فلا ينجو الأبناء أحياناً من التعذيب والتشفي وتعمد الإذلال والإيذاء (العقاد، ص٢٤) .

ومساك الأخلاق الأول عند المرأة هو الاحتجاز الجنسي، وهو من الغريزة التي يتساوى فيها إناث الحيوان، وليس من الإرادة التي يتميز بها نوع الإنسان بجنسه ، والبون بعيد جداً بين هذا الاحتجاز الجنسي وبين فضيلة الحياء التي تُعد من فضائل الأخلاق الإنسانية . (العقاد ص ٣٨) .

صلاة المرأة

جاء فى كتاب أحلى ما قيل فى المرأة فى ص ٢٢٧ تحت عنوان (صلاة المرأة)..

صلاتها تكون على هيئة خاصة :

[شروط صلاة المرأة كشروط صلاة الرجل إلا ستر العورة ، فإن عورتها فى الصلاة جميع بدنها ما عدا وجهها وكفيها ، وإذا بدا شئ من عورتها المستورة فى الصلاة ، واستمرت مقدار أداء ركن فى الصلاة ، ويقدر بثلاث تسبيحات ، بطلت صلاتها .

تكتفى المرأة برفع يديها حذاء منكبيها عند دخولها فى الصلاة وتضع يديها على صدرها فى قيامها فى الصلاة ، لأن ذلك أستر لها .

وإذا سجدت قربت يديها إلى جسمها ولا تجافى ضَبْعَيها عن جسميها ، كما يفعل الرجل – لأنه أستر لها ، وإذا جلست للتشهد جلست على إليتها اليسرى لأن ذلك أستر لها كذلك .

وإذا صلت وراء الإمام وأخطأ فى شئ من أعمال الصلاة فإنها تلاحظ عليه بأن تصفق بباطن يدها اليمنى على ظاهر يدها اليسرى ، أما الرجل فيلاحظ بالتسبيح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (التسبيح للرجال والتصفيق للنساء)[رواه البخارى]

وهى لا تؤذن للصلاة ولا تقيم ، ولا تصلى إماماً بالناس .

ولا تكَـلَّف بصلاة الجماعة ، ولا الجمعة والعيدين ، وإذا حضرت إحدى تلك الصلوات وقفت وراء الصبيان الذين يقفون وراء الرجال .

ويسن لها بعد الصلاة أن تبادر بالخروج من المسجد قبل أن يخرج الرجال ، دون أن ترفع صوتها بذكر أو تسبيح .

وإذا حاضت تركت الصلاة أيام حيضها ، وغذا طهُرت من حيضها عادت إلى الصلاة ، ولم تقض ما فاتها من صلوات أيام حيضها ، ومثل الحيض النفاس بدليل الإجماع] (١) أ . هـ .

هكذا نتبين الفروق الدقيقة بين الرجل وبين المرأة فيما يتعلق بالصلاة التى هى عماد الدين ..

صيام المرأة

المرأة فى الصيام كالرجل سواء بسواء إلا أن لها حالات أكثر منه لترك الصيام .

إذا حاضت المرأة فى رمضان تركت الصيام أيام حيضها ، وكذا أيام النفاس .

ثم إنها لا تقضى الصلوات التى فاتتها أيام الحيض والنفاس لما فى ذلك من مشقة عليها ، وتقضى الصيام لأن رمضان ضيف العام فلا تجد حرجاً فى قضاء ما فاتها من الصيام فى رمضان .

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها :

(كنا نؤمر فنقضى الصوم ولا نقضى الصلاة) [رواه البخارى] .

وتؤخر الصيام إذا كانت حاملاً أو مرضعا ويتضرر الجنين أو الطفل من صيامها .

---

(١) كتاب القرآن والمرأة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت و كتاب المرأة المسلمة وهبى سليمان غاوجى .

حـــج المـــرأة .. !

جاء فى فى ص ٢٢٩ من كتاب أحلى ما قيل فى المــرأة تحــت عنــوان (حـــج المرأة..) : المرأة فى عبادة الحج مثل الرجل إلا أنها لا تخرج إليه إلا ومعها زوج أو محرم إذا كانت المسافة بينهاوبين مكة المكرمة تعدل مسافة السفر (وتقدر بـــ ٨٢ كم) ، وتجعل إحرامها فى وجهها ، وكفيها فلا تنتقب ولا تلبس القفازين أثناء إحرامها وإذا خشيت الفتنة سترت وجهها حين قربان الرجال الأجانب منها ، وتبقى على ثيابها المعتادة فيما سوى ذلك ، ولا ترفع صوتها بالتلبية ولا ترمل فى الطواف ولا تهــرول بين الميلين الأخضرين فى السعى بين الصفا والمــروة ، ولا تــزاحم الرجــال فـــى الطواف، وأما فى تقبيل الحجر الأسود أو استلامه فلا ثم لا .

النســـاء في النـــار والجنـــة

جاء في كتاب مكانة المرأة في الإسلام لحمدون داغر تحت عنوان النساء في النار والجنة : (يُكثر المسلمون ذكر الحديث: الجنة تحت أقدام الأمهات ليدللوا على المكانة العليا التي تتمتع بها المرأة في الإسلام . وبغض النظر عن صحة هذه الرواية (التي لم ترد في المصنفات المعتبرة) وليس من السهل تقييمها إيجابياً، فإن لدينا عدة أحاديث وردت في الصحاح تفيد بأن النساء أقل ساكني الجنة:

عن عران بن حصين عن النبي ص قال: اطلعت في الجنة فرأيــت أكثــر خلقهــا الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء (١).

وعن أبي هريرة قال: كنا عنده فأما تفاخروا وأما تذاكروا فقال: الرجال في الجنــة أكثر من النساء (٢) .

يخبرنا حديث ضـــعيف بأن من تسع وتسعين امرأة واحدة في الجنة وبقيتهن فـــي النـــار (٣).

يفسر محمد سبب ذلك: فإني رأيتكن أكثر أهل النار لكثرة اللعن وكفر العشير(٤).

---

(١) البخاري، بدء الخلق ٨ ، كسوف ٩ ، رقاق ١٥ ، ١٦ ، مسلم، كسوف ١٧، ذكر ٩٤ ، الترمذي، جهنم ١١ ، النسائي، كسوف ١٧ ، الموطأ، كسوف١٢. وأما متى اطلع محمد في الجنة والنار وكيف، ففيه خلاف بين العلماء. فزعم الحافظ أن هذا حدث أثناء معراج النبي: ررأى ذلك ليلة الإسراء أو حين خفت الشمس (تحفة الأحوذي، ، المدينة)، القسطلاني.

(٢) أحمد بن حنبل.

(٣) كنز العمال.

(٤) أحمد بن حنبل.

عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله: أنه قال: يا معشر النساء تصدَّقن وأكثِرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار.

فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟

قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير. وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لـذي لب منكن (١).

عن عمارة بن حزيمة قال: بينا نحن مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة فقال بينما نحن مع رسول الله في هذا الشُّعب إذ قال: انظروا هل ترون شيئاً ؟ فقلنا: نرى غرباناً ، ففيها غراب أعصم ، أحمر المنقار والرجلين . فقال رسول الله : لا يدخل الجنة من النساء إلا من كان منهن مثل هذا الغراب في الغربان (٢).

المرأة .. متاع وفتنة وشهوات

جاء في صفحة ١٢ من كتاب أحلي ما قيل في المرأة تأليف عبد الحميد عيسي غازي تحت عنوان المتاع والفتنة : " في صحبة المرأة نجد ملمحاً آخر وهو المتاع والفتنة ، فمن سورة آل عمران نقرأ الآية رقم ٤١ " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب".

يقول الأستاذ محمد فريد وجدي في تفسير هذه الآية زين الشيطان للناس الميل للشهوات من النساء والأولاد ، والذهب، والفضة، والخيل المعلمة، والماشية، والزرع، وكل ذلك تمتع في الحياة الفانية، والله عنده حسن المآب أي المرجع

يستطرد صاحب كتاب أجمل ما قيل في المرأة فيقول في ص ١٢ : " النساء في هذه الآية في مقدمة الشهوات. وهذا يعني أن الشيطان قد زين للناس حب الشهوات من النساء في المقام الأول قبل البنين، وقبل الذهب، وقبل الفضة ، وقبل الخيل، وقبل الأنعام، وقبل الحرث، وفي ذلك ما يدلنا علي مقدار ما في صحبة النساء من متاع، وبالتالي ما تحدثه هذه الصحبة من فتنة

---

(١) البخاري، حيض ٦ ، زكاة ٤٤ ، مسلم، إيمان ، عيدين ٤ ، ١٩ ، ابن ماجة، فتن ١٩ ، الدارمي، وضوء ١٠٤ ، صلاة ٢٢٤ أحمد بن حنبل.

(٢) أحمد بن حنبل.

النساء في مقدمة الشهوات

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية يخبر الله تعالي عما زين للناس في هذه الحيا الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين.. فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد. كما ثبت في الصحيح أنه صلي الله عليه وسلم قال : " ما تركت بعدي فتنة أضر علي الرجال من النساء ". فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد ، فهذا مطلوب مرغوب فيه متدرب إليه كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج

يقول صلي الله عليه وسلم : " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله ".

النساء حبائل الشيطان ، وفتنة الرجال

يقول القرطبي قوله تعالي : (من النساء) بدأ بهن لكثرة تشوف النفوس إليهن لأنهن حبائل الشيطان ، وفتنة الرجال .

قال صلي الله عليه وسلم : (ما تركت بعدي فتنة أشد علي الرجال من النساء) ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء . ويقال : في النساء فتنتان ، وفي الأولاد فتنة واحدة ، فأما اللتان في النساء فإحداهما تؤدي إلى قطع الرحم لأن المرأة تأمر زوجه بقطعه عن الأمهات والأخوات .. والثانية يبتلي بجمع المال من الحلال والحرام . وأم البنون فإن الفتنة فيهم واحدة وهو ما ابتلي بجمع المال لأجلهم

ولأنهن قد خلقن من الرجل ، فهمتها في الرجل ، والرجل خلق فيه الشهو وجعلت سكناً له ، فغير مأمون كل واحد منهما علي صاحبه ..

المرأة زينة وابتلاء في طريق الناس

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بصدد تفسير (زين للناس حب الشهوات) .. مخاطباً المرأة (إن أمر وجودنا في هذه الحياة جد وأخطر من الجد فلا يحجبنك عن تصور عاقبتها أي لون من ألوان مغرياتها ، ولا ينسينك هوانها كثر ماترين من المتعلقين بها ، ولا تنسي أن الناس إنما يجتازون إلى الله في هذه الدني بساعة امتحان ، سواء علموا ذلك أم جهلوا ، وربما طالت هذه الساعة أو قصرت ولكنها علي كل حال ليست أكثر من ساعة امتحان وإذا كان الاجتياز بهذه السا الامتحانية قدراً مشتركاً بين الرجال والنساء فإن المرأة تمتاز عن الرجل بحمل عب آخر شديد الخطورة . فالمرأة بالإضافة إلى كونها تشترك مع الرجل في اجتياز هذ الساعة الامتحانية تعتبر مادة من أهم موادها الامتحانية ذاتها ذلك لأن الشهوات عل اختلافها هي المنزلق الامتحاني ، والمرأة بتقرير الله تعالي وصريح بيانه أول نوع م

أنواع هذه الشهوات ، أو ليس هو القائل : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) " آل عمران ٤١ .

ويضيف في صفحة ١٤ قائلاً : " فقد عد الله المرأة في أول مراتب الشهوات التي وضعها زينة وابتلاء في طريق الناس. ولولا أنها تفوق سائرها في الخطورة والأهمية، لما جعل مرتبتها في الذكر قبلهن جميعا.

المرأة في حياة الإنسان أخطر ابتلاء دنيوي علي الإطلاق

يستطرد مؤلف كتاب أحلي ما قيل في المرأة قائلاً في ص ١٤ : " إذاً فالمرأة في حياة الإنسان أخطر ابتلاء دنيوي علي الإطلاق ، وسر ذلك أن جميع الآثام التي حظرها الله تعالي علي عباده ليس بينها وبين الإنسان أي انسجام فطري . فالظلم بأنواعه المختلفة محرم ، ويعين الإنسان علي تجنبه أن الفطرة الإنسانية تشمئز منه . وشرب الخمر محرم ، ويهون من أمر تحريمها أن الفطرة الإنسانية تعافها ، وكذلك السرقة ، والغش ، والغيبة ، والنميمة ، وبقية المحرمات الأخري . كلها لا تتفق مع مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة .

ويضيف قائلاً : " ومن خلال هذه المقارنة نستطيع أن ندرك أن الشهوة الجنسية في الإنسان أخطر ابتلاء ديني في حياته ، إذ في الوقت الذي تقف الفطرة الإنسانية فيه عوناً علي تطبيق حكم الله بالنسبة لمختلف المعاصي والمنكرات ، فإنها تقف بالنسبة للشهوة الجنسية مثيرة لها أو عاجزة في أحسن الأحوال عن أن تكبح جماحها".

علاج شهوة الجنس هو الارتواء منه وإمتاع الغريزة به (١)

يستطرد مؤلف كتاب أحلي ما قيل في المرأة قائلاً في ص ١٤ ، ١٥ : " وبناء علي ذلك فإن العلاج الإسلامي بالنسبة لسائر المعاصي يكمن في مزيد من الابتعاد عنها والاستعلاء فوقها ، أما بالنسبة لأمر الجنس خاصة فقد كان العلاج هو الارتواء منه ، وإمتاع الغريزة به ، ولكن ضمن حدود مرسومة فهذا معني قولنا : أن المرأة أخطر مادة امتحانية في حياة الرجل علي الإطلاق".

---

(١) المسيحية لا توافق علي هذا التعليم بل تدعو إلى التعفف الزوجي ، فمع أن الزواج يبيح ارتباط الرجل بامرأته جسديا ، إلا أن المسيحية تدعو إلى التعفف حتى في الزواج نفسه ، ويتم التعفف =

وربما نسأل : ولماذا لا يعتبر الرجل أيضا أخطر مادة امتحانية في حياة المرأة ؟

والجواب : أن الفاطر الحكيم أقام فطرة المرأة علي أسس نفسية جعلت منها مطلوب أكثر منها طالبة ، فهي مهما استشعرت إلحاحاً غريزياً في كيانها ، تظل ميالة .. إلى أن تتحصن بمركز الانتظار ، وأن تفرض علي الرجل ظروفاً وأسباباً تجعله يلح في طلبها ، وبذلك تكون المرأة فتنة للرجل أكثر من أن يكون الرجل فتنة لها وقد قر رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الحقيقة في قوله : (ما تركت بعدي فتنة أضر علي الرجال من النساء) وأمر هذه الفتنة عائد إلى المرأة ، فهي تستطيع إذا شاءت أن تجعل من شأن نفسها بلاء صاعقاً للرجل ، لا يكاد يجد سبيلاً للنجاة منه وتستطيع أن تجعل من شأن نفسها عوناً له علي السير في طريق السلامة

= اللاإرادى خلال الأصوام ، من خلال الإتفاق معا (١ كو ٧ : ٥) ، كما أن التعفف الإراد يساعد على التعفف اللاإرادي ، مثل وجود أحد الزوجين في سفر ، أو مرض ، أو لكبر السن ، لإنشغال أحدهما بالخدمة ، أو لموت أحدهما ، ويكون أساسه الحب الحقيقي القائم على محبة الروح وليس المحبة لجسد الشريك فقط... عندما قال القديس الرسول بولس عن نفسه : " أقمع جسدي وأستعبده (١ كو ٩ : ٢٧) رسم للمؤمن المسيحي مبدأ الحياة الحرة الكريمة (الطاهرة) التي تليق به كمخلو سام خلقه الله على صورته ومثاله (في النقاوة والقداسة) ، لذلك يجب أن يسيطر على نفسه ويضب غرائزه وميوله وشهواته ، ويتحكم في كل حركاته ، حتى لا تغلبه شهواته ، أو تسيطر عليه نزواته ، و يحيا مسوقاً بانفعالاته وعواطفه ، وإنما بالعقل يحكم الغرائز ، وبالإرادة يشكم كل الميول الضارة بكيان العاقل .

الفارق بين القمع والكبت هو أن الأول سيطرة طبيعية للنفس على رغبات الجسد وشهواته ، بناء عل إقتناع باطني بشرعية هذه السيطرة ، وحكمتها لخير الإنسان كله ، بينما الكبت هو مجرد تحكم ظاهر مصطنع ، يلجأ إليه شخص مهزوم باطنيا ، خوفاً من إنتقاد الناس ، بدون اقتناع (داخلي) منه شخصب بشر الرزيلة ، التي يشتاق إليها و يتعلق بها بقلبه وفكره .

و من أهم أسباب الإنتصار (على أفكار الدنس) هو تغذية الإقتناع الباطني بجمال الفضيلة وقب الرذيلة ، وذلك بالقراءة في الكتب النافعة ، التي تشبع النفس وتقنع الذهن . والإتصال بالأفضل من الناس، والإنتفاع بخبراتهم الروحية والأخلاقية ، مع الإبتعاد دائماً عن المثيرات بأنواعها الفكرية والعاطفية ، والمادية ، التي تحرك الشهوة ، وتنبه الغرائز الجسدية .

الضبط الجنسي والعفة الحقيقية هو نوع من الإنفتاح والإتزان ونظرة واقعية لواقع الأشياء والقيم الشخص العفيف يعترف بأن ثمة غريزة جنسية ، ويقتنع في داخله بأن لكل شئ وقته ، و يتحول حب للجسديات إلى حب للروحيات . ويصلي و يقول " يا رب ، لقد أعطيتني هذه الطاقة الجنسية وهي بركة ونعمة وقوة لي ، لكن ساعدني يارب لأغلب نداءات الجسد ، أنه يتسامى بالغريزة . وتفريغ الأحاسيس الجنسية في عمل نافع له وللكنيسة والناس .

قد يتساءل البعض قائلين : هل للضبط الجنسي أضرار صحية ؟ .. لا ، علي نقيض من ذلك تماما ف أشارت قرارات العديد من المؤتمرات العلمية الأوروبية إلى أن العفة هي حصن للشباب ، وقوة للرجل والمرأة، ونفوا الزعم بأن ضبط النفس لا يتفق مع الطبيعة ، أو هو أصل للأمراض العصبية ، كما يرى البعض . وأكد الأطباء الكبار في مصر أن التعفف واجب تحتمه الأديان ، وبرهان علي احترام الإنسان لنفسه ، و أن العمليات الجنسية الطبيعية والغير طبيعية ، تستنزف الطاقة ، وتلقي عبئا كبيرا علي القلب وتقلل من كمية الدم الذي يغذي باقي الأعضاء ، ومنها المخ ، علاوة علي الأثر النفسي .

أخطر الوظائف التي كلف الله بها المرأة

أن تغمد سلاح فتنتها أمام الرجال

يضيف الكاتب قائلاً في ص ١٥ : " ومن هنا كان أخطر الوظائف التي كلف الله بها المرأة أن تغمد سلاح فتنتها أمام الرجال حتي لا يقعوا في رهق من أمر هذا الامتحان . وقد تم الإجماع علي أن المرأة لا تحرز رضي الله تعالي عنها بعمل من الأعمال ، كما تحرزه بالسعي في سبيل يعين الرجل علي الاستقامة ، ولا تتسبب في غضب الله تعالي عليها بعمل من الأعمال مثل : أن تثير في الرجل نوازعه الشهوانية وما كان أكثر أهل النار النساء بإخبار النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح، إلا لجملة عوامل من أهمها أنهن لا يتقين الله تعالي في هذه الوظيفة الخطيرة التي أناطها الله تعالي بهن. أ.

المرأة في الإسلام وسيلة تفريغ وتفريخ

ـــ قال أحد الكتاب: لقد جعل الإسلام من المرأة المسلمة خشبة عرض ، يعرض عليها الذكر المسلم فحولته ورجولته وبطولته وغزواته وفتوحاته والويل كل الويل لمن عصى وبالعصي !!! .المرأة في حياة الرجل المسلم محراب عبادة . وهذا ما اكده محمد في قوله:(أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن). يقصد النساء. (راجع الطب النبوي لابن القيم الجوزية).

وفي حديث آخر أنه قال (حبب إلى من دنياكم النساء والطيب) .. من أجل هذا جعل محمد النكاح من سنته. من سنتي النكاح(١) فمن أحبني استن بسنتي. (رواه أنس).

ـــ قال ابن مسعود الصحابي الجليل : لو لم يتبقى من عمري إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج لكيلا ألقى ربي أعزب .

ـــ قال الغزالي في إحياء علوم الدين (كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب لهذا كان استكثار الصالحين للنكاح أشد ، ولأجل إفراغ القلب أبيح نكاح الأمة) .

ـــ تزوج عمر ابن الخطاب من ابنة علي بن أبي طالب وهو أكبر من أبيها عمرا.

ـــ تزوج علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة بأسبوع . وقيل أن ابنه الحسن قد تزوج من أكثر من مائتي امرأة ، وقد عقد على أربعة في وقت واحد ، وقد طلق أربعة في وقت واحد ، واستبدل أربعة في وقت واحد .

---

(١) أعتذر للقارئ المسيحي الذي لم يتعود أن يقرأ في كتبنا الروحية مثل هذه الألفاظ والكلمات فالكتاب المقدس عندما أراد أن يعلن أن آدم تزوج حواء قال " وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين " (تك ٤ : ١) . ولكننا قلنا في البداية أنه ليس في مثل هذه الأمور رأي ولكننا ننقل عن كتب الغير.

ـــ تزوج الإمام أحمد في اليوم الثاني لوفاة زوجته . كان ابن عمرو يفطر علـ الجماع قبل الأكل ، وقيل أنه قد جامع ثلاثة من جواريه في رمضان قبل العشاء .

ـــ روى أنه لما انصرف الناس يوماً عن مجلس ابن عباس بقي شاب لم يبــر مكانه ، فقال له ابن عباس : هل لك حاجة ؟ قال الشاب : نعم ، أردت أن أسأل سؤ فاستحيت من الناس ، وأنا الآن أهبك وأجلك . فقال ابن عباس : إن العـــالم بمنزلـ الوالد، كما كنت قد أفضيت به إلى أبيك فافضي إلي به . قال الشاب : أنـــا شـــاب زوجة لي ، وربما خشيت العنت على نفسي ، وربما استمنيت بيدي ، فهل فـــي ذلـ معصية ؟ فأعرض عنه ابن عباس ثم قال : أف وتف نكاح الأمة أفضل منـــه وهـ أفضل من الزنا.

ـــ تزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة . (راجـــع إحيـــاء علـــوم الـــدين ، ص٢٠).

ـــ قال الغزالي في إحياء علوم الدين ٢/٣٠ من الطباع ما تغلب عليـــه الشـــهـ بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى أربع فـــ يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه لهن وإلا فيستحب له الاستبدال .

ـــ أتي الفاروق جارية له فقالت: إني حائض فوقع بها فوجدها حائضاً فأتى النبـ وذكر له ذلك فقال النبي يغفر الله لك يا أبا حفص تصدق بنصـــف دينـــار. (راجـ المحلى لابن حزم ١٨٨/٢. وسنن البيهقي ٣١٦/١. كنز العمال ٣٠٥/٨) .

ـــ أخرج ابن سعد في طبقاته عن علي بن زيد، عن عاتكة بنت زيد كانت تحـ عبد الله بن ابي بكر فمات عنها واشترط عليها أن لا تتزوج بعده ، فتبتلـــت، وجعـ الرجال يخطبونها وجعلت تأبى فقال عمر لوليها: أذكرني لها فذكره لها فأبـــت علـ عمر أيضا، فقال عمر لوليها زوجنيها، فزوجه إياها فأتاها عمر ودخل عليها فعاركـ حتى غلبها على نفسها فنكحها فلما فرغ من نكاحها قال أف أف أف ثم خرج من عنـــد وتركها لا يأتيها. (راجع: كنز العمال ١٠٠/٧. منتخب الكنز بهـــامش مســـند احمـ ٢٧٩/٥) .

أهمية النكاح (الزواج) في الإسلام

الزواج حسب القرآن أمر مرغوب فيه: وانكحوا الأيامى منكم والصـــالحين مـ عبادكم وإمائكم (النور). وهو سُنّة النبي محمد: النكاح من سنّتي. فمن لم يعمل بسُنـ فليس مني ، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم. ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجـ فعليه بالصيام فإن الصوم له وجاء (ابن ماجة، نكاح ١ ، كنز العمال) .. وهو نصـ الإيمان: إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي (كنـ العمال).

وأما عند الفقهاء فهو فرض في حالة التوقان، أي فمن وجد في نفسه شوقاً إلى النكاح ولم يتزوج وهو قادر على ذلك من الناحية المادية فهو مذنب، مثله مثل مرتكب الكبيرة (بدائع الصنائع) .

لقد حرم محمد العزوبة (البخاري، نكاح ٨٣ ، ابن ماجة، نكاح ٢) - وفي رواية أن عثمان بن مظعون أراد أن يختصي ويسيح في الأرض فقال له رسول الله، ص: أليس لك فيّ أسوة حسنة؟ فأنا آتي النساء وآكل اللحم وأصوم وأفطر، إن خصاء أمتي الصيام، وليس من أمتي من خصى أو اختصى (طبقات ٣ : ٣٩٤) .

وفي عيون الأخبار: عن طاوس أن رسول الله قال: لا زمام ولا خزام ولا رهبانية في الإسلام ولا تبتل ولا سياحة في الإسلام (عيون الأخبار ٤ : ١٨) .

وورد في الحديث: ما في الجنة أحد إلا له زوجتان، وإنه ليرى ساقهما من وراء سبعين حلة ، ما منها من عزب (مسلم، جنة ١٤ ، الدارمي، رقائق ١٠٨ ، أحمد بن حنبل .)

وفي مسند أحمد بن حنبل: إن سنتنا النكاح. شراركم عزّابكم، وأراذل موتاكم عُزابكم (أحمد بن حنبل).

سأل محمد رجلاً يدعى عكاف إذا كان متزوجاً فرد: اللهم، لا قال: هل لك جارية؟ قال: لا . قال: وأنت موسر؟ قال: نعم. قال: أنت إذاً من إخوان الشياطين. إن كنت من إخوان النصارى فأنت منهم ، وإن كنت منا فشأننا التزويج (أسد الغابة، ٤:٣ (الطبعة المصرية)، عيون الأخبار٤ : ١٨).

يرغب محمد الرجال في الزواج لأن النساء يأتين بالبركة والغنى: تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال (كنز العمال) وركعتان من المتزوج (وفي رواية: المتأهل) أفضل من سبعين ركعة من العزب (نفس المصدر) .

أهمية النكاح عند الفقهاء

يقول الفقهاء: ليس للمسلمين عبادة شرعت من عهد آدم إلى الآن ثم تستمر في الجنة إلا النكاح والإيمان (١). وأما علاقة النكاح بالعبادة فيقول ابن همام: هو أقرب إلى العبادات، حتى أن الاشتغال به أفضل من التخلي عنه لمحض العبادة(٢).

---

(١) ابن عابدين، محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار ولأن الأمر هكذا فيقول شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت: أما هؤلاء الذين يُعرضون عن الزواج، ويتعللون بمتاعبه ومطالبه وأنه تقييد لحرية يجدر بها أن تنطلق دون أن تُكبح، فهم قوم جهلوا أو تجاهلوا معنى الإنسانية التي خُلقوا على صورتها. وجدير بعقلاء الناس أن يضيقوا عليهم المسالك حتى يرحلوا من بيئات الإنسان إلى غاب الوحش والحيوان .

(٢) ابن همام، كمال الدين محمد، شرح فتح القدير، يقال أن المسلم يُثاب على جماعه : لك في جماعك زوجك أجر (أحمد بن حنبل ٥ : ١٦٩).

إن أهمية النكاح ومكانته العليا هذه عند الفقهاء تكمن في كونه سبباً لوجود الإسلام والمسلم فلذا أولاه العبادات والجهاد، وإن كان عبادة لأن النكاح سبب لما هو المقصود منه وزيادة. فإنه سبب لوجود المسلم والإسلام والجهاد سبب لوجود الإسلام فقط (١). وفي رد المحتار: قدمه على الجهاد، وإن اشتركا في أن كلاً منهما سبب لوجود المسلم والإسلام، لأن ما يحصل بأنكحة أفراد المسلمين أضعاف ما يحصل بالقتال، فإن الغالب في الجهاد حصول القتل والذمة (٢).

النكاح فرض عين بمنزلة الصوم والصلاة

علاوة على ذلك فإن هناك مصالح أخرى تتعلق بالنكاح، فمنها حفظ النساء والنفس من الزنا، فالنكاح هو الوسيلة الوحيدة لملك المتعة (٣). وهناك من يدعي أن النكاح فرض عين بمنزلة الصوم والصلاة وغيرهما من فروض الإيمان، حتى أن من تركه مع القدرة على المهر والنفقة والوطء يأثم. أما الشافعي فقد ذهب إلى أنه مباح كالبيوع. واستدلوا على أنه فرض أو واجب بوجوب الامتناع عن الزنا، فقالوا: إذا كان الامتناع عن الزنا واجباً، ولا يتوّصل إليه إلا بالنكاح، فما لا يُتَوّصل إلى الواجب إلا به يكون واجباً (٤).

لا يوجد على ما يبدو اتفاق عند الفقهاء على أن النكاح (الزواج) واجب. ودليل المخالفين لوجوب الزواج قول القرآن: فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين (آل عمران ٣:٩٣). وهذا خرج بمخرج المدح ليحيى بكونه حصوراً، والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة. ولو كان واجباً لما استحق المدح بتركه، لأن ترك الواجب لأن يذم عليه أولى من أن يمدح (٥). يرفض السرخسي هذه النظرة فيقول: إن النكاح سنة محمد بينما التبتل كان من شريعة يحيى، فينبغي للمسلم اتباع سنة محمد . إن ازدياد الأمة يبقى المصلحة العليا بإجماع الفقهاء، إذ سيباهي محمد سائر الأمم يوم القيامة بكثرة أمته .

---

(١) ابن همام ٥ : ١٦٩.
(٢) ابن عابدين (٢ : ٣٤٠).
(٣) المبسوط (٤ : ١٩٣)
(٤) نفس المصدر، بدائع (٢ : ٢٢٨) .
(٥) المبسوط (٤ : ١٩٤) .

الـــــزواح

يستعمل القرآن الكريم لعقد الزواج لفظين هما: الزواج والنكـاح. والنكـاح هـو المشهور في الشريعة ويفيد أربعة معانٍ عند الفقهاء كما وردت في القرآن: التـزويج والجماع والهبة والحلم.

المعني الأول : النكاح بمعنى التزويج

فقوله: لا تَنكحوا المشركات حتى يؤمِنّ (البقرة ٢: ١٢٢) يعنـي لا تتزوجـوهن وكقوله: " فانكحوهن بإذن أهلهن " (النساء ٤: ٥٢) وقوله: " فانكحوا ما طاب لكم من النساء" (النساء ٤: ٣) يعني تزوجوا. وقوله: "الزاني لا ينكح إلا زانيـة أو مشـركة" (النور ٤٢: ٣) يعني لا يتزوج.

المعني الثاني :النكاح بمعني الجماع

في قوله : " حتى تنكح زوجاً غيره" (البقرة ٢: ٠٣٢) يعني حتى يجامعهـا زوج غيره وتجامع زوجاً غيره.

المعني الثالث: النكاح بمعني الهبة

في قوله: " وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ، إن أراد النبـي أن يسـتنكحها خالصة لك من دون المؤمنين" (الأحزاب ٣٣: ٠٥). وهذه الواهبة لا تحل لأحد غيـر الرسول .

المعني الرابع : النكاح بمعني الحلم

في قوله: "ابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح" (أي الحُلم) (النساء ٤ : ٦).

أهداف الزواج الشرعي ومقاصده

أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى هذه الأهداف والمقاصـد فـي عـدة آيـات وأحاديث منها :

" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم تفكرون " (الروم ٢١).

" والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة " (النحل ٧٢).

" يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام أن الله كان عليكم رقيبا (النساء ١).

" هن لباس لكم وأنتم لباس لهن " (البقرة ١٨٧).

" نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم " (البقرة ٢٢٣).

الصور الحديثة القديمة للزواج

نكاح المتعة

ومعناه النكاح للإستمتاع الغريزي فقط الذي يتم في يوم أو بعض يوم أو أكثر وله لفظان المتعة أو التأقيت ، كان يقول العاقد : تزوجتك متعة أو تزوجتك لمدة كذا وهو من الصور القديمة التي اتفق المسلمون على أنها كانت مباحة في صدر الإسلام ، ثم اختلف المسلمون في أمر تحريمه بين مثبت وهم أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعين والأئمة المعتبرين ، وناف لهذا التحريم ومحلل للمتعة وهم الشيعة ومن والاهم ، وظل الأمر على هذا الخلاف حتى يومنا هذا حيث ما زال نكاح المتعة والخلاف فيه قائماً بين المجيزين والمحرمين ، وذهب بعض العلماء إلى إباحية للمبعوثين حتى لا يتعرضوا لفتنة الأجانب والوقوع في الفاحشة في ظل الإباحية الواسعة .

نكاح المحلل

وهو عبارة عن زواج مؤقت بامرأة طلقها زوجها الأصلي ثلاثاً فأصبحت محرمة عليه لا تحل إلا بزوج آخر فيقوم هذا الزواج الآخر بالعقد الصوري عليها أو الدخول بها مؤقتاً حتى يحللها للزوج الأول . وهو من الصور القديمة والتي لا تزال شائعة في أوساط كثيرة ، وهذا الزواج بهذا الشكل يتنافى مع مقاصد الزواج الشرعية ، وأركانه وشروطه ، وهو أيضاً نكاح متعة إذا تم فيه الدخول ولهذا فهو نكاح باطل وحرام ولا يحلل المرأة للزوج الأول الذي قال الله عنه " فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره " لأن المقصود في الآية الكريمة هو الزواج الشرعي وليس ما تحايل عليه الناس حتى أصبح شكلياً حيث يستأجر الزوج الأول رجلاً ليعقد على هذه المطلقة ثلاثاً عقداً شكلياً يشترط فيه أن يطلقها فوراً وقد يشترط ألا يجامعها، فهل هذا هو الزواج الذي أراده الله للتحليل ؟ كلا إن الزواج الشرعي الذي يحلل المرأة هو الزواج بنية

التأبيد بلا قيد ولا شرط لتحقيق المقاصد الشرعية ، ثم إذا تهدم هذا الزواج الثاني بوفاة او طلاقة نهائي غير مشروطة ولا محددة ، يمكن حينئذ ان تحل للزوج الأول بزواج شرعي جديد ، أما ما كان يجري في الماضي وما زال يحدث في الحاضر لدى بعض القطاعات فإنه زواج شكلي وتيس مستعار وزنا ، ولهذا استحق اللعن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " لعن الله المحلل والمحلل له " رواه أبو داود وابن ماجه والترمزي وقال حديث حسن صحيح والعمل عليه عند أهل العلم من الصحابة والفقهاء والتابعين . وعن عمر : لا أوتي بمحلل ومحلل له إلا رجمتهما ، فسئل ابنه عن ذلك فقال : " كلاهما زان " وسأل رجل ابن عمر قال : ما تقول في امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها ولم يأمرني ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها ، وإن كرهتها فارقتها، وإنا كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم " وقال لا يزالون زانيين وإن مكثا عشرين سن إذا علم أنه يريد أن يحلها . (المغني ج ٦ ، ص ٦٤٦ وما بعدها).

الزواج بنية الطلاق

ومعناها ان يتزوج الرجل المرأة وفي نيته طلاقها بعد فترة وهي صورة شبيهة بنكاح التحليل حيث يتنافى الجميع مع مقاصد الزواج الشرعي وصيغة العقد القائمة على التنجيز والتأبيد ، ويلجأ لهذه الصورة كثير من الرجال الذين يسافرون للعمل أو للعلم فيتزوجون الأجنبيات وفي نيتهم طلاقهم عند انتهاء المهمة ، ولما كانت صورة العقد سليمة حيث لم ينص فيها على المدة ولا على الشرط فإن الفقهاء يرون ان الزواج صحيح ولأن كثراً منهم يرى أن العبرة في العقود بالألفاظ والمعاني لا بالمقاصد والمعاني ، وهذه الصورة من الزواج تنطوي على غش وخداع ، وفيها نية المتعة والمدة وهما حرام .

و يقول أحد الكتاب " نحن أمة العمل بالنية والإخلاص كما جاء في توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية فكيف تنطوي نية المسلم على الحرام ونقره ؟ يجب أن تكون العقود بالمعاني والمقاصد مع الألفاظ والمباني الشرعية ، وفي يده ان يطلق متى يشاء فلماذا الاستعجال وتبييت النية السيئة على أمر ينغطه الله تعالى وجعل للناس فيه أناة ، وإذا كان الفقهاء قد اتفقوا في الماضي والحاضر على صحة هذه الصورة فإني مع الأوزاعي رحمه الله وغيره في تحريم ذلك واعتباره متعة أو زواجاً مؤقتاً وكلاهما باطل وحرام .

قال الشيخ سيد سابق رحمه الله : اتفق الفقهاء على أن من تزوج امرأة دون أن يشترط التوقيت وفي نيته أن يطلقها بعد زمن ، او بعد انقضاء حاجته في البلد الذي هو مقيم فيه فالزواج صحيح ، وخالف الأوزاعي فاعتبره زواج متعة ،

الـــزواج العــرفي وصـــوره

الصورة الأولى

تستكمل فيها جميع أركان عقد الزواج الشرعي من ولي وشهود وإيجاب وقبول إلا أنه لم يتم توثيقه عند المأذون أو المحكمة الشرعية او غيرها ، وسمي عرفياً في مقابل الحكومي الموثق أو المدني ، وينتشر ذلك في البادية والريف تكاسلاً او جهلاً أو تهرباً من الرسوم والتكاليف ، وهذه الصورة لا غبار عليها ويجب على من قام به أن يتــابع توثيق هذا الزواج لدى الجهات الرسمية حتى تحفظ الحقوق لأصحابها .

الصورة الثانية

لا تستكمل فيها المواصفات الشرعية السابقة في المقدمات مثل عدم وجود الولي أو الشهود والعدول ، أو الإشهار أو المهر كذلك الزواج المعروف بين شباب الجامعــات والمدارس وبعض الأسر وهو زواج باطل عند أكثرية العلماء في الماضي والحاضــر أما في الماضي فلأن الجمهور أجمع على اشتراط الولي والشهود والعدول والإشــهار عند بعضه وكل ذلك غير متحقق في هذا الزواج الطلابي .

وفي الحاضر يضاف إلى ما سبق أن لا يحقق مقاصد الزواج الشرعي ويشــتمل على عدة كبائر وفواحش على رأسها الزنا والكذب والتزوير في المعــاملات والغــش وقطع الرحم ، والقتل وغير ذلك فالطالب أو الطالبة يكذبان على أسرهما ولا يجــرأن على إعلان ذلك وهما بذلك إذا ظهر الأمر تقع القطيعة بينهما وبين أهملها ، وقد يقوم الأب بقتل أبنته أو ابنه الذي فعل ذلك ، وقد تقوم الفتاة بترقيع غشاء البكارة حين يــتم زواجها برجل آخر عن طريق الأهل ، وهي حينئذ تجمع بين زوجين فتكــون غاشــة وزانية ، والأرملة تفعل ذلك من أجل الحفاظ على معاشها من الزواج الســابق وهــذا تزوير وحصول على الأموال بالباطل والكذب ويقوم الشــباب المتزوجــون عرفيــاً بإجهاض فتياتهم خوفاً من الفضائح وعجزاً عن تحمل المسئولية إلى غير ذلــك مــن الفواحش والمنكرات التي تتجمع في هذه الصورة المستحدثة للزواج وتجعلها صــورة باطلة لتعارضها مع الزواج الشرعي الصحيح ، وإذا كان أبو حنيفة رحمه الله يصحح مثل هذا الزواج لصدور صيغته من عاقدين مؤهلين فإن غالبيــه العلمــاء يرفضــون تصحيح ذلك .

الصور الحديثة للزواج والتي ليست لها أصول قديمة

زواج المسـيار

وهو عبارة عن زواج مكتمل الشروط والأركان إلا أنه تنقصه بعض حقوق المرأة باختيارها ورضاها فهي تتنازل عن حقها في القسم مع الزوجة أو الزوجات السابقات ، وقد تتنازل عن حقها كله أو بعضه في النفقة والسكن وغيرهما ، وذلك كله جائز ومقبول شرعاً بتراضي الطرفين ، وقد دعت إليه الحاجة الماسة ، لحل مشكلة العنوسة، ذلك أن نسبتها قد زادت في بعض البلاد العربية زيادة ملحوظة ولحقها نسبة المطلقات والأرامل مما جعل الفواحش والمشكلات الاجتماعية تطل برأسها ، وجعل الكثير من النساء العوانس يرغبن في الزواج والعفة ولو في مقابل التنازل عن بعض حقوقهن الشرعية من قسم ونفقة أو سكن وهذا كله جائز فما دامت شروط العقد الصحيح وأركانه قد توافرت بتراض ورغبة فالزواج شرعي وصحيح وقد أجازه علماء المملكة العربية السعودية والخليج العربي وغيرهم كما أجازه الفقهاء من قبلهم .

للزوجة أن تأذن لزوجها أن يبيت في ليلتهاعند ضرتها

روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول : أين أنا غداً ؟ رواه البخاري ، فإن شق عليه ذلك استأذنهن في الكون عند إحداهن كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ،

قالت عائشة رضي الله عنها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى النساء فاجتمعن فقال : إني لا أستطيع أن أدور بينكن ، فإن رأيتن أن تأذن لي فأكون عند عائشة فعلتن ، فأذن له " رواه أبو داود فإن لم يأذن له أقام عند إحداهن بالقرعة أو اعتزلهن جميعاً إن أحب (المغني ج ٧ ، ص ٢٨)" .

ويستفاد من ذلك أن للزوجة أن تأذن لزوجها أن يبيت في ليلتها وقسمها عند ضرتها ، وإن الأذن من الزوجة حق لها ويقبل منها وهذا ما يحدث في المسيار لأن الرجل يكون من بلد ويتزوج مسيار في بلد آخر بعيد ولا يستطيع القسم بصورة يومية فتكتفي الزوجة الثانية أو الثالثة بالمبيت ليلة أو ليلتين كل شهر أو كل فترة برضاها ، وأما عن النفقة والكساء وغيرهما فجائز كذلك وبخاصة إذا تنازلت عنه برضاها كما في المسيار يقول ابن قدامه ! وليس عليه التسوية بين نسائه في النفقة والكسوة إذا قام بالواجب لكل واحدة منهن ، قال أحمد في الرجل له امرأتان له أن يفضل إحداهما على الأخرى في النفقة والشهوات والكسى إذا كانت الأخرى في كفاية ويشتري لهذه أرفع من ثوب هذه ، وتكون تلك في كفاية ، وهذا لأن التسوية في هذا كله تشق فلو وجب لم يمكنه القيام به إلا بحرج فسقط وجوبه كالتسوية في الوطء (السابق ص ٣٢)أي أن التسوية في الوطء قدروه بمرة كل أربعة أشهر إلى ستة أشهر ، قال ابن قدامة :

والوطء واجب على الرجل إذا لم يكن له عذر به ، قال مالك : وعلى قول القاضي لا يجب إلا ان يتركز للإضرار .

زواج الفرنـــــد

وهو قيام الصديقين غير المتزوجين بالاتفاق على الزواج دون أعباء اجتماعية فيقيم الرجل عند أهله يأكل ويشرب ويكتسي ، وتقيم المرأة عنـد أهلهـا تأكـل وتشـرب وتكتسي، ثم يلتقيان هنا أو هناك لاتمام العلاقة الحميمة الجماع - . وهذه الصـورة إذا تمت واستوفت الأركان والشروط ، كان الزواج صحيحاً وترتـب عليـه الآثـار الشرعية من توارث وثبوت نسب وحرمة مصاهرة ، وطلاق وعـدة وغيـر ذلـك . ويمكن أن تتحقق في ظل المقاصد الشرعية للزواج بين هذين الـزوجين مـن نسـل مشروع وإشباع غريزي ونوع من السكنية والطمأنينة حين يأوي كل منهما إلى الآخر ويأنس ويفضي إليه . وقد أجازه بعض العلماء المعاصرين ، وليس هناك مـانع مـن إجازته إلا الأعراف والتقاليد الاجتماعية ، لكن القواعد الشرعية لا تمانع منه ، وهـو في ذلك شبيه بزواج المسيار السابق الذي تتنازل فيه المرأة عن بعض حقوقهـا فـي النفقة والقسم ونحو ذلك .

الزواج الســـياحي

وهو عبارة عن زواج يتم بين السائح والمقيم سواء كان السائح ذكراً أم أنثى والمقيم بالعكس ، وهو زواج مؤقت كما هو واضح ، والغرض منه جنسي فهو زواج متعـة وهو زواج باطل ولا يسمى زواجاً بل هو زنا وتستر في مسمى الزواج وهو غطـاء للدعارة وتفشي الأمراض الوبائية كالإيدز ، ولا يمت إلى مقاصد الـزواج الشـرعي بصلة ، وقد نشرت جريدة الأهرام المصـرية فـي عـددها ٤٣٢٧٧ الصـادر فـي ٢٠٠٥/٦/٢ الصفحة التاسعة شيئاً عن هذا الزواج تحت عنوان : بعد انتشـاره فـي اليمن : دعوة لمنع تسهيل الزواج السياحي ، صنعاء أ.ف.ب : دعت ندوة خصصـت لبحث ظاهرة الزواج السياحي في اليمن في ختام أعمالها أمس الأول مجلس النـواب اليمني إلى إصدار قانون يعاقب كل من يقوم بتسهيل هذا النوع من الزواج ، الآخذ في الانتشار في اليمن.

حقوق الزوج على الزوجة

يقول صاحب كتاب أجمل ما قيل في المرأة في صفحة ٣٣٦ " علي الزوجة طاعة الزوج في كل ما طلب منها مما لا معصية فيه ، وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها

أخبار كثيرة قال صلي الله عليه وسلم (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة .

وقال صلي الله عليه وسلم : (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة).

عليها طاعة زوجها مطلقاً في كل مطلب

إهتم الفقهاء في باب النكاح بحقوق الزوجين بعضهما على بعض، ووضعوا نصب أعينهم حقوق المرأة على زوجها. وأدل خبر على صحة هذا الوضع قول الشافعي : النكاح نوع رق، فهي رقيقة له. فعليها طاعة زوجها مطلقاً في كل مطلب منها في نفسها، مما لا معصية فيه (الغزالي، إحياء علوم الدين).

وهناك أحاديث تؤيد هذا الموقف: لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه (النَّسائي ، أبو عبد الرحمن، عشرة النساء ، ص ١٣١).

ولا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح البشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها (نفس المصدر، ص ١٤٨).

وعن عائشة: سألت النبي أي الناس أعظم حقاً على المرأة: قال: زوجها. قلت: فأي الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال: أمه (نفس المصدر).

الله يغفر لأبيها بطاعتها لزوجها

وفي إحياء علوم الدين: وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته ألا تنزل من العلو إلى أسفل. وكان أبوها في الأسفل فمرض. فأرسلت المرأة إلى رسول الله تستأذن في النزول إلى أبيها. فقال رسول الله (ص) أطيعي زوجك. فمات. فاستأمرته فقال: أطيعي زوجك. فدُفن أبوها. فأرسل رسول الله يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها (إحياء علوم الدين).

طاعة المرأة زوجها من دعائم الإيمان

إن طاعة المرأة زوجها من دعائم الإيمان عند الغزالي: إذا حصلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها (نفس المصدر)

وينسب الغزالي هذه الرواية إلى محمد. قالت عائشة وهي تروي عن محمد: سألت فتاةٌ رسولَ الله: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة ؟ قال: لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره .

إذا أرادها زوجها وهي على ظهر بعير لا تمنعه

روى ابن عباس: أتت امرأة من خثعم إلى النبي فقالت: إني امرأة أيـم وأريـد أن أتزوج ، فما حق الزوج ؟ قال: إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادهـا فراودهـا على نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه. ومن حقه ألا تعطي شيئاً من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له. ومن حقه ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ، فإن فعلت جاعت وعطشت فلم تقبل منها. وإن خرجت من بيته بغير إذنه لعنتها الملائكـة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب .

للمرأة عشر عورات

وفي رواية ضعيفة: أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها، وإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد، وصـلاتها فـي بيتهـا أفضل من صلاتها في صحن دارها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صـلاتها فـي بيتها. ربما يرجع سبب هذا الحرص على بقاء المرأة في مخدعها إلى ما يُروى عـن رسول الإسلام: للمرأة عشر عورات، فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحـدة، فـإذا ماتت ستر القبر العشر عورات.

ويسرد الغزالي حقوق الزوج على زوجته كما يلي: حقوق الزوج علـى الزوجـة كثيرة، وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر. الآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة، والتعفف عن كسبه إذا كان حراماً.

لا يحل لها أن تُطعِم إلا الرطب الذي يُخاف فساده

من الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله ، بل تحفظه عليه. قال رسول الله (ص) لا يحل لها أن تُطعِم من بيته إلا بإذنه، إلا الرطب من الطعام الذي يُخاف فساده ، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره. وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليهـا الوزر. ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرات وآداب العشرة مع الزوج.

تخرج متخفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق

ومن حقوقه عليها أن: تحفظ بعلها في غيبته، وتطلب مسرته في جميع أمورها، ولا تخونه في نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بإذنه فمختفية فـي

هيئة رثة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها، لا تتعرف إلى صديق بعلها في حاجاتها، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه. همُّها صلاح شأنها وتدبير بيتها، مقبلة على صلاتها وصيامها. وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضراً لم تستفهم، ولم تعاوده في الكلام، غيرة على نفسها وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله، وتقدم حقه على حق نفسها، وحق سائر أقاربها، متنظفة في نفسها، مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء ، مشفقة على أولادها، حافظة للستر عليهم، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج.

خطر اختلال النسب

وللرجل أن يمنع زوجته وبناته عن الخروج لكي لا تكون فتنة علاوة على خطر اختلال النسب (ابن الجوزي، أبو الفرج، كتاب أحكام النساء) .

واجبات المرأة تجاه زوجها

جاء في كتاب صدر حديثاً عن واجبات المرأة تجاه زوجها:

١ - عليها أن تتجنب الوقوف في الشرفات.

٢ - عليها أن تحتجب من استقبال الرجال على الأبواب.

٣ - عليها أن لا تخرج وهي متعطرة.

٤ - عليها أن تطيل ثيابها ولا تقلد الكافرات.

٥ - عليها أن لا تتحدّث بصوت عال.

٦ - عليها أن لا تسير في وسط الطريق.

٧ - عليها أن لا تختلط بالرجال ولا أن تصافحهن.

ما يجب على المرأة

وأما ما يجب عليها فيذكر المؤلف بإيجاز :

١ - كوني غضيضة الصوت، شريفة القول في أثناء سيرك.

٢ - سيري في جانب الطريق، واحذري وسط الطريق.

٣ - احذري الوقوف عند الباب مستشرفة لدخول الضيف.

٤ - لا تكثري من الخروج من بيتك لغير ضرورة.

٥ – لا تتركي حجابك لأي ظرف من الظروف خارج البيت.

٦ – تنبَّهي عند وقوفك في الشرفات ماذا تلبسين.

٧ – احذري مصافحة الرجال الأجانب، والسفر بغير محرم فكلاهما من المعاصي، وبدع نساء زماننا.

٨ – احذري أن تضيعي وقتك سدىً وعبثاً، فأكثري من التسبيح، والاستغفار أثناء سيرك بصوت لا يسمعه غيرك.

٩ – أقلي من التلفُّت، وكوني غضيضة الطرف.

١٠– أنت ضعيفة، وفي حاجة إلى رحمة ربك، فارفعي إليه كفيك دائماً طالبة العفو بعد الذنب، والعافية بعد الحسنة (مجدي السيد ابراهيم، بدع وخرافات النساء).

حقوق الزوجة على الزوج

قال محمد في خطبة الوداع : أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان (عوان جمع العائنة بمعنى الأسيرة)

لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله (ابن هشام، السيرة النبوية).

رُوِي عن عبد الله بن عمرو بن العاص: قال لي رسول الله: يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صم وافطر، وقم ونم، فإن لجسدك حقاً عليك، وإن لزوجك عليك حقاً، (البخاري، صوم ، تهجد ، نكاح ٨٨ ، أدب مسلم، صيام، ، أبو داود، تطوع ، الترمذي، رضاع ، زهد ، النسائي، ابن ماجة، نكاح ٣ ، الدارمي ، أحمد بن حنبل).

وعن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها وتكسوها إذا طعمت أو اكتسيت، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبّح ، ولا تهجر إلا في البيت (بو داود، نكاح).

ومن حقوق المرأة على زوجها أن يحميها. قال محمد: إني أحرِّجُ عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة (ابن ماجة، أدب ٦).

ومن حقوقها عليه ممارسة الجماع إذ الوطء واجب على الرجل إذا لم يكن له عذر، وبه قال مالك (ابن قدامة، المغنى).

الطـــــلاق

الطلاق في اصطلاح الفقهاء رفع قيد النكاح (١). والرجل وحده هو المؤهَّل لتنفيذه. كان الطلاق معروفاً في شبه الجزيرة العربية قبل محمد، ويفيد فسخ عقد النكاح فوراً ونهائياً. وقد أتى القرآن بقواعد جديدة لم تكن معروفة لدى معاصريه (٢).

يمكن أن نلخص الأحكام الواردة في المصادر الفقهية بشأن الطلاق كما يلي:

الرجل يملك وحده حق التطليق، ولا يجب عليه أن يذكر سبباً (٣). غير أنه يُعتبر مكروهاً، وعند الأحناف حراماً.

أما القاعدة القرآنية للطلاق فهي الآيتان: " الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان" (البقرة) و " يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (الطلاق).

أما دليل جوازه في السُنة فما روي عن ابن عمر: أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله. فقال رسول الله: مُره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض. ثم تطهر. ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء (٤).

يقول الفقهاء من المذهب الحنفي إن الطلاق يكون أحد الثلاث: الأفضل والحسن والمكروه (النافذ).

الطلاق الأفضل أن يطلقها طلقة واحدة رجعية في طهر لمْ يجامعها فيه، وكذا لم يجامعها في حالة الحيض الذي قبله.

الطلاق الحسن أن يطلقها ثلاث تطليقات في كل من الحيضة الأولى والثانية والثالثة أثناء طهرها دون أن يجامعها.

الطلاق المكروه أو البدعي فهو طلاقها طلقتين أو ثلاث طلقات في حيضتها بلفظ واحد (٥). طلاق الحرة ثلاثا، وطلاق الأمة طلقتان، ويجوز طلاق المكرهة أيضاً (٦).

لا يستلزم الطلاق لجوازه وجود النية المطلوبة مثلاً لصحة الصلاة المفروضة، ويتم بأن يقول الرجل لزوجته: أنت طالقة أو طلقتك . فإذا قال الرجل لزوجته: أنت مطلقة من هنا إلى الشام فهذا طلاق واحد له الرجعة. فإن قال: أنت مطلقة في مكة أو

---

(١) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، المغنى

(٢) **Shorter Encyclopaedia of Islam, Talaq, Leiden**

(٣)الاختيار،

(٤) البخاري ، طلاق ١-٩ ،أحكام ٣١ ، مسلم طـلاق ٤٤ ، أبـو داود ، نكـاح ٤٤ ، طـلاق ٤ ، النسائي، طلاق ١-٥ ، ابن ماجة ، طلاق ٢ ، أحمد بن حنبل

(٥) الاختيار

(٦) نفس المصدر،

بمكة فينفذ طلاقها في سائر البلدان. وإن قال: أنت مطلقة غداً فيتم طلاقها بالسَّحر. وإن قال: أنت مطلقة قبل زواجي منك فهذا ليس بطلاق. ولكن إن قال: أنت مطلقة ما لم أطلقك أو إلى أن طلقتك أو حين لم أطلقك، وهي سكتت، فالطلاق نافذ .. ولكن إن قال لها: أنت مطلقة إن لم أطلقك أو إن لم أكن طلقتك، فلا تكون مطلقة إلى أن تُتوفى (١).

لقد أجمع الفقهاء على أن الطلاق لا يتم بصريح القول فحسب، بل يكون عن طريق الإشارة والكتابة أيضاً (٢). من هذا القبيل قوله لها: اعتدّي أو استبرئي رحمك! أو أنت واحدة .

وفي هذا الموضوع تفصيل أفرط فيه الفقهاء (٣). إذا طلق الرجل امرأته تطليقة واحدة فله أن يرجع إليها أثناء عدتها، ولا يلزمه إذنها، بل يكفي أن يقول لها: قد رجعت إليك أو مسكتك أو أمسكتك (٤).

يبدو أن حق الرجل في الرجعة استغل به في عهد محمد، حيث كان الرجل يطلق امرأته ثم يرجع إليها قبل عدتها لكي يطلقها من جديد، ليجبرها على دفع المهر إياه، أو عتقها من الرجل، مما أدى بمحمد إلى إصلاح هذا الوضع فجاء في القرآن: وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا. من يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزواً .. واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم(البقرة). وفإن طلقها (أي ثلاثاً) فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره(البقرة)

وورد في السنة تأكيداً لهذا الحكم: أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله (ص) فقالت: يا رسول الله ، إن رفاعة طلقني فبتَّ طلاقي ، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي ، وإنما معه مثل الهدبة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا! حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته .

حدثني محمد بن بشار: حدثنا يحيى، عن عبيد الله قال: حدثني القاسم بن محمد، عن عائشة: أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً، فتزوجت فطلق، فسُئل النبي (ص): أتحل للأول؟ قال: لا، حتى يذوق عسيلتها كما ذاق الأول (٥).

---

(١) نفس المصدر،

(٢) نفس المصدر، ، الجزيري ، المغنى

(٣) راجع الجزيري

(٤) الاختيار

(٥) البخاري، طلاق ٣ ، ٧ ، أبو داود، طلاق ٩٤ ، النسائي، طلاق ٩ ابن ماجة، طلاق ٢٣ ، الموطأ، نكاح ١٧ ، ١٨ ، أحمد بن حنبل.

لقد ذهب الفقهاء من مختلف المذاهب إلى أن الرجل لا يلزمه ذكر سبب إذا طلق زوجته (١). بيد أن بعض الكتاب والعلماء المعاصرين يدعون عكس ذلك، فيقول الصابوني: فإذا لم تُجْد جميع وسائل الإصلاح للتوفيق بين الزوجين، كان الطلاق ضرورة لا مندوحة عنه. ومن الضرورات التي تبيح الطلاق أن يرتاب الرجل في سلوك زوجته، وأن يطلع منها على الخيانة الزوجية باقتراف (فاحشة الزنى) فهل يتركها تفسد عليه نسبه، وتكدر عليه حياته أم يطلقها؟ وهناك أسباب أخرى كالعقم، والمرض الذي يحول دون الالتقاء الجسدي، أو المرض المعدي الذي يخشى انتقاله إلى الآخر إلى غير ما هنالك من الأسباب الكثيرة. وقد جعل الله جل ثناؤه الطلاق في تشريعه الحكيم مرتين متفرقتين في طهرين – كما دلت على ذلك السنة المطهرة – فإن شاء أمسك، وإن شاء طلق وأمضى الطلاق، فيكون الزوج على بينة مما يأتي وما يذر، ولن يتفرق بالطلاق بعد هذه الروية وهذه الأناة إلا زوجان من الخير ألا يجتمعا لصالح الأسرة وصالحهما بالذات (٢).

كثيراً ما يتحدث الكتاب المسلمون عن إباحة الطلاق في الإسلام وأحكامه كمفخرة من مفاخر الإسلام تجاه المسيحية والقوانين الوضعية والتي حرمت النكاح إلا في حالة الزنى (كما هو الحال في المسيحية) أو قيدته بشروط تجعله شبه المستحيل، الأمر الذي يتناقض والفطرة (٣).

ونختم هذا الفصل بقول العقاد: شريعة القرآن الكريم في مسألة الطلاق شريعة دين ودنيا، وكل ما اشتملت عليه من حرمة الدين تابع لما شرع له الزواج أن يتجرد الزواج من مصلحته النوعية الاجتماعية، تغليباً للصبغة العبادية على مشيئة الأزواج (٤).

للرجل وحده حق الطلاق

يقول صاحب كتاب أجمل ما قيل في المرأة في صفحة ٢١٩ " يأخذ كثير من باحثي الفرنجة علي الإسلام أنه قد جعل الطلاق حقاً للرجل وحده وحرم المرأة من ممارسته، ويقولون إنه لما كان كل من الرجل والمرأة طرفاً في عقد الزواج وشريكاً مع الآخر في الحياة فإن منح حق الطلاق لأحدهما دون الآخر يتعارض مع أصول التعاقد ومع ما ينبغي أن تكون عليه المساواة بين الجنسين ، وأن الوضع السليم إلا يفسخ العقد إلا برضا الطرفين المتعاقدين معاً ، أو إذا منح هذا الحق لأحدهما يجب أن يمنح كذلك للآخر

---

(١) الجزيري.
(٢) الصابوني، شلتوت،
(٣) العقاد، المرأة في القرآن.
(٤) نفس المصدر؟

وقد فات هؤلاء أمور كثيرة . فاتهم أن المرأة إذ تبرم مع الرجل عقد الزواج علي سنة الله ورسوله ووفق الشرعية الإسلامية تقبل بذلك أن يتولي الرجل وحده شئون الطلاق في الحدود التي قررها الإسلام ، وتتنازل تبعا لذلك فيما يتعلق بالطلاق ، عن جميع الحقوق التي يمكن أن تنشأ عن اشتراكها في عقد الزواج ، فالزوج إذ يمارس الطلاق وحده إنما يمارسه بناء علي رضا الزوجة ، ذلك الرضا الذي يتضمنه عقد الزواج نفسه . وفاتهم كذلك أن الإسلام قد راعي في هذا الموضوع أن المرأة تغلب عليها العاطفة ، وسرعة الانفعال ، وأنه لا يقع عليها غرم مالي من الطلاق فلا يصح مع هذه الأوضاع وهذه الحالات النفسية والقانونية للمرأة أن يوضع في يدها حق خطير كحق الطلاق ، وإلا لأصبحت الأسرة مهددة بالانهيار لأضعف نزوة عابرة ، وأوهي انفعال طاريء علي حين أن الرجل لا يندفع في العادة مع عواطفه وانفعالاته اندفاع المرأة ، وهو وحده من جهة أخري الذي سيقع عليه غرم الطلاق ، هذا إلى أنه القوام علي الأسرة البصير بشئونها المقدر لجميع ظروفها ، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يمنح هذا الحق بالقيود التي ذكرناها ، وهي قيود تكفل عدم استخدامه له إلا حيث يقتضي ذلك صالح الأسرة والصالح العام ، وتكفل عدم الإضرار بالأسرة

الحكمة في جعل الطلاق بيد الرجل

يقول صاحب كتاب أجمل ما قيل في المرأة في صفحة ٢٢٠ " والحكمة في جعل الطلاق بيد الرجل يمكن عرضها فيما يلي

١ ــ أن الرجل هو الذي يطلب الزواج عادة ، ويدفع المهر ويعد سكن الزوجية

٢ ــ أن الرجل له القوامة والمسئولية الكبري في الأسرة ، فمن حقه أن يملك تنظيم الأسرة وحفظها [illegible]

٣ ــ أن الزوج هو الذي ينفق على الزوجة المطلقة أثناء عدتها حتي تنقضي ، وقد تطول العدة إلى تسعة أشهر ، وذلك فيما إذا طلقها وهي حامل فتنتهي عدتها بوضع الحمل

٤ ــ أن الزوج هو الذي ينفق علي أولاده في فترة حضانة الزوجة لهم ، فهو ينفق علي إرضاع الصغير رضاعاً وخدمة ، وينفق علي سائر أولاده فترة حضانة أمهم لهم.

٥ ــ أن الرجل أقوي إرادة وأكثر تعقلاً وأبصر بالعواقب من المرأة عادة ولا تعرض له تلك الحالات المرضية التي تعرض للمرأة أثناء الحيض وغيره من الأمور النسائية التي تحدث اضطرابا في كيان المرأة ونفسيتها .. قال الله تعالي في بيان أن الطلاق هو بيد الرجل : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتي تنكح زوجا غيره) (البقره ٢٢٨ ـــ ٢٣٠) وقال صلي الله عليه وسلم : (الطلاق بيد من أخذ بالساق) رواه الطبراني وهو حديث حسن أ. هـ

صبر المرأة

يقول صاحب كتاب أجمل ما قيل في المرأة في صفحة ١٠٣ " يقول سبحانه وتعال للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم) " البقرة ٢٢٦ ـــ ٢٢٧ " .

(الإيلاء .. الحلف فإذا حلف الرجل الا يجامع زوجته مدة فلا يخلو إما أن يكون أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها ، فإن كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يجامع امرأته ، وعليها أن تصبر ، وليس لها مطالبته بالفيئة في هذه المدة ، وهذا كما ثبت بالصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى من نسائه شهراً فنزل لتسع وعشرين وقال الشهر تسع وعشرون) ولهما عن عمر بن الخطاب نحوه ، فأما إن زادت المدة علي أربعة فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر إما أن يفيء أي يجامع ، وإما أن يطلق فيجبره الحاكم علي هذا ، وهذا لئلا يضر بها ولهذا قال تعالي : (للذين يؤلون من نسائهم) أي يحلفون علي ترك الجماع من نسائهم فيه دلالة علي أن الإيلاء يختص بالزوجات دون الإماء ، كما هو مذهب الجمهور (تربص أربعة أشهر) أي ينتظر أربعة أشهر من حين الحلف ثم يوقف ويطالب بالفيئة أو الطلاق ولهذا قال : (فإن فاءوا) أي رجعوا إلى ما كانوا عليه وهو كناية عن الجماع (فإن الله غفور رحيم) لما سلف من التقصير في حقهن بسبب اليمين

وقد ذكر الفقهاء وغيرهم في مناسبة تأجيل المولي بأربعة أشهر الأثر الذي رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ عن عبد الله بن دينار قال

خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وأرقني ألا خليل الاعبه

فوالله لولا الله أني أراقبه ... لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة رضي الله عنها : كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ! فقالت : ستة أشهر أو أربعة أشهر .. فقال عمر : لا أحبس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك

عدد الزوجات المصرح للرجل المسلم أن يتزوجها

يصرح الإسلام بتعدد الزواج، فيحل للرجل أن يتزوج من النساء ما يصل إلى أربعة في الوقت الواحد.

" ... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثني وثلاث ورباع"... (سورة النساء ٤ : ٣).

ملحوظة: أعطي لمحمد نبي الإسلام إمتيازات خاصة في هذا الأمر، فقد صرح له أن يتزوج بأي عدد يشاء من النساء، وفي الواقع قد كان لمحمد ما لا يقل عن ١٣ من النساء بين الزوجات والسرائر. واحدة من هؤلاء الزوجات كانت عائشة التي تزوجها ولم تبلغ بعد سن التاسعة من عمرها بينما كان محمد في سن الثالثة والخمسين. وزوجة أخري وهي زينب بنت جحش كانت قبلاً زوجة إبنه بالتبني . عندما رأي إبنه أن محمداً يرغب فيها طلقها كي يستطيع محمد أن يتزوجها.

دور الزوجة في العلاقات الزوجية

يعتبر الإسلام الزوجة أداة للمتعة الجنسية بالنسبة للرجل... " نساءكم حرث لكم فاتوا حرثكم أني شئتم".(سورة البقرة ٢: ٢٢٣).

ملحوظة : يفسر بعض دارسوا الإسلام مثل البخاري وابن عمرو عبارة (أني شئتم) علي أنها ترخيص للمسلم أن يمارس الجنس مع زوجته سواء بطريقة طبيعية أم غير طبيعية.

من حقوق المرأة فى الإسلام

المرأة لباس لزوجها

جاء فى صـ١٩ من كتاب "أحلى ما قيل فى المرأة" : تحت عنوان (المرأة لباس لزوجها) : والمرأة لباس لزوجها، كما أن زوجها لباس لها: فالله جل جلاله يقول:" أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون" (البقرة ١٨٧).

فى تفسير ابن كثير نجد :

"وقوله : (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير.. يعنى هن سكن لكم وأنتم سكن لهن. وقال الربيع بن أنس هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن، وحاصله أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه فناسب أن يرخص لهم فى المجامعة فى ليل رمضان لئلا يشق ذلك عليهم".

ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى :

" (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) : شبه الزوج والزوجة باللباس كل لصاحبه لأن كل واحد منهما يستر حال صاحبه ، ويمنعه الفجور".

أما القرطبى فيقول :

" أصل اللباس فى الثياب، سمى امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباساً، لانضمام الجسد إلى الجسد وامتزاجهما وتلازمهما تشبيهاً بالثوب.. وقال بعضهم : يقال لما ستر الشئ وداره: لباس، فجائز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لا يحل.. وقيل : لأن كل واحد منهما ستر لصاحبه فيما يكون بينهما من الجماع من أبصار الناس. وقال أبو عبيدة وغيره : يقال للمرأة : هى لباسك وفراشك وإزارك..

وقال الربيع: هن فراش لكم، وأنتم لحاف لهن. ويقول مجاهد: أى سكن لكم، أى يسكن بعضكم إلى بعض.

ونحن نرى أن الآية تحتمل كل هذه المعانى مجتمعة فليس بينهما أى تعارض أو تنافر، بل يجمع هذه المعانى عنصر التآلف والتكامل لتأدية هذا المعنى البليغ الذى يلخص العلاقة بين الرجل والمرأة فى كلمة واحدة.

الحــــرث

جاء فى كتاب "أحلى ما قيل فى المرأة" صـ٢١ تحت عنوان (الحـــرث) والنساء أيضاً (حرث) للرجال فالله تعالى يقول :" نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين" (البقرة ٢٢٣).

فى تفسير ابن كثير نجد :" (نساؤكم حرث لكم) قال ابن عباس . الحرث : موضع الولد (فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى كيف شئتم مقبلة ومدبرة فى صمام واحد .

ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى :

" (نساؤكم حرث لكم) أى مواضع حرث شبههن بها لما يلقى فى أرحامهن من البذور " . الرجل يحرث أرضه ويلقى فيها البذور فيحصل على الثمار، ولقد شبه الله لذلك المرأة بالحرث، فقال : (نساؤكم حرث لكم) فمباشرة الزوجة تبدو وكأنها عملية حرث يحصل الزوج بعدها على النسل.

ويبين الله فى هذه الآية كيف يأتى الرجل زوجته حيث، إن لهذه الآية قصة، فلقد ورد فى صحيح مسلم : حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بشيبة، وعمرو الناقد.. فقالوا : حدثنا سفيان عن ابن المنكدر أنه سمع جابرا يقول :

" كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها كان الولد أحول، فنزلت الآية : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم).

المـــرأة والشـــهادة

شهادة المرأة في الإسلام لا تساوي إلا نصف شهادة الرجل كما ينص القرآن والسنة على ذلك.

جاء في سورة البقرة: واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء. أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى .

لقد علل محمد هذه القاعدة بنقصان عقل المرأة: خرج رسول الله فـــي أضـــحى أو فطر إلى المصلى فمرَّ على النساء فقال: يا معشر النساء ، تصدَّقن فإني أريتكم أكثــر أهل النار، فقلن: وبم يا رسول الله ؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصـــان عقلنـــا وديننا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم. قلن: بلى. قال. فذلك من نقصان دينها(البخاري، حيض ، مسلم، إيمان ، أبو داود الترمذي، ابن ماجة، فتن ، أحمد بن حنبل).

نرى أن المفسرين يذكرون هذا الحديث دعماً لكون شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل (لرازي، ابن كثير).

يتحدث المفسر فخر الرازي عن نسيان المرأة الذي يتعلق بجوهرها الـــذي تغلبـــه الرطوبة والبرودة (الرازي، ٧ : ١١٣).

ويبرر ابن قيم الجوزي مدلول آية البقرة بقوله: قال شيخنا ابن تيميـــة رحمـــه الله تعالى : قوله تعالى: (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) فيه دليل على أن استشهاد امـــرأتين مكـــان رجل إنما هو لإذكار إحداهما الأخرى إذا ضلت ، وهذا إنما يكون فيمـــا يكـــون فيـــه الضلال في العادة ، وهو النسيان وعدم الضبط ، وإلى هذا المعنى أشار النبي (ص) حيث قال: أما نقصان عقلهن: فشهادة امرأتين بشهادة رجل ، فبيّن أن شطر شهادتهن إنما هو لضعف العقل لا لضعف الدين ، فعلم بذلك: أن عدل النســـاء بمنزلـــة عـــدل الرجال، وإنما عقلها ينقص عنه ، فما كان من الشهادات لا يخاف فيه الضـــلال فـــي العادة: لم تكن فيه على نصف رجل ، وما تقبل فيه شهادتهن منفردات: إنما هو أشياء تراها بعينها ، أو تلمسها بيدها، أو تسمعها بأذنها من غير توقف على عقل ، كالولادة والاستهلال ، والاتضاع ، والحيض ، والعيوب تحت الثياب ، فإن مثل هذا لا ينســـى في العادة ولا تحتاج معرفته إلى كمال عقل ، كمعاني الأقوال التي تسمعها من الإقرار بالدين وغيره، فإن هذه معان معقولة، ويطول العهد بها في الجملة (الطرق الحكمية).

من الأمور المختلف فيها: متى تكون شهادة المرأة صالحة ؟ وهناك روايات تذكر أن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب قالا أن ليس لشهادتها في أمور الطلاق والزواج والحدود أي اعتبار (نفس المصدر السابق).

أما نقصان العقل الوارد ذكره في الحديث فليس المراد به (كما يقول شارح البخاري) لومهن عليه ، لأنه من أصل الخلقة ، لكن التنبيه على ذلك تحذيرا من الافتتان بهن (القسطلاني ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري).

لقد لاحظ المفسرون القدامى (في النصوص الواردة عن شهادة المرأة في القرآن وفي الحديث) نقصان عقل المرأة، واحتجوا على صحة ذلك بأنواع الحجج ، مثل كثرة الرطوبة في مزاجها أو أصل خلقتها، ولكن يحاول المسلمون المعاصرون تأويل وتبرير النصوص بطريقة علمية . يبدو الإمام محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا أن يكونا من القليلين الذين أرجعوا مطالبة القرآن بامرأتين مقابل رجل واحد إلى عدم اختصاص المرأة بمجال من مجالات الحياة وليس إلى نقصان عقلها. فالأمر يعود إلى ضعف ذاكرتها في أمور ليست من اختصاصها مثل المعاملات المالية ونحوها من المفاوضات (المنار ، شلتوت).

والذي يخجل أن ينسب إلى المرأة نقصان العقل ، لكي لا يُتَّهم بالبدائية أو العداء للنساء، ينبر على أن المرأة تحت حكم العواطف، خلافاً للرجل، الأمر الذي راعاه الله، فيقول العقاد: والقضية في الشهادة هي قضية العدل وحماية الحق والمصلحة، ولها شروطها التي يلاحظ فيها المبدأ وضمان الحيطة على أساسه السليم. والمبدأ هنا – كما ينبغي أن تتحراه الشريعة – هو دفع الشبهة من جانب الهوى ، وما يوسوس به للنفس في أحوال المحبة والكراهة وعلاقات الأقربين والغرباء. وليس بالقاضي العادل من يعرض له هذا المبدأ، فيقضي بالمساواة بين الجنسين في الاستجابة لنوازع الحس ، والانقياد لنوازع العاطفة ، والاسترسال مع مغريات الشعور من رغبة ورهبة. فالمبدأ الذي ينبغي للقاضي العادل أن يرعاه هنا، حرصاً على حقوق الناس، أن يعلم أن النساء لا يملكن من عواطفهن ما يملكه الرجال ، وأنه يجلس للحكم ليحمي الحق ، ويدفع الظلم ، ويحتاط لذلك غاية ما في وسعه من حيطة، لأنه أمر لا يعنيه لشخصه، ولا يحل له أن يجعله سبيلاً إلى تحية من تحايا الكياسة ، أو مجاملة من مجاملات الأندية. وقديماً كانت هذه التحايا والمجاملات تجري في ناحية من المجتمع، وتجري معها في سائر نواحيه ضروب من الظلم للمستضعفين والمستضعفات تقشعر لها الأبدان (العقاد، المرأة في الإسلام).

تغلب العاطفة على المرأة

لقد صار القول بتغلب العاطفة على المرأة ، مما يؤدي بها إلى الحيدان عن العدل والموضوعية في الحكم، الحجة المفضلة عند الكتاب والفقهاء المسلمين في العصر الحاضر (نفس المصدر، شلتوت ، سيد قطب (في ظلال القرآن ، علي شلق ، التطور التاريخي لأوضاع المرأة العربية ، ص ٢٢).

فالشيخ محمود شلتوت يتكلم عن قضايا لا تقبل فيها إلا شهادة الرجل ، وهي القضايا التي تثير موضوعاتها عاطفة المرأة ولا تقوى على تحملها. على أنهم قد رأوا قبول شهادتها في الدماء إذا تعينت طريقاً لثبوت الحق واطمئنان القاضي إليها، وعلى أن منها ما تقبل شهادتهما معاً (شلتوت)؟

ضلال المرأة

ويشرح سيد قطب ضلال المرأة (البقرة) بعدة أسباب: فقد ينشأ من قلة خبرة المرأة بموضوع التعاقد، مما يجعلها لا تستوعب كل دقائقه، ومن ثم لا يكون من الوضوح في عقلها. وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية ، فإن وظيفة الأمومة العضوية البيولوجية تستدعي مقابلاً نفسياً في المرأة حتماً. بينما الشهادة على التعاقد في مثل هذه المعاملات في حاجة إلى تجرد كبير من الانفعال (في ظلال القرآن).

هل يجوز أن تقوم المرأة بالشهادة ؟
وهل شهادتها تعادل شهادة الرجل ؟

يقول صاحب كتاب أحلي ما قيل في المرأة في صفحة ٣٨ : " يقول عز وجل في كتابه الكريم من سورة البقرة الآية ٢٨٢ (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمي فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخري...)

يقول ابن كثير وقوله (استشهدوا شهيدين من رجالكم) أمر بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثقة (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وهذا إنما يكون في الأموال وما يقصد به المال وإنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة

كما قال مسلم في صحيحه : حدثنا قتيبة حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو ابن أبي عمرو عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال

(يا معشر النساء تصدقن ، وأكثرن الاستغفار فإن رأيتكن أكثر أهل النار) . فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : (تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن) قالت يا رسول الله ما نقصان العقل والدين ؟ قال : (أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي لا تصلي ، وتفطر في رمضان ، فهذا نقصان الدين) وقوله : (أن تضل إحداهما) يعني المرأتين إذا نسيت إحداهما الشهادة (فتذكر إحداهما الأخري) أي يحصل لها ذكر بما وقع به من الإشهاد)

بقي هنا أن نسأل لماذا أقيمت المرأتان مقام الرجل ؟

لماذا أقيمت المرأتان مقام الرجل ؟

يقول صاحب كتاب أحلي ما قيل في المرأة في صفحة ٣٩ : إن القرآن الكريم يرد علينا فيقول (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخري) أي أن تنسي إحداهما فتذكرها الأخري ، وهذا بدوره يستتبع سؤالاً آخر هو لماذا ذكر موضوع النسيان بالنسبة للمرأة بالذات ، ولم يذكر بالنسبة للرجل ؟

اهتمام المرأة بالألوان والأشكال والمظاهر الخارجية دون جوهر أو لب الموضوع

يقول صاحب كتاب أحلي ما قيل في المرأة في صفحة٣٩: والإجابة علي هذا السؤال تكمن في أن المرأة لها اهتماماتها الخاصة التي غالبا ما ترتبط بالألوان والأشكال والمظاهر الخارجية دون جوهر أو لب الموضوع ، فالمرأة إذا وجدت في مجتمع من القوم ، فغالباً ما يستلفت نظرها ، ويستغرق اهتمامها نوعية ما يرتديه هذا أو ذاك وكيف يبدو في ردائه ، وكيف تظهر هيئته ، وهل ألوان ملابسه تحقق الانسجام بعضها مع بعض أم أن أنها نشار ، وكيف يتحدث ، وكيف ينفعل إلى آخر ذلك من الأمور التي تعتبر في عداد النواحي الشكلية لا الجوهرية وتدخل في نطاق القشور لا اللباب ، وبذلك تصرفها مثل هذه النواحي عن أصل الشهادة وموضوعها نفسه والقرآن الكريم يحتاط لهذا فيقرر إقامة شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد حتي إذا نسيت إحداهما بسبب انصرافها إلى مراقبة الأشكال والألوان والمظاهر والهيئات استطاعت

الأخري أن تذكرها هذا بعكس الرجل الذي يوجه كل اهتمامه إلى جوهر الموضوع ذاته ، فالمرأة دقيقة الملاحظة للأشكال والمظاهر الخارجية ، فهي تستطيع بعد انتهاء المجلس أن تسرد ، وتعد بالتفصيل ما الذي كانت ترتديه هذه أو تلك أو ذاك من الذين حضروا وبطبيعة الأمر فإن مثل هذه الطبيعة التي تعطي مثل هذا الاهتمام التلقائي الفطري لمثل هذه الأمور ستفرض علي المرأة أن تكون في شغل شاغل عما يدور في المجلس فلا تتذكر منه إلا خيالات وأوهام

وفي الشوارع والطرقات نلاحظ بصورة واضحة اهتمام المرأة المتناهي بفحص الأخريات حتي إنها لتطيل النظر ، وتنشغل عما حولها مركزة كل انتباهها علي امرأة أخري . وفي كثير من الأحيان لا يكفيها ذلك فتدير ظهرها ناظرة إلى الخلف لتستكمل الفحص والتدقيق فيما ترتديه الأخري ، ويظهر الفرق واضحاً في مثل هذه الأمور بين الرجل وبين المرأة .. فالرجل إذا وجد في مجلس سيهتم بالجاد من الأمور الذي يشغله عن كل شيء آخر .. فإذا سألته ماذا كان يرتدي فلان ؟ لن تجد منه في الغالب جواباً.. وإن وجدت فستجد إجابات غامضة مبهمة يقولها علي سبيل الحدس والتخمين.. وهذا طبيعي ، فما كان يوجه انتباهه لمثل هذه الأمور

الشيخ الشعراوي يصحح بعض المفاهيم

والآن إلى فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي يصحح بعض المفاهيم التي تدور حول هذه النقطة يقول الله سبحانه وتعالي واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى " سورة البقرة ٢٨٢).

كيف تساوي شهادة حاملة الدكتوراه نصف شهادة بواب العمارة الأمي

لقد ثار جدل كبير حول هذه الآية، حتي أن بعض المشتغلات بالأعلام كتبن يقلن : كيف لا تساوي شهادة امرأة حاصلة علي الماجستير ، أو الدكتوراه شهادة بواب العمارة التي تسكن فيها وربما يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب ؟ وكيف أن شهادة حاملة الدكتوراه .. تساوي نصف شهادة بواب العمارة الأمي ؟ ولقد وجد هذا المنطق الخاطئ رواجاً بين الناس .. حتي أن بعضهم أخذ يردده ترديداً أعمي .. وهو غير فاهم لحكم الله .. وكأنه يريد أن يعدل الحكم علي الله سبحانه وتعالي مع أنه لا يفهم معني ما يقوله إن ذلك المنطق الكاذب يجد كثيرا من الآذان التي تستمع إليه دون أن تعيه ، وتردده دون أن تفهم معناه .. إذا كنا نريد أن نضع المعاني في إطارها الصحيح

السليم.. فلابد أن نفهم ما معني كلمة شهادة كلمة شهادة مأخوذة من شهد .. أي شيئ تراه بعينك .. وتراه واقعا أمامك .. وهذا المشهد أو الشيء المشهود ليس محتاجا إلى علم .. ولا إلى درجات علمية .. ولا إلى عقل درس حتي درجة الدكتوراه .. ولكنه محتاج إلى عين تشهد .. وإلي كلمة صدق تقال .. أما غير ذلك فلا من هنا فإن الملاحظة التي أبديت غير ذات موضوع .. ولا تنطبق علي الشهادة .. لأنه ليس هناك بحوث علمية تجري .. ولا تجارب معملية تتم .. ولا غير ذلك مما يقتضي ثقافة معينة لابد أن تتوافر .. وعلما سابقا لابد أن يكون موجودا ومن هنا يتساوي خلق الله .. الذين حصلوا علي أعلي درجات العلم .. وخلق الله الذين لم يقرأوا حرفا في حياتهم .. فمنطق الثقافة لا يعتد به هنا

ليست رجاحة عقل .. ولكن صدق وأمانة نقل

يستطرد فضيلته فيقول :" المسألة إذن ليست رجاحة عقل.. ولكنها صدق وأمانة نقل

وإذا نظرنا إلى طبيعة المرأة نجد أنها مخلوقة علي الستر ، فهي ممنوعة من مخالطة الرجال .. وأنا أريد كلمة حق من المرأة : هل إذا حدثت مشاجرة في الطريق العام .. هل يسوغ للمرأة أن تسرع إلى الدخول فيها .. لمعرفة ما يحدث ؟ أم أنها تبتعد عنها تماما اتقاء للأذي حتي لا تصاب بسوء طبعا هي تبتعد عنها . لماذا ؟

أولا : لأنها مخلوق ضعيف .. لا قدرة لها علي المنازلة أو المشاجرة .

ثانيا : لأنها مخلوق عاطفي ستصاب بأذي في نفسيتها من مظاهر العنف والضرب في هذه المشاجرة ..

ثالثا : لأن تعرضها لمثل هذا الحدث ، يوجد احتكاكا عنيفا بينها وبين الرجال مما يعرضها لخدش كرامتها وحيائها ..

إنها تبتعد عن المشاجرة حتي ولو كان المتشاجر زوجها أو أخاها وتستغيث بالرجال

والمرأة بطبيعتها بعيدة عن مشاكل الحياة العامة .. لأن هناك رجلا يعولها .. وهو الذي يتصدي لهذه المشاكل .. وهو الذي يتداخل فيها ويحلها

لهذه الأسباب المرأة لا تصلح شاهدة كالرجل

لهذه الأسباب وغيرها من الأمور التي تتعارض مع طبيعتها ، فإن المرأة لا تصلح شاهدة كالرجل .. لأنها لو عرفت بعض التفاصيل .. غابت عنها تفاصيل أخري ، لأنها بطبيعتها تبتعد عن المشاكل

ولذلك فإنه لا حجية لمن يقول .. كيف لا تتعادل شهادة الأستاذة الجامعية مع شهادة البواب الأمي .. لأن العقل هنا لا دخل له في القضية .. ولكن صدق النقل الذي ترتب علي التواجد والمشاهدة هو الذي يعنينا

إن هذا الاعتراض قد أغفل مهمة الشهادة وجعلها مهمة تعتمد علي العقل وثقافته .. بينما هي في الحقيقة تعتمد علي صدق النقل والمشاهدة فقط

وقول الحق تبارك وتعالي : (أن تضل إحداهما) .. فإن هذا الضلال يأتي من عدم دقة المشاهدة .. ومن أن المرأة تحرص علي أن تبتعد عن كل مشاحنة أو اشتباك يحدث فيه العنف

كذلك فإن المرأة تري الأشياء بمنظار العاطفة، وغالباً ما تشغلها مظاهر الأشياء عن حقيقة الأشياء ، فكثيراً ما تحضر المرأة اجتماعات تتذكر جيداً تفاصيل ما كان يرتديه الحاضرون من ملابس وألوانها وهل كانت متناسقة أم لا ، ولكنك إذا سألتها عما دار في ذلك الاجتماع فستجيبك ولكنها إجابة لن تكون بالدقة المطلوبة ، لأن العاطفة تغلب عليها بعكس الرجل الذي لا يتذكر ما كان يرتديه الحاضرون ولكنه يعي تماماً ما دار في الاجتماع لأن العقل يغلب عليه

كما أن المرأة إذا حضرت نزاعا أو شجارا ففي الغالب تتلون شهادتها بالتحيز لطرف ضد آخر ليس علي أساس من الحق والحقيقة ولكن علي أساس عاطفي لا يمت للحق بأية صلة . ولو تظاهر الظالم بالضعف والمسكنة واستخدام أساليب الدموع والبكاء لاستطاع أن يحظي منها بشهادة في صفه لأنها في هذه الحالة ستتأثر بالدموع ولن تنظر في لب أو جوهر النزاع وأي الطرفين الظالم وأيهما المظلوم فيه .. أيهما المعتدي وأيهما المعتدي عليه .. لن تنظر إلى أي شيء من ذلك

من هنا جاءت حكمة الخالق في أن يجعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل

من يجادل ويعارض إنما يعارض الله

ويضيف فضيلة الشيخ الشعراوي قائلاً : بعد أن وصلنا إلى هذا الحد في مناقشة بعض الآراء التي تعترض علي هذه الناحية يجب أن نتطرق إلى نقطة هي الفصل القاطع في هذا الموضوع ، فنقول لمن يجادل ويعارض : لقد وردت هذه النقطة في صلب القرآن الكريم في نص الآية ٢٨٢ من سورة البقرة التي أوردناها آنفا . فهل تدري يا هذا أنك حينما تعارض فإنما تعارض الله . لا مانع من أن تناقش مناقشة تهدف من ورائها إلى الفهم السليم حتي يطمئن قلبك ، وتلك لها آدابها ولكن ليس مقبولا أن تعترض علي شأن أورده الله في كتابه العزيز ليس لنا إزاءه إلا الطاعة ، ولا يليق بنا إلا التسليم ، والمسموح به فقط مناقشة استفسار واستيضاح . أما أن نعترض فذلك مالا يقبله عقل ،.وكيف يقبل عقل من العقول كائناً من كان اعتراضا من المخلوق علي الخالق . المخلوق الجاهل كيف يعترض علي الخالق العزيز العليم .. يجب أن نتنبه جيدا حتي لا تزل أقدامنا إلى هذا المنزلق الخطير ، تري هل تعلم أيها المعترض علي هذه الناحية أنك تعترض علي الله ؟إن كنت لا تعلم .. فالآن أعلم وتنبه واستغفر لنفسك ولا مانع من الاستفسار والمناقضة الإيضاحية إن كنت تعلم ولازلت تكابر فلست ممن يعنينا إقناعك

ما معني ناقصات عقل ودين ؟

يقول صاحب كتاب أجمل ما قيل في المرأة في صفحة ٤٨ تحت هذا العنوان "يجيبنا فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي فيقول إننا عندما نتدبر ما جاء في حديث شريف لرسول الله صلي الله عليه وسلم : (النساء ناقصات عقل ودين) .. نجد أن البعض أخذ هذا الحديث علي أنه إهانة للمرأة وحط من كرامتها ، ومنزلتها في المجتمع .. وأنه اتهام لها بنقص العقل والدين لكن الحقيقة غير ذلك تماماً .. لأن هذا الحديث يشرح لنا طبيعة المرأة من ناحية التكوين . فالمرأة بطبيعة تكوينها تغلب عليها العاطفة .. وهذا ليس عيباً .. ولكنه ميزة تناسب مهمتها في الحياة .. لأنه مفروض بطبيعتها أن تعطي من الحنان أكثر .. ومن التفكير العقلي أقل إنها هي التي تحنو .. وهي التي تمسح الدموع .. وتضع مكانها الابتسامة وهي التي تمسح تعب اليوم وشقاءه عن زوجها وأولادها .. ولا يتم هذا بالعقل .. ولكنه يتم بالعاطفة

إفتقار المرأة إلى الفصاحة

يقول صاحب كتاب أجمل ما قيل في المرأة في صفحة ٥٣ " نجد من صفات النساء أيضاً افتقارهن إلى الفصاحة ، فهي صفة الذكور في الغالب ، وتقترن بطلاقة اللسان ، وقوة الحجة ، وبراعة المنطق ، وهذه الصفات معقودة للفتي بما خلق عليه عقله ، وافتقر إليه عقلها ، ولسنا ممن يعيب ذلك علي المرأة وإنما نقرر حقائق ثابتة ، كما أن كلا ميسر لما خلق له ، فالمرأة علي هذا الوضع ملائمة لما أنيط بها من رسالة ومهام في الحياة .

الأنثي ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعني

يقول سبحانه وتعالي من سورة الزخرف الآية ٨١ (أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين).

يقول القرطبي قوله تعالي : (أو من ينشأ) أي يربي ويشب (في الحلية) أي في الزينة . قال ابن عباس وغيره : هن الجواري زيهن غير زي الرجال .

قال مجاهد : رخص للنساء في الذهب والحرير

قوله تعالي : (وهو في الخصام غير مبين) أي في المجادلة والإدلاء بالحجة .

قال قتادة : ماتكلمت امرأة ولها حجة ، إلا جعلتها علي نفسها) أ. هـ

أما ابن كثير فيقول في هذه الآية قال سبحانه وتعالي (او من ينشا في الحليه وهو في الخصام غير مبين) أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحرير منذ تكون طفلة ، وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة عيية ، أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم ، فالأنثي ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعني فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر ما فيها

سلطة الرجل علي المرأة في الإسلام

يعلم الإسلام أن من حق الزوج أن يعاقب زوجته. ومن أنواع العقاب المسموح به هو ضرب الزوجة والإمتناع عن المعاشرة الجنسية معها.

" والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغو عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً". (سورة النساء ٤: ٣٤).

" الذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فآءو فإن الله غفور رحيم". (سورة البقرة ٢: ٢٢٦) .

ضرب الرجل لزوجته حقيقة وليس افتراء

قوامة أي (أفضلية) الرجل على المرأة ، أعطت الرجل الحق في تأديب زوجته بالضرب.

جاء في سورة النساء (والذين تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) . النساء ٣٣-٣٤.

وقد يقول قائل هذا افتراء وكذب على كتاب الله وسنة رسوله الكريم لأن القرآن الكريم قد أمر بمعاملة المرأة بالمعروف والحسنة بدليل قوله تعالى (وعاملوهن بالمعروف) نساء ١٩ .

فيرد عليه آخر قائلا : إن كلامكم من الناحية اللغوية حضرات الأفاضل صحيح ، لكنه من الناحية الدينية الشرعية – وهذا الأهم – غير صحيح ، لأن آية النساء ١٩ التي نصت على معاملة المرأة بالمعروف والحسنة ، قد نسخت بآية الهجر في المضاجع والضرب (نساء ٣٣-٣٤) . لقد أباح الإسلام للرجل مقاطعة المرأة جنسيا ، وهو سلاح قاس ، كما أباح للرجل ضرب الزوجة وكأنها ليست من صنف البشر. فأين الحقوق والمساواة ؟؟!!.

لا تسأل الرجل فيما يضرب امرأته

حدثنا محمد بن صالح بن هانئ ثنا الحسين بن الفضل البجلي ثنا سليمان بن حرب ثنا أبوعوانة ثنا داود بن عبدالله الأودي عن عبدالرحمن بن عبدالله المسلي عن الأشعث

بن قيس قال تضيفت عمر بن الخطاب فقام في بعض الليل فتناول امرأته فضربها ثم ناداني يا أشعث قلت لبيك قال احفظ عني ثلاثاً حفظتهن عن رسول الله لا تسأل الرجل فيم يضرب امرأته ولا تسأله عمن يعتمد من إخوانه ولا يعتمدهم ولا تنم إلا على وتر. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . مستدرك الحاكم / ج: ٤ ص: ١٧٥ سنن أبي داود / جـ ١ ص: ٤٧٦ومسند الشافعي / ص: ٩٨ وسنن البيهقي / ج: ٧ ص: ٣٠٥والدر المنثور ج٢ ص ١٥٦وأسد الغابة جـ ١ ص١٢٥وتهذيب الكمال جـ ١ ص ٤٣١وقال في الهامش : وهو حديث صحيح ، أخرجه الشافعي ٢ ــ ٣٦١ ، ٣٦٢ ، وابن ماجة (١٩٨٥) والدارمي ٢ ــ ١٤٧ ، وصححه ابن حبان (١٣١٦).

عن ابن المسيب قال رسول الله لبي بكر ألا تعذرني من عائشة قال فرفع ابو بكر يده فضرب صدرها ضربة شديدة (الحديث). طبقات ابن سعد الجزء الثامن صفحة ٥٦.

تأديب الرجل لزوجته

جواز ضرب المرأة (في حالة النشوز) مبني على القرآن والحديث. فيقول القرآن: "واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن، واهجروهن في المضاجع، واضربوهن. فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً" (النساء ٤: ٢٣).

وقد بذل الفقهاء والكتاب المعاصرون في العصر الحديث قصارى جهدهم في تضعيف مضمون هذه الآية، من خلال تفسيرهم "نشوزهن" بالعصيان والزنا، حيث يكون الضرب الوسيلة الأخيرة لصد المرأة عن هذا العمل الشنيع، إلا أن الفقهاء والمفسرين القدامى كانوا أكثر واقعية وصراحة. فعند الشافعي للرجل أن يضرب امرأته ولكن تركه أفضل.

أما الآية الأخرىالتي يستدلون بها على جواز ضرب النساء فهي: "وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث. إنا وجدناه صابراً، نعم العبد إنه أوّاب" (ص ٨٣: ٤٤).

إن المخاطب هنا هو النبي أيوب. روى عن قتادة: "كانت امرأة أيوب عرضت له بأمر وأرادها إبليس على شيء فقال: لو تكلمت بكذا وكذا وأن حملها عليها بالجزع. فحلف نبي الله: لئن الله شفاه ليجلدنها مئة جلدة".

كيف يضرب المرأة ويضاجعها في نفس اليوم ؟

يقول الجصاص: وفي هذه الآية دلالة على أن للزوج أن يضرب امرأته تأديباً. لولا ذلك لم يكن أيوب ليحلف عليها ويضربها، ولما أمره الله تعالى بضربها بعد حلفه. والذي ذكره الله في القرآن وأباحه من ضرب النساء إذا كانت نشازاً بقوله (واللاتي

تخافون نشوزهن) إلى قوله (واضربوهن) وقد دلت قصة أيوب على أن لــه ضــربها تأديباً لغير نشوز، وقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) فما رُوي من القصة فيه يدل على مثل دلالة قصة أيوب، لأنه رُوي أن رجلاً لطم امرأته على عهد رسول الله فأراد أهلها القصاص فأنزل الله (الرجال قوامون على النساء بما فضــل الله بعضــهم على بعض). يقول القاضي ابن العربي: "إن الأمر بالضرب هنا أمر إباحة" ويضــيف بالإشارة إلى قول عطاء بأن في ذلك كراهة ، إذ روي عن محمد قوله: "إنــي لأكــره الرجل أن يضرب أمته عند غضبه، ولعله أن يضاجعها من يومه".

ولا يجوز أن يكون ضرب النساء مبرحاً

لا يجوز أن يكون الضرب مبرحاً كما ورد في حجة الفقهاء عن السنة في جــواز ضرب النساء: "عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله. فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: "استوصوا بالنســاء خيــراً فإنهن عندكم عوان، ليس يملكون منهن شيئاً غير ذلك. إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح". يقول الصابوني إن قول محمد هذا يدل على جواز ضربها فوق حدود الأدب. أما كون الضرب دون التبــريح فمعناه "أن لا تكسر لها عظماً أو ضرباً غير مؤثر. مع أنه هناك أحاديث عديدة فــي كراهية ضرب المرأة يبدو أن الفقهاء والمفسرين في مختلف العصور (حتى في يومنا هذا) اختاروا من بين الروايات ما يبيح ويحبذ تأديب النساء مثل "لا يُسأل الرجل فيما يضرب امرأته". الحديث الذي أكثروا من الاستشهاد به.

متى يجوز للرجل ان يضرب المرأة

وأما متى يجوز ضرب المرأة، أو بعبارة أخرى ما هو النشوز الذي يؤهل الرجــل أن يضرب امرأته كآخر وسيلة، ففيه خلاف بين العلماء. و"إن أكثر الفقهاء قد خصّوا النشوز الشرعي الذي يبيح الضرب إن احتيج إليه لإزالته بخصــال قليلــة كعصــيان الرجل في الفراش، والخروج من الدار بدون عذر. وجعل بعضهم تركها الزينة وهــو يطلبها نشوزاً، وقالوا: له أن يضربها أيضاً على تــرك الفــرائض الدينيــة كالغســل والصلاة. والظاهر أن النشوز أعم، فيشمل كل عصيان سببه الترفع والإباء.

من الغرابة بمكان أن يرى الفقهاء ضرب المرأة كوسيلة شرعية ليجبرها الرجــل على المضاجعة ولكن الأغرب من ذلك هو محاولة بعض الكتّاب المسلمين في القــرن الحادي و العشرين تبرير هذه الحجة الشاذة بما يدعون من اكتشــافات علــم الــنفس الأوروبي.

هل تجد المرأة متعة في أن يحكمها الرجل ويضربها وهل كلما يضربها زوجها تزداد إعجاباً به

يزعم أحد الكتاب (وهو ينقل حسب زعمه عن عالم أوروبي) أن المرأة تجد متعة في أن يحكمها الرجل بحكم غريزة الطاعة والانصياع لديها، وإنه كلما يضربها زوجها تزداد إعجاباً به! ولا يُحزن بعض النساء شئ مثل رجل يكون دائماً لطيفاً ودوداً. ويقول محمد زكي عبد القادر أنه يعجب النساء من الرجال من هو "صعب" لكي تكسر إرادتها بإرادته. فمع أنهن يصرخن و .. يحسسن في أعماق نفوسهن متعة الضعف تجاه قوة رجالهن.

نساء لا يسمحن بقرب الزوج إلا بعد أن يوجعهن ضرباً

كتب أحد الأساتذة التقدميين قبل بضع سنوات: "أما الضرب فهو في حالة إمعان المرأة في النشوز وهي تزرع البؤس في بيتها، ونفوس أولادها وذويها، وفي أعماق زوجها، ولا يظن أحد أن في الضرب وجها وحشياً، إذ هنالك نساء يضربن أزواجهن، ونساء أخريات لا يسمحن بقرب الزوج إلا بعد أن يوجعهن ضرباً، أو يدميهن، وهذا ما أشارت إليه الدراسات البسيكولوجية عن الشذوذ".

سواكٍ يضرب به يدها، أو كفٍ يهوى بها على رقبتها

يهاجم الإمام محمد عبده من يسميه بـ"بعض مقلدة الإفرنج الذين يستكبرون من مشروعية ضرب المرأة الناشز، ولا يستكبرون أن تنشز وتترفع عليه، فتجعله وهو رئيس البيت مرؤوسا بل محتقرا" فيسأل: "فأي فساد يقع في الأرض إذا أبيح للرجل التقي الفاضل أن يخفض من صلف إحداهن ويدهورها من نشز غرورها بسواكٍ يضرب به يدها، أو كفٍ يهوى بها على رقبتها؟ إن كان يثقل على طباعهم إباحة هذا فليعلموا أن طباعهم رقت حتى انقطعت، وأن كثيراً من أئمتهم الإفرنج يضربون نساءهم العالمات المهذبات، الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، فعل هذا حكماؤهم وعلماؤهم، وملوكهم وأمراؤهم، فهو ضروروة لا يستغني عنها الغالبون في تكريم أولئك النساء المتعلمات، فكيف تستنكر إباحته للضرورة في دين عام للبدو والحضر، من جميع أصناف البشر؟.

الضرب عقوبة معترف بها في الجيوش والمدارس وبين الجنود والتلاميذ

ولا يختلف الكاتب الفيلسوف عباس محمود العقاد عن المصلح الكبير الإمام محمد عبده في حججه إلا صراحة وتنوعاً في الأمثلة، فهو يجيز أن يضرب الرجل امرأته

في حالة الغضب لكي يقوّم خطأها. فليس معنى الضرب طبعاً إيجابياً في كل حالة ومع كل امرأة. وإنما يُباح الضرب لأن بعض النساء يتأدبن به ولا يتأدبن بغيره. ومن اعترض على إجازته من المتحذلقين بين أبناء العصر الحديث، فإنما يجري اعتراضه مجرى التهويش في المناورات السياسية، ولا يجري مجرى المناقضة في مسائل الحياة وأخلاق الناس، لأن الاعتراض على إباحة الضرب بين العقوبات لا يصح إلا على اعتبار واحد: وهو أن الله لم يخلق نساء قط يؤدَّبن بالضرب، ولا يجدي معهن في بعض الحالات غيره. ومن قال ذلك فهو ينسى أن الضرب عقوبة معترف بها في الجيوش والمدارس، وبين الجنود والتلاميذ، وهم أحق أن ترعى معهم دواعي الكرامة والنخوة إذا جاء الاعتراض من جانب الكرامة والنخوة. وأن رؤساءهم ليملكون من العقوبات المادية والأدبية، ومن وسائل الحرمان والمكافأة، ما ليس يملكه الأزواج في نطاق البيوت المحدودة.

ويعاني الأستاذ أحمد شلبي من الصعوبة نفسها في فهم المعارضين لضرب المرأة "لا سيما أن الضرب يطبق كوسيلة الاصلاح والتأديب فقط حيث يرجى الخير، وأنه من الحماقة أن يتصور المرء أن ليس للجنس البشري عضو يمكن إصلاحه بالضرب. أو لماذا لا يحتج هؤلاء على عقوبة الضرب في الجندية".

لا ندري ما عسي هؤلاء الكتاب أن يقولوا لو أخبرناهم أنه ألغيت عقوبة الضرب في المدارس والجندية في بعض البلدان، أو أن علم النفس الحديث أثبت أن الضرب لا يصلح بل يدمر نفسية الإنسان، سواء إن كانت ضحيته طفلاً أو امرأة!!

ختان البنات (الخفاض أو الطهور)

مع أن الختان ليس له أصل قرآني فقد صار فريضة هامة لدى عامة المسلمين التي لا تولي ما يمكن اعتباره على نفس المستوى من المناسك والتقاليد نفس الأهمية. فالختان بإجماع عامة المسلمين المدخل في الإسلام وعلامة الانتساب إلى هذا الدين .. يُروى عن رسول الإسلام أنه اعتبر الختان من الفطرة، غير أن الرواة على ما يبدو في شك من ذلك: عن عائشة قالت ، قال رسول الله : عشر من الفطرة : قص الشارب، وإعفاء اللحية ، والسواك ، والاستنشاق بالماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الأبط، وحلق العانة ، واستسقاء الماء (يعني الاستنجاء بالماء).

قال زكريا قال صعب: ليست العاشرة الا أن تكون المضمضة (وفي رواية أخرى: إن من الفطرة المضمضة والاستنشاق) فذكر نحوه ولم يذكر إعفاء اللحية وزاد والختان (البخاري ، استئذان ، مسلم ، طهارة ، أبو داود ، ترجل ، الترمذي ، أدب ،النسائي ،زينة ، ابن ماجة،حمد بن حنبل،

يمكن أن نستنتج من المصادر أن الختان كان في شبه الجزيرة العربية تقليداً شائعاً. مع أنه لم يرد في القرآن ، فهناك شواهد عديدة تشير إلى ذلك في الحديث والشعر القديم. يدعي الفقهاء بأن للختان مصلحة عظيمة للمسلم تفوق الألم الناشئ منه. وأما

الحكمة الكامنة في عملية الختان فهي تنحية الغلفة لأن تحتها قد يكون منبتاً خصيباً لإفرازات تؤدي إلى أمراض مميتة مثل السرطان. فالختان من هذا المنطلق طريق وقائي (شلتوت ، ختان الأنثى - في لواء الإسلام) .

الحكمة من ختان الإناث

هذا بالنسبة للرجال. ولكن ما هي الحكمة في ختان البنات الذي يطبق في بعض البلدان الإسلامية؟ فالحكمة الأولى عندهم هي قول محمد: الختان سُنة للرجال ومكرمة للنساء (أحمد بن حنبل، أبو داود، أدب).

والحكمة الثانية تكمن في كون الخفاض يزيدها حلاوة عند الرجل شريطة تطبيقها باعتدال: عن أم عطية الأنصارية أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبي: لا تُنهكي (أي لا تبالغي في الخفض) فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل (أبو داود، أدب).

وأما الحكمة الثالثة لختان الأنثى فهي تعديل شهوتها وتلطيف الميل الجنسي للمرأة (عفيفي محمد الصادق في فقه المرأة المسلمة) .

يخبرنا الماوردي كيف يتم ختان الأنثى فيقول: ...(عون المعبود شرح سنن أبي داود) .. اعتذر عن ذكر المقوله لأن كلماتها جارحه و مكشوفه . وقد ذهب إلى وجوب الختان الشافعي وجمهور أصحابه، وقال به من القدماء عطاء، وعن أحمد وبعض المالكية يجب، وعن أبي حنيفة واجب وليس بفرض وعنه سنة يأثم بتركه،

نصيب المرأة من الميراث

لعلم الفرائض صلة وثيقة بالحقوق العائلية من حيث انتقال تركة الشخص المتوفى إلى أقربائه العليا. ويتوقف على النظام العائلي تحديد من هو المؤهَّل للميراث، أو بعبارة أخرى من هم الوارثون. فالرجال عند العرب الجاهليين كانوا وحدهم يملكون حق الإرث، وذلك بناء على النظام الأبوي وهذا بقي أيضاً طابع الشريعة الإسلامية والمبدأ الأساسي في علم الفرائض .

للذكر مثل حظ الأنثيين

وتُبنى القاعدة القرآنية في تنظيم أحكام الشريعة بشأن الميراث على الآية: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين، فإن كنّ نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك، وإن كانت واحدة فلها النصف، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث، فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين. آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً، فريضة من الله، إن الله كان عليماً حكيماً (النساء ٤:١١).

وعن الأرامل: ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ ولد، فإن كان لهنّ ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد. فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتمذ (النساء ٤:٢١).

المرأة في الشهادة و الميراث = نصف رجل

كما هو الحال في الشهادة فالمرأة تظهر في علم الفرائض أيضاً كنصف إنسان لها نصف ما للرجل، بيد أن المفسرين القدماء - مثلهم مثل الكتاب المسلمين المعاصرين - يقولون أن هذا الوضع رفعٌ لمكانة المرأة وتكريم لها، لأنها لم تكن تملك شيئاً من الميراث في المجتمع الجاهلي إلى أن نزلت هذه الآيات: عن السدي (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) : كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري، ولا الصغار من الغلمان، لا يرث الرجل من أولاده إلا من أطاق القتال. فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر، وترك امرأة يقال لها أم كُحة، وترك خمس أخوات، فجاءت الورثة يأخذون ماله، فشكت أم كحة ذلك إلى النبي (ص)، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك، وإن كانت واحدة فلها النصف) ثم قال في أم كحة (ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد. فإن كان لكم ولد فلهن الثمن) (لطبري (جامع البيان) ٤ : ٢٧٥ ، ، فخر الدين الرازي ٩ : ٢٠٣) ، ابن كثير (١: ٤٦٧) .

ورُوي عن ابن عباس: كان المال وكانت الوصية للوالدين والأقربين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين (الطبري ٤ : ٢٧٦) .

المرأة أعجز من الرجل ولذلك .. !!

يقول فخر الدين الرازي: لا شك أن المرأة أعجز من الرجل لوجوه:

أولاً : فلعجزها عن الخروج والبروز، فإن زوجها وأقاربها يمنعونها من ذلك.

ثانياً: فلنقصان عقلها وكثرة اختداعها واغترارها.

ثالثاً: فلأنها متى خالطت الرجال صارت متهمة، وإذا ثبت أن عجزها أكمل وجب أن يكون نصيبها من الميراث أكثر، فإن لم يكن أكثر فلا أقل من المساواة، فما الحكمة في أنه تعالى جعل نصيبها نصف نصيب الرجل؟ (الرازي ٩ : ٢٠٧) .

المرأة قليلة العقل كثيرة الشهوة

يجيب الرازي عن السؤال الذي طرحه بنفسه، فيقول: والجواب عنه من وجوه:

الأول: إن خروج المرأة أقل، لأن زوجها ينفق عليها، وخروج الرجل أكثر لأنه هو المنفق على زوجته، ومن كان خروجه أكثر فهو إلى المال أحوج.

الثاني: أن الرجل أكمل حالاً من المرأة في الخلقة وفي العقـل وفـي المناصـب الدينية، مثل صلاحية القضاء والإمامة، وأيضاً شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، ومن كان كذلك وجب أن يكون الإنعام عليه أزيد.

الثالث: إن المرأة قليلة العقل كثيرة الشهوة، فإذا انضاف إليها المال الكثيـر عظـم الفساد وقال تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) وحال الرجل بخلاف ذلك.

الرابع: أن الرجل لكمال عقله يصرف المال إلى ما يفيده الثناء الجميل في الـدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة، نحو بناء الرباطات، وإعانة الملهوفين والنفقة على الأيتام والأرامل، وإنما يقدر الرجل على ذلك لأنه يخالط الناس كثيرا، والمرأة تقل مخالطتها مع الناس فلا تقدر على ذلك وأخيراً يأتي الرازي المعروف بأسـلوبه العقلانـي فـي تفسير القرآن برواية أنّ جعفر الصادق (الإمام السادس للشيعة الإثني العشرية) كدليل على أن القاعدة القرآنية لميراث الأنثى قاعدة شبه أزلية: ررُوي أنّ جعفـر الصـادق سئل عن هذه المسألة فقال: إن حواء أخذت حفنة من الحنطة وأكلتها، وأخذت حفنـة أخرى وخبأتها، ثم أخذت حفنة أخرى ودفعتها إلى آدم. فلما جعلـت نصـيب نفسـها ضعف نصيب الرجل قلب الله الأمر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجـل (الرازي ٩ : ٢٠٧) .

مشـاعر و مشـاعر

ـــ قالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ في كتاب سيدات بيت النبـوة رضي الله عنهن : تمثل (صلعم) أمه (آمنه) في شخص فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، تلك التي رعته أيام صباه في بيت عمه ابي طالب ، و كانت له مـن بعد أمه أماً . ذكر ابن اسحاق في السيره وابن سعد في طبقاته ، من طريق الواقدي ، و(ابن عبد البر) في الأستيعاب ، و (ابو الفرج الأصبهاني) في مقاتل الطالبين ، عن علي بن ابي طالب وعن ابن عباس رضي الله عنهم ، أنه (لما ماتت فاطمة أم علـي بن أبي طالب ، ألبسها رسول الله (صلعم) قميصه ، واضطجع معها في قبرها، فقال له أصحابه : ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بها ، فقال : أنه لم يكن أحد بعد ابـي طالب أبر بي منها . أني إنما ألبستها قميصي لتكتسي حلل الجنة ، واضطجعت معها في قبرها ليهون عليها).

الإسلام يأمر المرأة أن تتحجب وهي خارج المنزل

" وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن علي جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو ابـائهن

أو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني أخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن..."... (سورة النور ٢٤: ٣١) .. " يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدينين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً"... (سورة الأحزاب ٣٣: ٥٩).

حريتها .. ليست مطقلة !

جاء فى كتاب أحلى ما قيل فى المرأة فى ص ٢٢٣ تحت عنوان (حريتها .. ليست مطقلة !)الحجاب تأمين للمرأة ولزوجها ولبيتها.. كيف يكون ذلك ؟

يحدثنا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعرواى فيقول : إن من اختار الدين فعليه أن يقبل أحكام هذا الدين ، حتى لو كانت هذه الأحكام تقيد حريته فى إفعل ولا تفعل .. لأن تقييد الحرية هنا .. هو لخير الإنسان وليس شراً له .

إن هذه الأحكام جاءت من الله ـ سبحانة تعالى ـ وهو أعلم بنا من أنفسنا فإذا كانت تقيد حركتنا فهى تعطينا الخير ، وتذهب عنا السوء ـ فلا يوجد دين بلا منهج .. إلا أن يحاول الإنسان أن يرضى غريزة التدين فيه وفى نفس الوقت يفعل ما يشاء ، فيعبد الأصنام أو الشمس أو غير ذلك مما لا يقيده بمنهج فى الحياة ، فيخلص نفسه من تعاليم الله ، ليفعل ما يشاء .. وفى هذه الحالة يكون قد كفر والعياذ بالله .. لأنه لا يريد منهجا سماوياً يقيد حركته .

من تكشف مفاتنها لتجذب إنساناً عليها ألا تعترض على قيام غيرها بكشف مفاتنها لتجذب زوجها أو إبنها

والمرأة التى تتضرر من الحجاب بزعم أنه يقيد من حريتها بستر ما أمر الله من مفاتنها عليها ألا تعترض على منح هذه الحرية لغيرها فإن أباحت لنفسها أن تتزين وتكشف مفاتنها لتجذب إنساناً وتفتنه .. فعليها ألا تعترض على قيام غيرها بكشف مفاتنها لتجذب زوج هذه المرأة أو إبنها .

إن الهدف هو صيانة المجتمع كله من الفتنة وإبقاء للإستقرار والأمن بالنسبة للمرأة حتى لا يخرج زوجها من بيته وهى لا تعلم هل ستفتنه إمرأة أخرى فيتزوجها أم أنه سيعود إلى بيته ؟

إن الله سبحانه وتعالى قد وضع من القواعد والضوابط ما يمنع الفتنة للمرأة والرجل حفاظاً على الإستقرار للأسرة وأمنها وأمانها .. وحرم أى شئ يمكن أن تكون فيه فتنة من إمرأة لرجل غريب عنها .. ولذلك حرم إبداء الزينة إلا لمحارم المراة .

بل إن الله سبحانه وتعالى حرم على النساء أن يضربن بأرجلهن كنوع من التحايل لإظهار الزينة التى أخفتها الثياب وذلك بتعمد الإتيان بحركات تظهر مفاتنها .. قال الحق جل جلاله :

{ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا آية المؤمنون لعلكم تفلحون } .

الحجاب لا يدع الزوج ينظر إلى غير زوجته ولا يقارنها بغيرها

كل هذا قد يفهمه البعض على أنه تقييد لحرية المرأة ولكنه فى الحقيقة حماية لها .. لو أن الله سبحانه وتعالى لم يفرض الحجاب ، لكان على المرأة أن تطالب به ... لأنه أكبر تأمين لها ولحياتها . ذلك أن نضارة المرأة موقوتة ، وفترة جمالها لو حسبناها فلن تزيد عن خمسة عشر عاماً .. ثم بعد ذلك تبدأ فى الذبول .

هب أن إمرأة بدأت فى الذبول وزوجها ما زال محتفظاً بنضارته .. قادراً على الزواج وخرج إلى الشارع ووجد فتاة فى مقتبل العمر ، وفى أتم نضارتها وقد كشفت عن زينتها . ماذا سيحدث ؟!

إما أن فتن بهذه الفتاة ويترك زوجته ويتزوجها ، وإما أنه عندما يعود إلى المنزل يلحظ الفرق الكبير بين إمرأته وهذه الفتاة .. فيزهد فى زوجته .. ويبدأ فى الإنصراف عنها .

الحجاب لا يدع زوجك يقارن بينك و بين من هن أصغر منك

لكن لو حجبت النساء مفاتنهن عن الرجال لصارت كل منهن آمنة من فقدان زوجها ، ومن تغير نفسه من ناحيتها ، ولظلت محتفظة بحبه لها وإقباله عليها .. لماذا .. ؟

لأن الجمال نمو .. والنمو فى المخلوقات لا يدركه المتتبع له ..

الفلاح مثلاً لا يلحظ نمو زرعه ، فإذا غاب عنه فترة لاحظ هذا النمو .

الرجل مع زوجته كذلك .. فهو عندما يتزوجها وهى عروس تكون فى أبهى زينتها ونضارتها ، لكن لأنه يراها كل يوم ، فإنه لا يلحظ فيها أى تغيير .. وتكبر وتذهب نضارتها وجمالها من أمامه شيئاً فشيئاً دون أن يلاحظ هذا الذبول .. بل تظل فى عينيه هى نفس العروس الجميلة التى زفت إليه .. ولكن إذا رأى إمرأة غيرها أصغر منها ، ولا تزال فى قمة نضارتها .. بدأت المقارنة وأحس بالتغيير .. وأثر ذلك فى نفسه . ولذلك ونحن نرى أمهاتنا بعد أن كبرن وملأت وجوههن التجاعيد .. لا نشعر بهذا بل نجد فى أمهاتنا نضارة لا نشبع من النظر إليها .

فإذا كان سبحانه وتعالى قد حجب المرأة من أن تستلفت الأنظار إليها بالكشف عن زينتها .. فهو قد حجب غيرها ممن هن أصغر وأجمل وأكثر نضارة من أن يستلفتن أنظار زوجها فيعرض عنها .

والعجيب أن المرأة لا تلتفت إلى هذه الحكمة .. وهى أن الحجاب حماية لها .. ولزوجها ولبيتها .. بل تأخذ المسألة على أساس من الحرية الجوفاء .. ناسية أن هذا التقييد إنما شرع لحمايتها(١) .

الحجـــــــــاب

وضع الحجاب في البداية علامة للمرأة الحرة لكي لا يتعرض لها الرجال ظناً منهم بأنها أمَة (تشير إلى ذلك الآية: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يُعرَفن، فلا يؤذيْن، وكان الله غفوراً رحيماً (الأحزاب). انظر لسبب النزول ابن قيم الجوزية ، زاد المسير ، ، الصابوني، الآيات الأخرى التي يستشهد بها دلالة على أن الحجاب واجب من الواجبات .). أما في اللغة فيفيد الستر وكل ما حال بين شيئين أو كل شيء منع شيئاً (لسان العرب).

قالت أسماء ما أقبح هذا

يذكر المسلمون آيتين من القرآن دلالة على وجوب الحجاب. أما الآية الأكثر شيوعاً فهي: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخُمُرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن وآباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (النور ٤٢:١٣). ويُروى عن سبب نزول هذه الآية أن أسماء بنت مرشد كانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا فأنزل الله قل للمؤمنات (ابن كثير).

استطدم بالحائط (صُدم به) فشقّ أنفه

عن سبب نزول الآيةن يُروى أيضاً عن علي بن أبي طالب قوله: مرَّ رجل على عهد رسول الله (ص) في طريق من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة ونظرت إليهُ: فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجاباً به، فبيما الرجل يمشي

---

(١) كتاب المرأة فى القرآن الكريم . فضيلة الشيخ متولى الشعراوى .

إلى جانب حائط ينظر إليها إذ استقبله الحائط (صُدم به) فشقَّ أنفه. فقال: والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله (ص) فأعلمه أمري؟ فأتاه فقصَّ عليه قصته. فقال النبي (ص) هذا عقوبة ذنبك. وأنزل الله: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم (السيوطي، الدر المنثور، الصابوني).

من الألفاظ الهامة في هذه الآية (٤٢:١٣) العورة وهي سوأة الإنسان كناية، وأصلها العار، وذلك لما يلحق في ظهوره من العار أي المذمة، ولذلك سمى النساء عورة ومن ذلك العوراء الكلمة القبيحة (الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي).

قال محمد: لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولا ينظر الرجل إلى عورة الرجل وعن مولى عائشة، عن عائشة قالت: ما نظرت أو ما رأيت فرج رسول الله قط (مسلم، حيض ٧ ، الترمذي، أدب ٨٣ ابن ماجة، طهارة أحمد بن حنبل).

عورة الجنسين أربعة أصناف

يتحدث العلماء بالنسبة لعورة الجنسين عن أربعة أصناف:

١ - عورة الرجل مع الرجل.
٢ - عورة المرأة مع المرأة.
٣ - عورة الرجل مع المرأة.
٤ - عورة المرأة مع الرجل.

عورة الرجل مع الرجل

فهي من (السرة إلى الركبة) فلا يحل للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل فيما بين السرة والركبة وما عدا ذلك فيجوز له النظر إليه. وقد قال (ص): ولا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة (نفس الشواهد في الهامش ٧). وأجمع جمهور الفقهاء على أن عورة الرجل ما بين السرة إلى الركبة كما صح في الأحاديث الكثيرة، وقال مالك رحمه الله: الفخذ ليس بعورة .

ومما يدل لقول الجمهور ما روي عن (جرهد الأسلمي) وهو من أصحاب الصفة أنه قال: جلس رسول الله (ص) عندنا وفخذي منكشفة فقال: أما علمت أن الفخذ عورة (أبو داود، حمام ، أحمد بن حنبل)

وفي رواية: لا تبرز فخذك ، ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت (أبو داود، جنائز ، حمام ، ابن ماجة ، أحمد بن حنبل. هناك روايات أخرى في أن الفخذ عورة: الترمذي، أدب ، الدارمي ، استئذان ٢٢) .

عورة المرأة مع المرأة

فهي كعورة الرجل مع الرجل أي من (السرة إلى الركبة) ويجوز النظر إلى ما سوى ذلك، ما عدا المرأة الذمية أو الكافرة فلها حكم خاص .

عورة الرجل بالنسبة للمرأة

ففيه تفصيل، فإن كان من (المحارم) كـ(الأب والأخ والعم والخال) فعورته من السرة إلى الركبة .

وإن كان (أجنبياً) فكذلك عورته من السرة إلى الركبة، وقيل جميع بدن الرجل عورة، فلا يجوز أن تنظر إليه المرأة. وكما يحرم نظره إليها يحرم نظرها إليه، والأول أصح.

أما إذا كان (زوجاً) فليس هناك عورة مطلقاً لقوله تعالى (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين).

عورة المرأة بالنسبة للرجل

فجميع بدنها عورة على الصحيح، وهو مذهب (الشافعية والحنابلة) وقد نص الإمام أحمد رحمه الله على ذلك فقال: وكل شيء من المرأة عورة حتى الظفر .(يذكره الصابوني نقلاً عن تفسير ابن الجوزي (زاد المعاد) .

وذهب (مالك وأبو حنيفة) إلى أن بدن المرأة كله عورة ما عدا (الوجه والكفين) ولكلٍ أدلة سنوضحها بإيجاز.

بينما يقول الأحناف والمالكية بأن الوجه والكفين ليسا بعورة (الصابوني) يستدل الشافعية والحنابلة على كونها عورة بالكتاب والسنة والمعمول (الصابوني) والخلاف يدور هذه المرة حول كلمة الزينة التي تفسر بين المذاهب الفقهية على وجوه مختلفة.

فهم يقسمون الزينة إلى خَلقية ومكتسبة ، والوجه من الزينة الخلقية بل هو أصل الجمال ومصدر الفتنة والإغراء. وأما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها كالثياب والحلي والخضاب. (الصابوني) وهم يستدلون على صحة ذلك من القرآن والحديث، ويسمونه بالمعقول وهو أن المرأة لا يجوز النظر إليها خشية الفتنة، والفتنة في الوجه تكون أعظم من الفتنة بالقدم والشعر والساق. فإذا كانت حرمة النظر إلى الشعر والساق بالإتفاق، فحرمة النظر إلى الوجه تكون من باب أولى، باعتبار أنه أصل الجمال ومصدر الفتنة ومكمن الخطر (الصابوني).

كيف يكون الحجاب في نظر العلماء والفقهاء ؟

والآن كيف يجب أن يكون هذا الحجاب في نظر العلماء والفقهاء؟ يذكر الطبري في تفسيره رواية عن ابن سيرين أنه قال: سألت عبيدة السلماني عن قوله تعالى (يـدنين عليهن من جلابيبهن) فرفع ملحفة كانت عليه فتقنَّع بها وغطى رأسه كله حتـى بلـغ الحاجبين وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر. ورُوي مثل ذلك عن ابن عباس (الطبري، جامع البيان).

شروط الحجاب الشرعي

أما الشـروط التي يجب توفرها لحصول الحجاب الشرعي فقد سردها الصـابوني كما يلـي:

أولاً: أن يكون الحجاب ساتراً لجميع البدن

لقوله تعالى (يدنين عليهن من جلابيبهن). ومعنى الجلباب الثوب السابغ الذي يستر جميع البدن، ومعنى الإدناء الإرضاء والسدل فيكون الحجاب الشرعي ما ستر جميـع البدن.

و يتسأل فضيله الشيخ الشعراوي عن ذلك فيقول :

ما هو القدر الذى يجب أن يستره الثوب ؟

ثم يجيب :

أ - يقول الله تعالى :

" وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبـائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو بناتهن أو ابناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى إخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير اولى الإربة من الرجال أو الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون "

فالخمار هو غطاء الرأس.

والجيب : هو النحر مع مقدم الصدر..

والمطلوب : أن يضرب غطاء الرأس على النحر والصدر. كيف؟

إنكن أكثر دراية منا فى هذا الشأن.

وهذه الآية الكريمة تعطى حدود الصورة من الأعلى ولكن اين حدودها من أسفل؟

الجواب فى الآية ذاتها : " ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن

فزينة الأرجل : (الخلاخيل) ولما كن يخفينها بأثواب سابغة كما تدل عليه الآية الكريمة فإنهن كن يضربن بأرجلهن حتى تعلن ترجمة هذه الزينة عن نفسها من وراء الحجاب.

إذن فلابد بموجب هذه الآية من ستر الساقين حتى مكان الزينة منها.. أى العقبين.

لا يصلح أن يرى منها إلاّ الوجه والكف

ب – قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما دخلت عليه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما فى ثياب رقاق : " يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا " وأشار إلى وجهه وكفيه.

وتحكى السيدة عائشة رضى الله عنها فتقول : " كن نساء المؤمنين يشهدان مع النبى (صلى الله عليه وسلم) صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفن من الغلس ".

وهذه الحكاية للسيدة عائشة، والحكاية الأخرى التى أثنت فيها على نساء الأنصار لحسن امتثالهن لأمر ربهن تدلان على كيفية ترجمة هذه التوجيهات من الله ورسوله إلى سلوك وواقع فى صفوف المؤمنين.

من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة

ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى حديث : من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

فردت أم سلمة قائلة : فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ فيقول : يرخينه شبراً.

قالت : إذن تنكشف أقدامهن. فيقول : " فيرخينه ذراعاً لا يزدن عليه ".

فمعنى الكلام : أن الواحدة من المؤمنات كانت تجر ثوبها وراءها على الأرض، فحذر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أن تفعل إحداهن هذا للاختيال والدلال، ويرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن ترخى الواحدة شبرا من نصف الساق أو الكعب حسب اختلاف أقوال الشراح.

أم سلمة تخشى من ظهور القدم

ولكن أم سلمة رضى الله عنها تخشى من ظهور القدم.

والرسول (صلى الله عليه وسلم) أيضاً يأبى أن تظهر القدم فيزيد القدر الذى ترخيه المرأة من ثوبها إلى ذراع دون زيادة على ذلك لأن فى ذلك ما يكفى لتغطية قدم الواحدة منهن مهما بلغت من الطول.

وترك المجال مفتوحاً للإختيار من الشبر إلى الذراع حسبما يقتضيه طول الواحدة. فهو لا يحب أن يُجر الثوب اختيالاً.. ولا يجب كذلك أن يظهر القدم.. وعلى المسلمة أن تتخير السبيل الذى ينأى بها عن الوقوع فى أحد هذين المحظورين.

هل سمعت النساء للتعليمات ؟ أم وضعت النساء أصابعهن فى آذانهن وإنقلبن على أعقايهن

ثم ننظر.. هل ظهرت آثار هذه التعليمات فى المجتمع ؟ أم وضعت النساء أصابعهن فى آذانهن وإنقلبن على أعقايهن؟ نعرف الإجابة من القصة الأتية :

جاءت أم ولد لابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف إلى أم سلمة رضى الله عنهما وسألتها : إنى امرأة أطيل ذيلى ، وأمشى فى المكان القذر.

فردت عليها أم سلمة رضى الله عنها قائلة : قال رسول الله (صلعم) : " يطهره ما بعده ".

فأم سلمة سمعت الإجابة آنفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. إذن فلابد أنه سئل عن حل لهذه المسائلة من نساء أطلقن ذيولهن ، وصادفهن القذر فى الشوارع ، وهذه الأخرى تلتمس حلاً عند أم سلمة .

إذن فلا مفر من التسليم بأنها كانت ظاهرة ماضية فى هذا المجتمع الطاهر .

ومن هذا العرض السريع يبدو جليا أن المسلمة لا يحل لها أن تظهر سوى الوجه والكفين من أعلى ، ولا تظهر حتى القدمين من أسفل .

ثانياً : وهل ستر هذا القدر المشار إليه بأى ثوب يكفى أم أن هناك شروطا أخرى يجب أن تتوافر فى الثوب قبل أن يسمى ثوباً إسلامياً ؟

ثانياً: أن يكون كثيفاً غير رقيق

لأن الغرض من الحجاب الستر، فإذا لم يكن ساترا لا يسمى حجابا، لانه لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر. وفي حديث عائشة أن (أسماء بنت أبي بكر) دخلت على رسول الله ص وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ص (أبو داود، لباس ، الترمذي، فتن).

و يضيف فضيله الشيخ الشعراوي فيقول أن يكون صفيقا لا رقيقا : وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه : (سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العنوهن فإنهن ملعونات) . وفى حديث آخر زاد : (لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا) .

ولقصة حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر لما رأتها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بخمار رقيق ، فشقته وقالت : أما تعلمين ما أنزل الله عز وجل فى سورة النور ؟ ثم دعت بخمار فكستها .

ثالثاً: ألا يكون زينة في نفسه، أو مبهرجاً

ألا يكون زينة في نفسه، أو مبهرجا ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار لقوله تعالى: ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها. ومعنى ما ظهر منها أي بدون قصد ولا تعمد، فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه، ولا يسمى حجاباً لأن الحجاب هو ما يمنع ظهور الزينة للأجانب.

رابعاً: أن يكون فضفاضاً غير ضيق

أن يكون فضفاضاً غير ضيق ، لا يشف عن البدن ، ولا يجسم العورة، ولا يظهر أماكن الفتنة في الجسم ، وفي صحيح مسلم عن رسول الله ص أنه قال: صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت (الإبل)المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وفي رواية أخرى: وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام (مسلم، لباس ، جنة، أحمد بن حنبل).

ومعنى قوله عليه السلام كاسيات عاريات أي كاسيات في الصورة عاريات في الحقيقة، لأنهن يلبسن ملابس لا تستر جسداً، ولا تُخفي عورة، والغرض من اللباس الستر، فإذا لم يستر اللباس كان صاحبه عارياً.

ومعنى قوله مميلات مائلات أي مميلات لقلوب الرجال مائلات في مشيتهن، يتبخترن بقصد الفتنة والإغراء، ومعنى قوله كأسنمة البخت أي يصففن شعورهن فوق رؤوسهن، حتى تصبح مثل سنام الجمل، وهذا من معجزاته عليه السلام.

ألا يكون الثوب مجسداً لهيئة الجسم

يقول الشيخ الشعراوي :ألا يكون الثوب مجسداً لهيئة الجسم . وذلك لقول أسامة بن زيد رضى الله عنه : كسانى رسول الله صلى الله عليه قبطية كثيفة أهداها لـه دحية الكلبى ، فكسوتها إمرأتى ، فقال : مالك لم تلبس القبطية ؟ فقلت : كسوتها إمرأتى . فقال صلى الله عليه : (مرها فلتجعل تحتها غلالة فإنى أخاف أن تصف حجم عظامها) .

فالرسول صلى الله عليه يخشى على نساء أمته أن يلبسن ثياباً تصف الحجم .. وهذا يختلف عن الشرط السابق الذى يخشى فيه ظهور اللون لرقو الثوب .

خامساً: ألا يكون الثوب معطراً فيه إثارة للرجال

ألا يكون الثوب معطراً فيه إثارة للرجال لقوله عليه الصلاة والسلام: كـل عـين نظرت زانية، وإن المرأة إذا استعطرت فمرَّت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية (أبو داود ، ترجل ٧ ، الترمذي ، أدب ٥٣ ، النسائي ، زنا ٥٣ ، الدارمي، اسـتئذان ٨١، أحمد بن حنبل).

وفي رواية أخرى إن المرأة إذا استعطرت فمرَّت على القوم ليجدوا ريحهـا فهـي زانيـــة.

وعن موسى بن يسار قال: مرَّت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف، فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيَّبتِ؟ قالت: نعم، قـال: فـارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يقبل الله من امرأة صلاة، خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع وتغتسل (ابن ماجة، فتن).

سادساً: ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال

ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال، أو مما يلبسه الرجال لحديث أبي هريرة لعـن النبي (ص) الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل. (البخاري، لبـاس ، حدود ٣٣ ، الترمذي، أدب ، الدارمي ، استئذان ، أحمد بن حنبل)

وفي الحديث لعن الله المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء أي المتشبهات بالرجال في أزيائهن وأشكالهن كبعض نساء هذا الزمان، نسأله تعالى السلامة والحفظ (الصابوني).

شـــروط أخـــرى

و يضيف الشيخ الشعراوي فيقول : هناك شروط أخرى منها :

ــ ألا يشبه زى أهل الكفر . وذلك لأن المسلمين مطالبون فى كثير من آيات القرآن ألا يتبعوا أهواء الكفار بعدما جاءهم من البينات من ربهم .

وكان رسول الله صلى الله عليه يتحرى مخالفتهم فى كل شئ حتى فـى الهيئـات البسيطة مثل فرق الشعر أو إسداله .

وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص : رأى رسول الله صـلى الله عليـه ثـوبين معصفرين فقال : (إن هذه ثياب الكفار فلا تلبسها) .

ــ ألا يكون ثوب شهرة . لقول النبى صلى الله عليه : (من لبس ثوب شهرة فـى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ، ثم ألهب فيه ناراً) .

فإنى لا أعرف من تزعم الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وبعد كل هذا تصر على ما هى فيه مستكبرة ، وكأنها لم تسمع شيئا . (ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى

عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم).(كتاب المــرأة المســلمة لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى).

الحجاب يصد الرجل من الوقوع في الفتنة

المفكر الإسلامي مقتنع بأن الحجاب لا مناص منه إذا أريد تأسيس مجتمع نظيــف والحفاظ عليه (في ظلال القرآن)، لأن الحجاب يصد الرجل من الوقوع في الفتنـــة . وهذا المنطق مبني على تصور المرأة مصدراً للفتنة والشــر، بينمــا يلعــب الرجــل المسكين دور الضحية. فإذاً يجب صد هذا الشر الذي ينشأ حالما يلتقي الرجــل مــع المرأة. فيقول مصطفى غلياتي أن الحجاب ضروري إذ لا تجد بــين مائــة شــخص عشرين قد تخاطبهم كبني البشر (مصطفى غليــاني، نظــرات فــي كتــاب الســفور والحجاب). إن المرأة فرض عليها الحجاب صداً لوجود الفتنة، وحفاظاً على ســلامة المجتمع، فهي المسؤولة عن الأزمات التي تحدث في العائلات. يقول الصــابوني: ولا يشك عاقل أن تهتك النساء وخلاعتهن هو الذي أحدث ما يسمونه أزمــة الــزواج لأن كثيراً من الشباب أحجموا عن الزواج لأنهم أصبحوا يجدون الطريق معبَّــداً لإشــباع غرائزهم من غير تعب ولا نصب ، فهم في غنى عن الزواج، وهذا بلا شك يعــرض البلاد إلى الخراب والدمار، وينذر بكارثة لا تبقي ولا تذر، وليس انتشــار الخيانــات الزوجية وخراب البيوت إلا أثراً من آثار هذا التبرج الذميم (الصابوني).

يقول الصابوني : ومن خلال هذه الآيات الكريمة نلمح أن الإسلام إنما قصد مــن وراء فرض الحجاب أن يقطع طرق الشبهات ونزعات الشيطان أن تطــوف بقلــوب الرجال والنساء ، وفي ذلك يقول الله سبحانه ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وهدفه الأول إنما هو صون الشرف والمحافظة على العفة والكرامة ولا ننسى أن هناك كثيراً مــن ضعفاء القلوب ومرضى الضمائر يتربصون بالمرأة السوء ليهتكوا عنها ستر الفضيلة والعفاف .

تبعية المرأة لزوجها في العبادات

يؤكد الكتّاب المسلمون في العصر الحديث، الذي شاهد وما يزال يشــاهد أعنــف المعارك حول قضية المرأة في العالم الإسلامي على مساواة الجنسين من جهة التكاليف الدينية، فيقولون: بما أن القرآن كلف الرجل والمرأة بالتكاليف نفسها، وسوّى بينهما في الوعد والوعيد، فقد اعترف بذلك بإنسانيتها وأولاها المسؤولية. ويدل على هذه المساواة أن إيمان النساء كايمان الرجال، ولها أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر. فالإسلام لم يقرر فقط أهليتها للإيمان والعبادة، بل دخولها الجنــة إن أحســنت، ومعاقبتهــا إن أساءت كالرجل سواء بسواء . فقد صار اشتراك المرأة مع الرجل في الإيمان والعبادة من الحجج المفضلة والأكثر شيوعاً في هذا القرن. على أن الإسلام جاء بنــوع مــن المساواة في هذا الميدان على أقل التقدير. ولكن يري البعض الآخر ان الذي يســمونه

في هذا السياق تارة بمساواة الجنسين في التكاليف، والمسؤولية الدينية تارة أخرى، لا يخلو مما يجعل المرء يشك في صحة هذه الأقوال .

فبغض النظر عن صلاة الجمعة التي لم تُفرض إلا على الرجال، وبطلان صلاتهن وصومهن الذي اعتبره محمد نقصان دينهن ، فإن المرأة تحتاج إلى إذن زوجها في أداء بعض العبادات وكيف لا ؟ فإن المطلوب منها بالدرجة الأولى هو إرضاؤه وتأدية حقه: " والذي نفس محمد بيده! لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها".

رُوي عن محمد أنه أذن بزيارة النساء المساجد ليلاً: " إئذنوا للنساء بالليل إلى المساجد".

وفي حديث آخر يجوز خروجهن إلى الجمعة إذا لم يترتب على ذلك فتنة. ولكن خروج المرأة من بيتها يتوقف بدوره على إذن زوجها ، مع العلم أنه ينبغي للرجل أن يأذن لها بذلك : وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها" . إذاً على المرأة أن تؤدي صلاتها في بيتها، الأمر الذي صار تقليداً عاماً في العالم الإسلامي حتى لكاد المرء يُظن أن المساجد للرجال فقط ، وإن لم يرد نص صريح في هذا الشأن .

أما بالنسبة للصوم (وهو أحد أركان الإسلام الخمسة) فلا بد لها من إذن زوجها: "عن أبي هريرة قال، قال رسول الله: لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوماً من غير شهر رمضان إلا بإذنه".

يقول العلماء بكراهية صومها تطوعاً بغير إذن زوجها، فإن صامت بغير إذنه فقد أثِمت. وقال النبوي في شرح مسلم إن سبب هذا التحريم أن للزوج حق الاستمتاع بها في كل وقت ، وحقه واجب على الفور فلا تفوته بالتطوع ولا بواجب على التراخي والتقييد. .

صفات الزوجة المثلى في الإسلام

١ – تكون المرأة أقل من الرجل سناً لئلا تكبر بسرعة فلا تلد، والغرض الصحيح من الزواج إنما هو التناسل الذي به تكثر الأمة ويعز جانبها. وتكون أقل منه في الجاه والعز والرفعة والمال، لأن الرجال قوامون على النساء (آل عمران ٣٤:٣) حافظون لهن.

ونقرأ الحديث المروي عن محمد: تُنكح النساء لأربع: لمالها ولحسَبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك (البخاري، نكاح ، أبو داود، النسائي ، ابن ماجة ، الدارمي، الموطأ ، أحمد بن حنبل) ولا تزوجوا النساء لحُسنهن. فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن. ولكن تزوجوهن على الدين. ولأمة خرساء سوداء، ذات دين أفضل (ابن ماجة، نكاح).

ومن آداب الزواج أن لا تكون المرأة طويلة مهزولة ولا قصيرة دميمة ولا سيئة الخلق، وأن لا تكون مسنة أو لها ولد من غيره، أو أمة مع قدرته على زواج الحرة (الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، بالنسبة لقصر القامة يروى أن محمدا سجد

عندما رأى رجلاً قصيراً (عيون الأخبار) وعن سالم قال: قال رسول الله: من رأى مبتلياً (بقصر) فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير من خلقه تفضيلاً عافاه الله من ذلك البلاء كائناً ما كان (عيون الأخبار) يبدو أن القصر لا يفيد عند محمد خيراً، إذ يوصف المسيح الدجال أيضاً رجلاً قصيراً (أبو داود، ملاحم). ويسكت الجزيري عما يجب على الرجل أن يتحلى به من صفات حتى يكون زوجاً مثالياً لامرأته!!!

فالمرأة الأقل سناً من الرجل هي سنة محمد، وتقول عائشة: تزوَّجني رسول الله وأنا بنت سبع سنين. قال سليمان: أو ستّ ودخل بي وأنا بنت تسع (أبو داود، نكاح) وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة (ابن ماجة، نكاح). وقد صار زواج محمد بعائشة للفقهاء مشكلة عويصة، فهم لم يتفقوا على السن الذي يؤهل البنت للزواج:

في وقت الدخول بالصغيرة، فقيل لا يدخل بها ما لم تبلغ، وقيل يدخل بها إذا بلغت تسع سنين كذا في البحر الرائق. وأكثر المشايخ على أنه لا عبرة للسن في هذا الباب، وإنما العبرة للطاقة إن كانت ضخمة تطيق الرجال ولا يُخاف عليها المرض من ذلك كان للزوج أن يدخل بها، وإن لم تبلغ تسع سنين. وإن كانت نحيفة مهزولة لا تطيق الجماع ويُخاف عليها المرض لا يحل للزوج أن يدخل بها وإن كبر سنها وهو الصحيح (الفتاوى الهندية) وفي كتاب الفروع: وأحسن ما تكون المرأة بنت أربع عشرة سنة إلى العشرين، ويتم نُشُو (نمو) المرأة إلى الثلاثين ثم تقف إلى الأربعين، ثم تنزل (المرداوي، شمس الدين المقدسي، كتاب الفروع).

٢ – بجانب صغر السن يفضل أن تكون بكراً. يقول محمد: عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير (ابن ماجة، نكاح). وعندما أخبره جابر بن عبد الله بأنه تزوج ثيباً قال له: فهلا بكراً تلاعبها (ابن ماجة، نكاح) وتتضح عدم مساواة البكر والثيب أيضاً في معاملة محمد أزواجه:

عن أنس بن مالك قال: إذا تزوج (محمد) البكر على الثيب أقام عندها سبعاً. وإذا تزوج ثيباً أقام عندها ثلاثاً ولو قلت إنه رفعه لصدقت ولكنه قال: السنة كذلك (أبو داود، نكاح). ويجوز نكاح الثيب إذا كانت هناك حاجة تدعوه إلى ذلك ، كان يكون عنده أطفال تحتاج إلى تربيتها ممن تعوَّد التربية، أو يكون كبير السن فتنصرف عنه البكر فلا تدوم بينهما الإلفة (الجزيري).

٣ – لا يبحث الفقهاء فيما يجب أن تتصف به المرأة المثالية كزوجة فحسب، بل تطرقوا أيضاً إلى ما لا يجوز من صفات مذمومة وعيوب عندها. فبينما عيوب الرجل التي يمكن أن تمنع أو تلغي زواجه تنحصر في ثلاث: الجنون والخصاء والعنت، تعد عيوب المرأة وتعلل بالتفصيل. وعيوب المرأة سبعة: الجنون والجذام والبرص والقرن والإفضاء والعرج والعمى.

أما الجنون: فهو فساد العقل، فلا يثبت الخيار مع السهو السريع زواله، ولا مع الإغماء العارض مع غلبة المرة، وإنما يثبت الخيار فيه مع استقراره.

أما الجذام: فهو الذي يظهر معه يبس الأعضاء وتناثر اللحم، ولا تجزي قوة الاحتراق، ولا تعجر الوجه، ولا استدارة العين (قال محمد: فرّ من المجذوم كما تفر من الأسد (البخاري، طب ، أحمد بن حنبل) وفي حديث آخر: رلا تديموا النظر إلى المجذومين (ابن ماجة، طب ، أحمد بن حنبل) ورد أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أمر بإحراق المجذومين الذين مر بهم في طريق مكة فقال: لو كان الله يريد بهؤلاء خيراً ما ابتلاهم بهذا البلاء . وعن قتادة: إن مجذوماً دخل على عبد الله بن الحارث فقال: أخرجوه. قالوا: ولم؟ قال: بلغني أنه ملعون (عيون الأخبار).

وأما البرص: فهو البياض الذي يظهر على صفحة البدن لغلبة البلغم ولا يقضي بالتسلط مع الاشتباه.

وأما القرن: فقد قيل: هو العَفَل، وقيل: هو عَظْم ينبت في الرحم يمنع الوطء، والأول أشبه. فإن لم يمنع الوطء، قيل: لا يفسخ به لإمكان الاستمتاع، ولو قيل بالفسخ تمسكاً بظاهر النقل أمكن.

وأما الإفضاء: فهو تصيير المسلكين واحداً.

وأما العرج: ففيه تردد، أظهره دخوله في أسباب الفسخ، إذا بلغ الإقعاد.

وقيل: الرتق أحد العيوب، المسلطة على الفسخ، وربما كان صواباً إن منع من الوطء أصلاً، لفوات الاستمتاع، إذا لم يمكن إزالته، أو أمكن وامتنعت من علاجه.

ولا ترد المرأة بعيب غير هذه السبعة (المحقق الحلي، شرائع الإسلام، النجف).

٤ - الجمال صفة لا يجوز إهمالها في البحث عن الزوجة. يخبرنا حديث ضعيف بأن النظر إلى امرأة جميلة يشحذ ويقوي العين (كنز العمال). وكما ذكرنا آنفاً فإن المرء يتزوج المرأة لثلاث، إما لجمالها أو لحسبها (الحسب لا يفيد فقط نسباً أصيلاً غير مطعون فيه أو شرفاً، بل يعني أيضاً الغنى والثروة (الموطأ، جهاد) ونسب إلى محمد قوله: الحسب المال والكرم والتقوى (عيون الأخبار) أو لدينها (البخاري، نكاح ، مسلم، رضاع ، أبو داود، ابن ماجة، الدارمي، أحمد بن حنبل).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خطب رسول الله (ص) امرأة من كلب، فبعثني أنظر إليها، فقال لي: كيف رأيت ؟ فقلت: ما رأيت طائلاً، فقال: لقد رأيت خالاً بخدها اقشعر كل شعرة منك على حدة فقالت: ما دونك سرّ (عيون الأخبار).

٥ - ومن المرغوب فيه أن يكون مهرها يسيراً، قال محمد: إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة(احمد بن حنبل ، عيون الأخبار).

٦ - غير أن كونها ولوداً هو أهم ما يجب توفره عند المرأة. عن معقل بن يسار، قال: جاء رجل إلى النبي فقال: إني أحببت امرأة ذات حسب وجمال وأنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاه. ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم (أبو داود، نكاح).

يقول الجزيري: يحسن أن تكون ولوداً لأن العقيم لا تؤدي وظيفة التناسل المطلوب للمجتمع الإنساني (الجزيري).

المرأة في الإسلام يتنازعها فريقان

الأول : يري أن الإسلام وهبها كل مجد وكرامة..

الثاني : يري أنها لا تحظى بمكانة ترجوها الأوروبية لنفسها. فمع أن محمداً أتى بإصلاحات عديدة لوضع المرأة العربية في شبه الجزيرة، ومع أن الإسلام لم ينكر أبداً أن الأنثى ذات نفس وعقل ، فإنها ظلت في القرآن والحديث والمصادر الفقهية ، وحتى في أعمال المعاصرين في العالم الإسلامي ، نصف إنسان. والحكمة من وجودها هي أن تخدم زوجها وتطيع أوامره بلا قيد وشرط ، وأن تلد له صبياناً وتخبئ نفسها عن العيون ، وكأن وجودها عيب في حد ذاته . وبما أن التعليم الإسلامي يعتبر القرآن كتاباً أملاه الله على محمد، وأحكامه أفضل ما يمكن المرء تصوره، وشاملة لكل زمان ومكان، فإنه ليس من السهل تفسير القرآن تفسيراً عقلانياً كما حاول ذلك محمد عبده . ومن شبه المستحيل توفيقه وإدماجه مع متطلبات العصر، سيما أن جزءاً كبيراً من الآيات صريحة في التعبير، لا تعطي العالِم المنفتح أي تأويل . فإذاً ليس للمسلم المؤمن والذي يشعر نفسه مكلفاً بتبليغ كتابه الكريم في المجتمع الحديث من خيار سوى تبرير وتعليل كل الأحكام والأقوال في القرآن، إذا كانت تلك تتعارض مع الواقع المعاش . كذلك الأمر بالنسبة للآيات القرآنية التي تحط من شأن المرأة ، مقارناً مع الفهم الحديث ، مما يضطر العالِم أو الكاتب المسلم في يومنا إلى التحري عن حكمة مخفية تحت هذه الأقوال وأعظمها: رلا يريد الله بالمرأة إلا خيراً. فإن تعلق الأمر بأن شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ، فلأن الله عرف أن ليس لها خبرة في ميادين الحياة ، فأراد أن يجنبها التجارب والأخطار . وإن كان الموضوع ضرب الناشزة فهذا ليس بحلال مباشر ، وإلا لما ذكره الله في القرآن كالوسيلة الأخيرة لإصلاحها.

إن مؤلفات الأصوليين والمسلمين المنفتحين على السواء في العصر الحاضر مليئة بمثل هذه الاراء المختلفة (شلتوت ص ٢١٨).

حاولنا ونرجو أن نكون وفقنا

حاولنا في الأبواب السابقة تبيان مكانة المرأة في الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام . معتمدين علي ما جاء في كتب كل ديانة دون تحيز ، و دون دخول في تفاصيل كثيرة تخدش حياء القارئ . لقد حاولنا أن نقدم ما لها من حقوق وواجبات تجاه زوجها وفي المجتمع ، وما عليها من واجبات ، في ضوء الكتاب المقدس ومصادر الإسلام أي القرآن والحديث وأعمال الفقهاء وسقنا من حين إلى آخر آراء الكتاب والعلماء المسلمين المعاصرين، ليكون القارئ على معرفة بحججهم وأدلتهم وتفسيرهم الحديث لهذا الموضوع أو ذاك. و نرجو ان نكون وفقنا .

في الختـــــام

في الختام نذكر القاريء الحبيب ببعض عينات لبعض تعاليم المسيحية:

المرأة في المسيحية:

ـــ النساء مساوون للرجال. (غلاطية ٣:٢٨).

ـــ الرجال مطالبون بأن يحبوا نساءهم. (أفسس ٥:٢٥ ـــ ٢٩).

ـــ النساء لهن نفس حقوق الرجال. (١ كورنثوس ١١:١١).

ـــ الكتاب المقدس صريح في إعلانه أن شريعة الزوجة الواحدة هـــي مخطـــط الله للزواج. (متي ١٩:٤ ـــ ٦).

ـــ الامتناع عن العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة مسموح بـــه لفتـــرة محـــدودة بالاتفاق المشترك للزوجين ولغرض التفرغ للصلاة. (١ كورنثوس ٧:٥).

ـــ الطلاق غير مصرح به إلا لعلة الزنا. " كل من طلق إمرأته لغيـــر علـــة الزنـــا وتزوج من إمرأة أخرى فإنه يزني. (متي ١٩:٩ ، ٥ : ٣٢).

وفي الختام نقـــول

قال الإنجيل المقدس :

ليس عبد ولا حر ولا ذكر ولا أنثى ، لأنكم جميعا واحد في المسيح يســـوع (غـــل ٣:٢٨-٢٩) .

قال القرآن الكريم :

" الرجال قوامون على النساء " (نساء ٣٤) .

+++++

قال الإنجيل المقدس :

من البدء خلقهما ذكر وأنثى فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان (متى ١٩:٣-١٠) .

قال القرآن الكريم :

" فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع " (النساء ٣) .

+++++

قال الإنجيل المقدس :

" أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنه مع الأناء النسائي كالأضعف معطـــين اياهن كرامه كالوارثات ايضا معكم نعمة الحياة (١بط ٣:٨) . " أيها الرجـــال أحبـــوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة ، وأسلم نفسه لأجلها كذلك يجب على الرجـــال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحب امرأته يحب نفسه " (افسس ٥:٢٢-٢٣) .

قال القرآن الكريم :

واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن (النساء ٣٤) .

+++++

قال الإنجيل المقدس :

" وعلى إثر ذلك كان يسير في كل مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر (تلميذا) وبعض النساء " (لو ٨ :١-٣ ، متى ٢٧:٥٥- ٥٦)

وأخيرا ، فلقد حاولنا فيما سبق ومن خلال صفحاتنا هذه ، وضع النقاط على الحروف رادين الحوادث والأحكام إلى أصولها الشرعية المعتمدة .

قال القرآن الكريم :

" وقرن في بيوتكن " (احزاب ٣٣) .

+++++

قال بوذا : "أنني أشكر الله لأنه لم يخلقني حشرة ولا إمرأة ولا في الجحيم"! ومن عجب أن ملايين من البشر لا يزالوا يعتنقون البوذية حتي الآن وفي دول متحضرة كاليابان بما في ذلك نساء مثقفات ساوي بينهن وبين الحشرات

و في اليهوديه وجدنا المرأة تمتلك مواهب القيادة ومواهب التأثير و وجدنا إمرأة تقود نبياً وقائداً لجيش وملكاً و قاضيه و ملكه . و قد ساوت الشريعة بين الأب والأم فى حصولها على احترام الأبناء كما ساوت بين المرأة والرجل فى الميراث وأعطت الشريعة المرأة الصالحة تقديراً كبيراً كما امتدحت الشريعة المرأة العاملة . واشتركت المراة فى اعمال كثيره و هناك أسفار كاملة بأسماء سيدات

و في اليهوديه وجدنا المرأة تمتلك مواهب القيادة ومواهب التأثير و وجدنا إمرأة تقود نبياً وقائداً لجيش وملكاً و قاضيه و ملكه . و قد ساوت الشريعة بين الأب والأم فى حصولها على احترام الأبناء كما ساوت بين المرأة والرجل فى الميراث وأعطت الشريعة المرأة الصالحة تقديراً كبيراً كما امتدحت الشريعة المرأة العاملة . و اشتركت المراة فى اعمال كثيره و هناك أسفار كاملة بأسماء سيدات

وفي الإسلام تساوي المرأة نصف الرجل فقط بالنسبة لنصيبها في الميراث وفي حق الشهادة أمام القضاء ، فللرجل مثل حظ الانثيين في الميراث، وشهادة إمرأتين تساوي شهادة رجل واحد. أما بالنسبة للزواج فمن حق الرجل أن يتزوج أربعة نساء في وقت واحد. وأما بالنسبة للطلاق فيحق للرجل وحده أن يطلق امرأته بارادته المنفردة وبكلمة واحدة منه

أما المسيحية ــ وهي سابقة للإسلام ــ فقد رفعت مقام المرأة وجعلتها مساوية للرجل في الكرامة والحقوق والميراث والشهادة أمام القضاء. الزواج في المسيحية سر مقدس، واحد ودائم، فلا تعدد زوجات ولا طلاق إلا لعلة الزنا. ويقول العهد الجديد: "ان الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب" (اكو ١١ :١١

البـاب السابـع

مواقف وتضحيات وصور رائعة فى حياة المرأة

المرأة هي أعظم عطية أعطاها الله للرجل ، هي سر سعادته وفرحه ومكملة وجوده . كثيراً ما نقرأ عنها أنها لغز وأنها غامضة وأنها نموذج للخديعة والشرور . والحقيقة أن المرأة في رأيي إنسانة كالرجل تماماً ، كلاهما يتأثران بالبيئة التي يعيشون فيها وبالظروف الإجتماعية المحيطة بهما . وبأسلوب التربية وبمدى ارتباط كل منهما بالرب . وبالتالي توجد نساء قديسات وأخريات شريرات . هناك نساء صادقات وأخريات كاذبات ، ...الخ .

و لكن المرأة عموماً تمتاز بالرقة واللطف والأنوثة والإبتسامة والمشاعر الرقيقة . إنها الجنس اللطيف الذي يجب أن نتعامل معه بكل ود ومحبة فنري صورة طيبة تجعل الحياة معها سعيدة ، ولكن إن لم نحسن معاملتها فهي تحتمل وتحتمل ولكن عندما يطفح الكيل فقد نرى منها وجهاً آخر لا نتمني أن نراه ونكون نحن الرجال السبب في ذلك .

الموت حرقاً مع الزوج

جاء في الجرائد اليومية ما يلي تحت عنوان " قصة وفاء يتحدث عنها العالم " . هذه القصة بطلتها زوجة إنجليزية وبها تمحو الفكرة السيئة التي سيطرت أخيراً على عقول بعض الأزواج عن زوجاتهم : أنهن لا يخترن أزواجهن إلا على أسس مادية بحتة .. والزوجة صاحبة قصة الوفاء ، سيدة في الخامسة والثلاثين من عمرها متزوجة من رجل متقدم قليلاً في السن أصيب بداء أقعده في سريره بلا حركة منذ عدة سنوات .

وقد شب حريق كبير في البيت الذي يعيشان فيه .. وأسرع كل من في البيت إلى الخارج لينقذ نفسه من الموت ، ولكن مشهد الحريق ، والخوف من الموت لم ينس الزوجة أن زوجها لن يتمكن من إنقاذ نفسه .. ولم يمنعها الموقف الحرج من التفكير في إنقاذ زوجها العاجز ، ودفعها وفاؤها إلى الجري إلى حجرة زوجها لتحاول حمله بين يدها وتبعده عن الحريق .. ولما فشلت فضلت أن تبقى إلى جواره لتحترق معه ، على أن تنقذ حياتها وتتركه يحترق وحده . وعند إطفاء الحريق ، عثر البوليس على جثة الزوجة إلى جواره .. ياله من ولاء حتى الموت .

ما هو تأثير الزوجة العاقلة

سُئل أحد مشاهير الكتاب : " ما هو تأثير الزوجة العاقلة ؟ " فأجاب : " لم أفهم جيدا ما هو تأثير الزوجة العاقلة حتى بليت بفقدها فقد كانت ملاكي الهادئ المنير ، وكانت

أستاذي الحكيم القدير ، وبخسارتها خسرت نصف حياتي ، ونصف أعمالي ، ونصف أخلاقي .. لقد ذهبت لكنها لم تمت لأنها وإن ماتت تتكلم بعد .. لأن سيرتها لا تزال تتكلم إليَّ وإلى الجميع .

أريد أن يكون إبنى عالماً

قصت الجرائد قصة تلك الزوجة التي مات زوجها منذ ٢٩ عاماً ولم يترك لها إلا نحو ١٠ جنيهات وطفلاً في أحشائها عمره ٧ أشهر وكانت آخر عبارة قالها لها قبيل موته : " أريد أن يكون أبني عالماً " فوعدته بتحقيق أمنيته . وعرض عليها أحد الأقرباء الأثرياء أن تجهض نفسها وتتزوج منه فأبت ذلك واشتغلت بائعة جوالة ثم غسالة لمدة ٢٠ سنة وتعيش على وجبة واحدة ، وربت الولد تربية عالية ، وأرسلته إلى المدارس الابتدائية ثم الثانوية ، ثم أدخلته الجامعة ، والآن مشكلتها أن الولد في السنة الثانية بكلية العلوم ، وتخشى أمه أن تعجزها الأمراض عن متابعة تعليمه إلى أن يصبح عالماً كما وعدت والده المحتضر ، وقد انهالت مطارق الأمراض لتحطمها من روماتزم وضغط الدم وأمراض أخرى سببها الإرهاق وسوء التغذية ومرارة الفقر ، على أنها لا تزال في ولاء نحو زوجها المتوفى حتى تبر له بوعدها أن يصير أبنهما عالماً .

تفضيل الموت مع الزوج على الحياة بدونه

لما غرقت الباخرة " تيتانك " في سنة ١٩١٢ ، وقد هلك من ركابها أربعمائة نفس ، حدث انهم لما أنزلوا قوارب النجاة ، أن نزلت مسز ستراوس إلى أحد القوارب وما كادت تضع قدمها على حافته ، حتى عادت إلى زوجها وهي تقول له " لقد عشنا معاً أعواماً طوالاً . فحيثما تذهب أذهب معك " .

لقد قالت راعوث الكنة الوفية لحماتها نعمى : " إنما الموت يفصل بيني وبينك " أما هذه الزوجة النبيلة الفاضلة فرأت أنه حتى الموت لا يجب أن يفصلها عن زوجها ، فضحت بحياتها ، حتى تلازمه حتى الموت .. يالها من زوجة شريفة ونبيلة .. تعتبر بحق من عداد من قال عنهن حكيم الأجيال " امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ " فلقد وجد زوج هذه المرأة هذه اللؤلؤة . طبعاً نحن لا نتفق معها في قتل نفسها ولكنها زوجة وفية لزوجها حتى الموت .

زوجة بين فكي التمساح من أجل زوجها

شهدت مدينة داروين الأسترالية قصة حقيقية لوفاء زوجي نادر الوجود ، فالزوجة لينا بنكوكي ٥٥ سنة ألقت بنفسها بين فكي تمساح لتفدي زوجها العليل ، وذلك عندما شهدت التمساح يقترب من مخيم للصيد كانا يقيمان فيه ، إلا أن زوجها إصابته

نوبة قلبية مفاجئة ، ولم تجد الزوجة الوفية سوى أن تلهي التمساح بنفسها لتترك زوجها المريض ، إلا أن ابنهما " بيتر " استطاع أن ينقذ أمه وأباه عندما أرتاع من منظر أمه التي أوشك التمساح أن يلتهمها ، فألهمه الله في لمح البصر أن يتذكر ما كان يسمعه من أبيه بأن أنجح سلاح للتغلب على التمساح هو فقأ عينيه !! فأسرع الأبن وصوب سهمه إلى عين التمساح الذي سرعان ما ألقى بالزوجة ، وفر هاربا إلى الماء ، ونقلت الأم إلى المستشفى في حالة شديدة الخطورة .. حقاً انه وفاء نادر !!

لا للتشفي والتشهير

علق أحدهم علي قول الأرملة المديونة التي استغاثت باليشع النبي ، قائلة له " أنت تعلم أن عبدك كان يخاف الرب " (٢مل٤: ١) إن هذا كان من نبل المرأة التي عاشت في ظل تقوى زوجها ، و الآن وقد مضى لمولاه تمتدحه وتشيد بتقواه رغم تركه لها تحت ثقل ديون مزعجة .

لكن ما أكثر أن تصمت الزوجة عن الإشادة بصفات زوجها الحسنة . لا بل البعض منهن ينكرن هذه الفضائل ، لحسدهن او شرهن ، لا بل البعض منهن يذعن في أوقات غضبهن عن الزوج أقبح السيرة عنه ، و ينسبن له ما ليس له من قبيل التشفي والتشهير .. وهذا فيه ما فيه من خسة النفس وعدم النبل .

إن الزوجة الفاضلة تشيد بفضائل زوجها وهو حي وبعد انتقاله كما تشهد لفضائله رغم افتقاره .

المشط لمن لا شعر له

يوجد حادث فريد في نوعه يحق ان يخلد في جبين التاريخ : زوجان رقيقا الحال اعتاد كل منهما أن يقدم لقرينة هدية ليلة عيد الميلاد . وبحثت الزوجة عن مبلغ من المال فلم تجد ، فذهبت لتبيع شعرها الذهبي الذي طالما تفاخرت به .. وباعت شعرها تاج رأسها و اشترت بثمنه سلسة من الذهب الخاص ، وقد اختارت هذا النوع من الهدايا لأن زوجها يرث عن أبيه ساعة ذهبية ثمينة ، بلا سلسة ، فكان يربطها في خيط أسود ينقص من جمالها .. فعزمت الزوجة الوفية أن تشتري سلسلة لساعة زوجها لتستكمل جمالها .

أما الزوج المخلص فقد أخذ يبحث عن هدية ثمينة تدخل البهجة علي قلب زوجته؟ و أخيراً اهتدى إلى مفاجأة سارة لها ، و جاءت ليلة عيد الميلاد فذهب و باع ساعته الذهبية واشترى لها مشطين من العاج الثمين المزخرف ، في داخل علبة من المخمل اللطيف ، وتقدم بها إلى زوجته ، و لما فتحت العلبة وجدت المشطين ، فسرت بمحبته سروراً عظيماً ولكن كانت هناك مفاجأة أعظم للاثنين .

دفعت الزوجة لزوجها سلسلة الذهب ، فنظر إليها الزوج معجباً ولكن تبسم وهو يقول : هذه سلسلة و لكن أين الساعة ؟

وقالت الزوجة بدورها : هذه الأمشاط .. فأين الشعر لقد باعت شعرها الذهبي لتشتري لساعته الثمينة سلسلة وباع هو ساعته ليشتري لشعرها الذهبي أمشاطاً ؟

وهكذا صارت هذا الحادثة مثلاً أعلى يضرب في الإخلاص النادر والوفاء المنقطع النظير .

تسترت علي فضائح زوجها

ذهب رجل ليسرق ، و بينما كان يحمل سرقته ، اعتراه خوف شديد من الفضيحة ، فسقط تخت حماه مغشيا عليه ، وأسلم أنفاسه الأخيرة ... أما زوجته التي طالما نصحته أن يقلع عن شره ، فلم ترغب في فضيحته ، لا قررت بأنه مات بالسكتة القلبية.

ولكن حدث في الأمر شك كبير و قرر الطبيب خطأ أن الرجل مات بسم الزرنيخ، فقبض عليها إذ حامت حولها الشبهات و كاد الأمر يؤدي غلي شنقها ، لولا أن راجع الطبيب خطأه وأعترف به فافرج عنها بعد أن نالها عناء شديد ... و هكذا احتملت هذه الزوجة الفاضلة كل هذا لستر فضائح رجلها الشرير .

تضحيات الزوجة حتى الموت

كتب صديق إلى صديقه بعد موت زوجته يقول : " لقد حرمت من أعز معين لي في الحياة ، فقد كانت مستعدة لأن تمضي معي في كل ظروفي ، ليس إلى الجوع والفقر فقط ، بل حتى إلى الموت أيضاً ، لقد كانت مساعدة أمينة لي في خدمتي ، ولم تضع أمامي أي معطل .

خذوا رأسي وأعطوني رغيف لزوجي

" أين زوجاتنا اليوم من زوجة أيوب البار ، رحمة ، تلك التي كان اسماً على مسمى . لقد تركه أصدقاؤه وتنكر له أحباؤه ، وعيره خلانه وهزءوا به واتهموه .. أما رحمة فقد حدثنا عنها التاريخ القديم بأنها كانت نعم الصديق الصدوق والخل الوفي .لقد كانت تحمله على رأسها ليستنشق النسيم العليل فكان يقول لها : " أنزليني من فوق رأسك يا رحمة فأنا ثقيل " .. فكانت تجيبه : " خفف عنك يا زوجي الحبيب فإنك أخف

من الريشة " فيقول : " إذا فاغلقي أنفك لأن رائحتي كريهة نتنة " فتجيب : " خفف عنك يا زوجي الحبيب ، فإن رائحتك أزكى عندي من البنفسج والريحان " .

وجاع أيوب فحملته زوجته على رأسها لتشتري له رغيف خبز ، فطلب تجار الخبز شعر رأسها الجميل المسترسل ثمناً لرغيف الخبز .. وكانت رحمة تعتز كثيراً بشعرها.. فوقعت المسكينة بين نارين : نار حبها لزوجها ، ونار حبها لشعرها ، فتغلبت العاطفة الأولى على الأخيرة .. فقالت:" ماذا تطلبون ثمناً لرغيف الخبز؟"فأجابو شعر رأسك يا امرأة! فقالت:"خذوا رأسي كلها وأعطوني رغيف خبز ليأكل زوجي أيوب ويعيش .

وهكذا قصت شعرها واشترت به الخبز لزوجها الجائع .. تلك قصة من قصص الوفاء الخالد . فهل ترى له ظلاً في هذه الأيام .

الولاء لذكريات الزوجة الفاضلة

نظم أحدهم هذه القصيدة المؤثرة يصف بها نبل زوجته المتوفاة ويرفض لذلك التزوج بغيرها .. وقال :

وعاملني دهري بفقدي لزوجتي فسود أيامي وقطع أوصالي – وحرضني صحبي لخطبة غيرها فتاة تواسيني ويشغفها حالي – فيمنعني عنها وفائي لزوجتي ويمنعني عن ذلك الشمم العالي   وكانت هنائي في الحياة وراحتي وأهلي وأعمامي الكرام وأخوالي   طهورة ذيل ذات صد وعفة وعلم وأدب ومجد وإجلال   تدير لي بيتي فبيتي مرتب على نسق لم اعهده عند أمثالي   فإن مت ألقاها وأحظى بقربها وإن طال بي عمري وساني ذكرها الغالي   لم يثنها عن خدمة المنزل الغنى ولا جدها السامي ولا عملها الوالي   وعاشت معي خمسة وعشرين حجة فوا أسفي الباقي .. على عهدنا الحالي .



صدر من هذه السلسلة

** استحالة تحريف الكتاب المقدس.

** فلنؤمن بالتجسد.

** كيف أشهد للمسيح.

** مسيحيتي ما أعظمك.

** المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام.

** أسماء السيد المسيح الحسنى ومدلولاتها.

تحت الإعداد

** استحالة تحريف الكتاب المقدس (الجزء الثاني).

** استحالة تحريف الكتاب المقدس (الجزء الثالث).



هذا الكتـاب

قبل تجسد المسيح احتقرت المرأة عند الرومان إلى درجة أن وضع على فمها أقفال حقيقية أسموها MUSELLERE وهي أشبه بالكمامة التي توضع الآن على أفواه الجمال والكلاب المسعورة.
قال يوذا: "إنني أشكر الله لأنه لم يخلقني حشرة أو في الجحيم ولم يخلقني إمرأة"! وفي اليهودية أعطت الشريعة للمرأة حقوقاً كثيرة فكانت تشارك في كل المجالات القومية والسياسية والإجتماعية.
ثم جاءت المسيحية وأعلنت المساواة بين الرجل والمرأة "الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب".
وفي الإسلام تساوي المرأة نصف الرجل فقط بالنسبة لنصيبها في الميراث وفي حق الشهادة أمام القضاء، فللرجل مثل حظ الأنثيين في الميراث، وشهادة إمرأتين تساوي شهادة رجل واحد. أما بالنسبة للزواج فمن حق الرجل أن يتزوج أربعة نساء في وقت واحد. ويحق للرجل وحده أن يطلق إمرأته بإرادته المنفردة، وبكلمة واحدة منه.
أما المسيحية – وهي سابقة للإسلام – فقد رفعت مقام المرأة وجعلتها مساوية للرجل في الكرامة والحقوق والميراث والشهادة أمام القضاء. فالزواج في المسيحية سر مقدس، واحد ودائم، فلا تعدد زوجات ولا طلاق إلا لعلة الزنا.
يرى بعض الكتاب المسلمون أن الإسلام منح المرأة حقوقها وكرامتها، فهي ليست مظلومة ولا مهضومة، بل هي عزيزة وموقرة، ويعلنون أن المرأة مظلومة عند العرب قبل الإسلام وفي غير الإسلام ومعدودة من سقط المتاع. ويهاجمون المسيحية في موضوع الزوجة الواحدة ويدافعون عن تعدد الزوجات ويقولون أن عدد النساء يفوق عدد الرجال وأن حل هذه المشكلة هو تعدد الزوجات و...الخ.
ومن ناحية أخرى هناك كتاب آخرون ينسبون جميع السلبيات في وضع المرأة المسلمة إلى الإسلام ويقولون أن الإسلام فرض على المرأة عزلة ما بعدها عزلة، بحجة حمايتها وصون عرضها ويتساءلون: ممن يريدون حماية المرأة المسلمة؟ أليس يحمونها من الذكر المسلم. أي من (أبناء مجتمعها) أليس غريباً أن لا يؤثر القرآن وتعاليمه الكريمة في سلوك ونفسية الذكر المسلم. لدرجة أنهم وضعوا كل هذه التحصينات حول المرأة المسلمة لحمايتها من الذكر المسلم؟؟!!
ويقولون أن الإسلام حرم المرأة من أبسط حقوقها وافرغها من قيمتها الإنسانية وحولها إلى كائن ناقص تابع، وإنها وجدت فقط من أجل التفريغ والتفريخ والخدمة. ويضيفون قائلين: أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع رجال في ظاهره وواقعه ويقولون أن شريعة الإسلام السمحة طالت بأحكامها أحلام المرأة الوردية. فكل إمرأة تحلم بإنشاء مملكتها الخاصة بها وحدها. فهل يمكن تحقيق ذلك الحلم الوردي الجميل في ظل تعدد الزوجات؟
ويقولون دعونا نتخيل أن امرأة في بيتها تربي أولادها وترعاهم، تفاجأ بزوجها يجلب لها شريكة دون أي سبب سوى أن الشرع يبيح له ذلك.
ونحن، لا رأي لنا في هذه الموضوعات ولكننا ننشر ما يقوله كبار العلماء والكتّاب.. والله الموفق.